



الكنيسة و العبادة



بقلم نبيل يعقوب

الكنيسة والعبادة

بقلم نبيل سمعان يعقوب



الكتاب : الكنيسة والعبادة

المؤلف : نبيل سمعان يعقوب (ynabeel@hotmail.com)

الإخراج الفني: نبيل سمعان يعقوب

موافقة وزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية: رقم (١٠٠٠٠٤) تاريخ
(٢٠٠٨/٩/٢١)

الطبعة الأولى: دمشق - ٢٠٠٨

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة للمؤلف وحده، ولا يجوز
استخدام أو اقتباس أي جزء منه دون إذن المؤلف.

الفهرس العام

- مدخل
- الباب الأول - بيئة الكتاب المقدس وتأثيرها على العبادة
 - الفصل الأول: العبادة في مصر
 - الفصل الثاني: العبادة في بلاد ما بين النهرين
 - الفصل الثالث: اثر هذه العبادات على نسل ابراهيم
- الباب الثاني - نشأة العبادة بحسب الكتاب المقدس
 - الباب الثالث - الكنيسة
 - الفصل الأول: البيئة الرومانية اليونانية
 - الفصل الثاني: البيئة اليهودية
 - الفصل الثالث: نشأة الكنيسة
 - الباب الرابع - خُدام الكنيسة
 - الفصل الأول: الخِدم المواهبية
 - الفصل الثاني: الخِدم الإدارية
 - الباب الخامس - أجزاء العبادة
 - الفصل الأول: الصلاة
 - الفصل الثاني: الصوم

الفصل الثالث: التسبيح

الفصل الرابع: قراءة كلمة الله للتعليم والبنیان

الفصل الخامس: العطاء (العشور والتقدمات)

الفصل السادس: المعمودية

الفصل السابع: عشاء الرب

○ الباب السادس - شكل العبادة في الكنيسة

الفصل الأول: غطاء الرأس

الفصل الثاني: لياقة وترتيب

الفصل الثالث: الوقار (تصفیق ورقص)

الفصل الرابع: الروح والحق

○ الباب السابع - التأديب الكنسي

الفصل الأول: الخطايا الشخصية

الفصل الثاني: الخطايا العامة

○ الباب الثامن - مسؤوليات الكنيسة

الفصل الأول: التبشير

الفصل الثاني: التعليم

الفصل الثالث: الشركة

الفصل الرابع: الشفاعة

الفصل الخامس: كسر القيود

الفصل السادس: تمجيد الله

الفصل السابع: تدريب قادة لحمل الرسالة

○ الباب التاسع - الكنيسة والعالم

الفصل الأول: الانفصال عن العالم

الفصل الثاني: الاهتمام بالآخر

الفصل الثالث: الخضوع للسلطات

الفصل الرابع: خصوصيات الكنائس

○ الباب العاشر - المراجع

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس



مدخل

العبادة في المسيحية هي إعطاء الله حقه في المحبة^١، والإكرام^٢، والمهابة^٣، والخشوع^٤. ويتم ذلك في الفكر والسلوك.

تتميز العبادة في المسيحية بأنها عبادة الله الآب بواسطة ابنه الرب يسوع المسيح، الذي أعطى المؤمنين باسمه، أي الكنيسة، أن يكونوا أبناءً لله^٥. فعلاقة العابد بالله ليست علاقة العبد بالسيد لكن علاقة الابن بالآب، أي علاقة بنوية^٦، وهي بذلك تختلف عن كل علاقة في آية عبادة.

١ - (وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى.) مرقس ١٢ : ٣٠

٢ - (الابْنُ يُكْرِمُ أَبَاهُ وَالْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبَا فَأَيْنَ كِرَامَتِي؟ وَإِنْ كُنْتُ سَيِّدًا فَأَيْنَ هَيْبَتِي؟ قَالَ لَكُمْ رَبُّ الْجُنُودِ أَيُّهَا الْكَهَنَةُ الْمُحْتَقِرُونَ اسْمِي) ملاخي ١ : ٦
كرامتي في العبرية ('kaw-bode') وهي تعني (عظمة، مجد، احترام)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries H3519

٣ - (أَرْسَلَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ. أَقَامَ إِلَى الْأَبَدِ عَهْدَهُ. قُدُّوسٌ وَمَهْيُوبٌ اسْمُهُ) مزمور ١١١ : ٩
المهابة هي الإجلال والخافة

٤ - (لِذَلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لَا يَتَزَعَّزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدُمُ اللَّهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى.) عبرانيين ١٢ : ٢٨
كلمة خشوع في اليونانية (αἰδώς) وتقرأ ('ahee-doce') وهي قد تعني (احتشام، تواضع، وقار)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G127

٥ - (وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ) يوحنا ١ : ١٢.

٦ - غلاطية ٤ : ٤-٧.



وتتميز العبادة المسيحية أيضاً بأنها عبادة عقلية واعية^١، وبأنها عبادة روحية^٢، وهذا لا يعني أنها تتم بلا طقوس^٣، بل يعني أنها غير ممكنة بدون الروح القدس الذي يؤهل لها من هم مولودون منه الولادة الجديدة^٤. ومع أن العابد يلتصق بركات الله وإحساناته بشكل يومي في هذه العلاقة، لكنه ينشغل أولاً بمجد الله.

بينما في بقية الديانات يختلف الأمر تماماً، فقد تُعرّف العبادة مثلاً بأنها تسخير قوة الله لمصلحة شخصية، أو تُعرّف بأنها ما يمكن استخدامه من وسائل وطقوس لتجنب غضب الله وإرضائه، أو تُعرّف بأنها الوسيلة التي تمكننا من الانعتاق من هذا العالم والاتحاد في الخالق الأسمى، الخ.. تُعتبر العبادة بشكل عام أمراً شائعاً بين كل الشعوب بغض النظر عن مفهومها لله، وهي ذات دوافع متغيرة بحسب الأزمنة والأمكنة ومن يمارسها من الناس. ومن هنا نشأت كثرة من الديانات التي فيها يُعبد الله بطقوس وأشكال مختلفة.

وهنا ينبغي أن نذكر أن كلمة (الله) لا تعني بالضرورة كائناً واحداً أسمى، فهي عند البعض هكذا، وعند البعض الآخر أمراً مختلفاً.

فعند السومريين مثلاً كان يوجد مُجمّع للآلهة يرأسه الحاكم الأسمى (أن، وو) إله السماء. وعند المصريين قديماً كان يوجد عدد كبير من الآلهة أعظمهم الإله الخالق الأول (أتوم). وفي الشرق الأدنى قديماً انتشرت عبادة الإلهة الأنثى مثل (عشتار، عناة، اللات، أرطميس، أفروديت) وغالباً ما كان لهؤلاء الآلهة زوج أو رفيق يموت ثم يقوم بمعجزة مثل (تموز، أدونيس). وفي روما كانت هناك (ثلوس

١ - رومية ١٢: ١-٢.

٢ - يوحنا ٤: ٢٣-٢٤.

٣ - المعمودية، العشاء الرباني.

٤ - يوحنا ٣: ٥-٨.

ماتر) الإلهة الأم - إلهة الأرض، ثم في عصر الملوك الأتروكسيين صار الإله (جوبيتر) رئيس مجمع الآلهة والإلهة (جونو) زوجته. وفي إيران انتشرت عبادة الإله (مترا). وفي الهند انتشرت عبادة الإله (فشنو) والإلهة (شاكتي). وفي الصين قديماً كان الإله الأعلى (شانج - تي) هو السلف الأعظم لأسرة (تشو) الحاكمة، فكانت تقدم القرابين له وللملوك الأموات. وفي اليابان انتشرت عبادة (الكامي) أساس الديانة الشنتوية، وكلمة كامى قد تعني (إله، روح خالق، روح الأسلاف، نباتات، طيور، وحوش، ظواهر طبيعية، الخ).

المعنى اللغوي لكلمة (عبادة):

١- العهد القديم^١: وردت هذه الكلمة بمترادفات مختلفة (٦ عبرية + ٢ كلدانية^٢) أهمها:

أ- الكلمة العبرية الأكثر استعمالاً للعبادة في العهد القديم هي (ab-o-daw)، قد تعني (العمل في الحقول، خروج ١: ١٤) أو (العمل في الخيمة، خروج ٢٧: ١٩) أو (خدمة الرب، عدد ٨: ١١) أو (خدمة الملك، أخبار ١: ٢٦: ٣٠).

ب- الكلمة العبرية الثانية (tsaw-baw)، وقد ترجمت إلى أولئك المعدودين من أجل الخدمة في خيمة الاجتماع (عدد ٤: ٣٠، ٣٩، ٣٥، ٤٣).

^١ - ارتبطت العبادة في العهد القديم بعدة أمور أهمها، الأماكن المقدسة (خيمة، هيكل)، الأشياء المقدسة (تابوت العهد، مذبح النحاس)، الأزمنة المقدسة (سبت، أعياد)، الطقوس المقدسة (ختان، ذبائح). ومن الجدير بالذكر أن الرب لم يكن يقبل أية عبادة، فهو قد رفض مثلاً الذبائح البشرية (لاويين ٢٠: ١-٥)، الزنا المقدس (تثنية ٢٢: ١٨-١٩ + تثنية ٢٣: ١٧-١٨ + خروج ٢٠: ١٤)، صنع صور تشير إليه (خروج ٢٠: ٤-٥ + تثنية ٤: ١٦-١٩ + ارميا ٨: ١٩).

^٢ - (pol-khawn) عزرا ٧: ١٩ + (ab-ee-daw) عزرا ٦: ١٨.



ت- الكلمة العبرية الثالثة (yawd)، وتشير إلى السلطة أو الخدمة (الذين أقامهم داود على يد الغناء في بيت الرب) (أخبار ٦: ٣١).

٢- العهد الجديد: استخدمت (٤) كلمات يونانية للإشارة إلى العبادة هي:
أ- (Diakonia)، وتعني خدمة (٢كورنثوس ١١: ٨ + رومية ١٥: ٣١ + رؤيا ٢: ١٩)

ب- (Douleuo)، وتعني (أن يكون عبداً، أو يخدم في العبودية)، (غلاطية ٤: ٨ + افسس ٦: ٧ + ١ تيموثاوس ٦: ٢)
ت- (latreia)، وتعني (يقيم علاقة دينية، أي يخدم الله)، (يوحنا ١٦: ٢ + رومية ٩: ٤ + رومية ١٢: ١ + عبرانيين ٩: ١، ٦)

ث- (leitourgia)، وتعني (القيام بوظائف دينية أو خيرية)، (٢كورنثوس ٩: ١٢ + فيلبي ٢: ٧، ٣٠)

يخبرنا الكتاب المقدس إن الإنسان مارس العبادة لله منذ البدء^١، وتخيرنا بقية الديانات والأساطير أيضاً عن نفس المفهوم. وبلا شك فإن كل هذا الإرث الإنساني من العبادة قد انعكس في سلوك الناس ونمط تفكيرهم، فمن جهة السلوك نستطيع أن نقسمه إلى قسمين:

الأول سلوك عدواني، وفيه تظهر مشاعر البغض والكراهة تجاه الآخر، وقد تتطور هذه المشاعر لتصل إلى حد القتل، تعبيراً عن رفض الآخر.
الثاني سلوك ايجابي، وفيه تظهر مشاعر الود والمحبة والقبول للآخر، وهذا القبول يتفاوت بين التعايش مع الآخر وبين الاندماج أو الاتحاد معه.
أما من جهة التفكير فنستطيع أن نقسمه إلى:

^١ - تكوين ٤: ٣-٧.

أولاً التفكير البسيط، وفيه نجد العابد يعيش نوع من السذاجة في تفسيره للأمور الروحية أو الأخلاقية. وغالبية هؤلاء يعيشون في جهل مدقع. وعندهم من الحماسة ما يدفعهم لرفض الآخر بالقتل.

ثانياً التفكير العميق، وفيه نجد العابد يعيش نوع من العقلانية في تفسيره للأمور الروحية أو الأخلاقية، وغالبية هؤلاء يقبلون الآخر ويتعايشون معه حتى لو كان من جهته عدائياً لهم.

ثالثاً التفكير الوسيط، وهو يقع بين هذا وذاك.

إن هذا التفاوت بالتفكير قاد الناس لتبني فلسفات مختلفة بتعريفها للإنسان، فمن فلسفة تعتبر الإنسان تاج خليفة الله إلى فلسفة تعتبر الإنسان بأنه حيوان متدين^١.

ومن فلسفة تعتبر أن الأخلاق هي مصدر العبادة، إلى فلسفة تعتبر أن الأخلاق هي نتيجة للعبادة.

إن العبادة أمراً مهماً جداً لأنها تصيغ فكر الإنسان وتصمم سلوكه، أي علاقته مع الله والناس. وكون هذا الكتاب ليست غايته البحث في الأديان، فسنتصر فيه على دراسة العبادة كما وردت في الكتاب المقدس. وغايتنا أن نصل لما فيه مجد الله وسعادة الإنسان.

الباب الأول

بيئة الكتاب المقدس وتأثيرها على العبادة

بما أننا نتحدث عن العبادة المسيحية فمن الطبيعي أن نتحدث عن البيئة التي نشأت فيها هذه العبادة أي المحيط الذي نشأت فيه أقدم الحضارات في العالم، حضارة مصر وبلاد ما بين النهرين.

إن ديانة هاتين الحضارتين الوثنيتين هي كديانة جيرانهما الحثيين والكنعانيين التي تركز على الطبيعة وتقلباتها من فيضانات الأنهار، إلى المواسم المتعددة المرتبطة بهطول الأمطار، إلى الحروب المتعلقة بهذه المواسم. وبالتالي لم يكن عندهم فكرة صائبة عن إله واحد خالق مسيطر على كل مجريات الأمور، بل كان لديهم مجموعة من الآلهة التي تعمل أحياناً بشكل متنافر وأحياناً بشكل متناغم لضبط كل الأمور المتعلقة بالأرض أو بالإنسان.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس

وكان لارتفاع الفيضان أو انخفاضه أهمية بالغة بالنسبة لمصر، إذ أن انخفاضه الشديد يعني القحط، ومن ثم المجاعة. بينما كان ارتفاعه الشديد يعني تعريض البلاد للغرق.

يقول الكتاب المقدس عن أهمية هذا النهر لمصر (فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الْأَرْضِ أَنَّ جَمِيعَهَا سَقِي قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ كَجَنَّةِ الرَّبِّ كَأَرْضِ مِصْرَ...)¹

وقال الرب للشعب قديما : (لَأَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكَهَا لَيْسَتْ مِثْلَ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي خَرَجْتَ مِنْهَا حَيْثُ كُنْتَ تَزْرَعُ زَرْعَكَ وَتَسْقِيهِ بِرِجْلِكَ كَبُسْتَانِ بُقُولٍ...)²

هناك ثلاثة مواسم ثابتة في التقويم الخاص بمصر، الأول يدعى موسم الإغراق (من منتصف تموز إلى تشرين الثاني)، الثاني يدعى موسم النماء (من منتصف تشرين الثاني إلى منتصف آذار)، الثالث يدعى موسم الجفاف. ومن المرجح أن تكرر هذه المواسم بانتظام هو الذي جعل الفراعنة يرفعون ملوكهم لمصاف الآلهة الأقوياء، حيث بدا لهم أن ملوكهم مسيطرين على ظروف الطبيعة.

بشكل عام يُفَنِّش المصري غيره عن القوة وحيثما وجدها في مظاهر الطبيعة كان يقدم لها العبادة. لذلك لا تجد في مصر إلهاً واحداً بل مجمعاً للآلهة³، والإله الأول في هذا المجمع كان يدعى الإله (أتوم) الإله الخالق الأول⁴، بينما بقية الآلهة كانت متنوعة بتنوع مصادر القوة.

¹ - تكوين ١٣: ١٠.

² - تثنية ١١: ١٠.

³ - قارن خروج ١٢: ١٢.

⁴ - عالم المعرفة-ج ١٧٣- ص ٤٥.

في الحيوانات مثلاً وجد المصريون القوة، فصارت عبادة الحيوان جزءاً أساسياً من ديانتهم، ويُعتبر العجل (أبيس) أقدم حيوان يُعبد في مصر^١، وهو مثل كل العجول الآلهة (العجل الأسود، الثور سرايبس، الخ) رمزاً للخصوبة والقوة الجسمانية^٢.

في النيل والشمس وجد المصريون أيضاً القوة حيث أدركا بطريقة أو أخرى أنهما مسؤولان عن خصوبة أراضيهم، وهكذا عُبد الإله (حابي)^٣ المرتبط بفيضان النيل^٤، والإله (رع)^٥ المرتبط بقوة الشمس^٦. ومن الجدير ذكره أن الإله (رع) ارتبط بالملك الحي الحاكم فأصبح فرعون يسمى ابتداءً من الأسرة الخامسة باسم ابن الإله (رع)^٧.

أما (الطقوس الدينية التي كان يمارسها الناس في جميع المعابد فكانت تبدأ بتطهير^٨ الكاهن في البحيرة المقدسة الموجودة بجوار المعبد، ثم عند دخول الكاهن إلى المعبد يوقد ناراً ويُعد مبخرة مزودة بالفحم، ثم يتجه نحو تمثال الإله

^١ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥١.

^٢ - دائرة المعارف الكتابية، حرف (ع)، باب (العجل الذهبي)

قارن (خروج ٣٢: ١ - ٦) حيث يعبد بنو إسرائيل (الإله العجل) بقيادة هارون.

^٣ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٤٩.

^٤ - قارن (خروج ٧: ١٧ - ٢٤) حيث يضرب الرب النيل قلب اقتصاد الأمة وموضوع عبادتها.

^٥ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٤٩.

^٦ - قارن (خروج ١٠: ٢١ - ٢٣) حيث يضرب الرب أرض مصر بالظلام، فيحجب نور الشمس لمدة ثلاثة أيام.

^٧ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٤٩.

^٨ - يعتبر الماء وسيلة التطهير في كل العبادات تقريباً حيث تعتبر الطهارة أمراً مترادفاً مع النظافة الجسدية، بينما في المسيحية يرتبط مفهوم الطهارة بقلب الإنسان وليس بجسده (مرقس ٧: ١ - ٢٣ + افسس ٥: ٢٦)

في المحراب الداخلي، وبعد السجود والركوع وتقديم القرابين الواجبة يُجرّد تمثال الإله من ثيابه ويطهره ويزينه بثياب وشارات مناسبة ويعقب ذلك إقامة مأدبة مقدسة قبل أن يوضع التمثال مرة أخرى في هيكله^١.

وهناك أيضاً طقوس دينية متميزة تقام في أعياد فرعون أو أعياد الآلهة، منها مثلاً رقصة^٢ يؤديها الملك^٣ في عيده اليوبيلي وهو يرتدي تنوره قصيرة يُعلق بها من الخلف ذيل حيوان، بينما يحمل الكاهن تماثيل الآلهة إلى أماكن أخرى مقدسة كيما تزور آلهة أخرى.

أما عن الطقوس الجنائزية فقد اهتم المصريون جداً بتحنيط جسد الميت (حيث يُزال منه المخ والأمعاء، ثم يوضع على الجسم من الخارج النطرون، ثم يُحشى مزيج من النطرون والتوابل والزيت في التجاويف التي أحدثها تفريغ الأمعاء وتُملأ الفراغات بعد ذلك بحشوه من الكتان وتوضع التوابل الحارة والزيوت على الجسم من الخارج أيضاً ثم يُلف بأربطة من الكتان قبل وضعه في التابوت)^٤، وعادة ما تستغرق هذه العملية أربعين يوماً^٥.

١ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥٤.

٢ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥٤.

٣ - قارن (وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَكَانَ دَاوُدُ مُتَنَطِّقًا بِأَفْوَدٍ مِنْ كَتَّانٍ). صموئيل ٦: ١٤. مع أن هناك فارقاً كبيراً بين ما فعله داود وما فعله الملوك المصريين، ومع ان هذا الأمر قد تم بعد خروج شعب إسرائيل من أرض مصر بحوالي (٤٠٠) عام، لكن يبقى السؤال، هل كان داود متأثراً بجيرانه المصريين فأراد أن يكرم الرب منفرداً على طريقتهم الخاصة لاسيما وأن أحداً من الكهنة أو من الشعب لم يشاركه عمله هذا!

٤ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥٦.

قارن (تكوين ٥٠: ١-٣) حيث يأمر يوسف الأطباء المصريين بتحنيط أباه. وأيضاً (ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةِ وَعَشْرٍ سِنِينَ فَحَنَطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ) تكوين ٥٠: ٢٦.

٥ - تكوين ٥٠: ٢ (وَكَمَّلَ لَهُ أَرْبَعُونَ يَوْماً لِأَنَّهُ هَكَذَا تَكْمُلُ أَيَّامُ الْمُحَنِّطِينَ)

أما عن دور النساء الكهنوتي فقد انحصر في إعداد الموسيقى والرقص^١.
أما الآلات الموسيقية^٢ التي كانت تستخدم في العبادة فهي ثلاث الجنوك
والدفوف والصنوج.

أما بعد الموت فقد اعتقد^٣ المصريون أن كل إنسان سيقف أمام الإله
(أوزيريس) والقضاة الاثنيين والأربعين ليحاسب (بميزان القلب) وفي هذا الميزان
كفتان، الأولى عليها فضائل المتوفي أو قلب المتوفي، والثانية عليها الحقيقة، فإن
استطاعت فضائله أن تتساوى مع كفة الحقيقة نال السعادة الأبدية، وإلا فهالك
وحش يسمى (ملتهم الموتى) سيقضي على الشخص المدان.

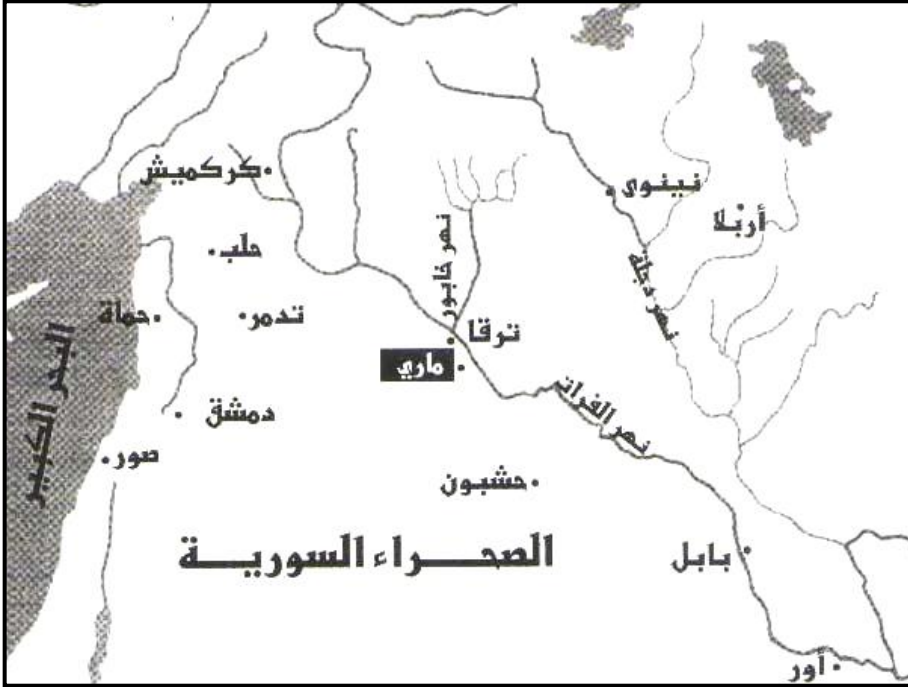
١ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥٧. قارن أيضاً ما فعلته مريم أخت هارون بعدما خلّص
الرب إسرائيل من يد المصريين، متشبهة بنساء مصر (فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ
بِيَدِهَا وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقَصْنَ). خروج ١٥: ٢٠.

٢ - دائرة المعارف الكتابية. حرف الميم، باب (مصر - الحياة الاجتماعية والاقتصادية في
مصر القديمة). قارن أيضاً ٢ صموئيل ٦: ٥ (وَدَاوُدُ وَكُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَلْعَبُونَ أَمَامَ الرَّبِّ بِكُلِّ
أَنْوَاعِ الْآلَاتِ مِنَ خَشَبِ السَّرْوِ بِالْعِيدَانِ وَبِالرَّبَابِ وَبِالدُّفُوفِ وَبِالْجُنُوكِ وَبِالصَّنُوجِ). +
(خروج ١٥: ٢٠)

٣ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٥٨.

الفصل الثاني

العبادة في بلاد ما بين النهرين



هذان النهران هما دجلة والفرات وهما ينبعان من جبال أرمينيا، ويجريان مسافة ١٤٠٠ ميل، ويصبان في الخليج العربي. ويعتبر الفرات مقارنة بدجلة أكبر وأهدأ.

أما زمن حدوث الفيضانات في هذين النهرين فهو متقلب ولا يمكن التنبؤ به، وهذا ما جعل ملوك ما بين النهرين في عيون شعوبهم غير مسيطرين على ظروف الطبيعة، فلم يرفعوهم إلى مصاف الآلهة كما فعل الفراعنة مع ملوكهم.

في بلاد ما بين النهرين كما في مصر لم يكن هناك إله واحد بل مجمع للآلهة وكل واحد منها يمثل القوة. ف(حدد)،^١ هو إله الجو الذي يركب العاصفة ويُرعد كالثور، ويجلب الخراب والدمار عن طريق الفيضانات. و(عشتار)^٢ راعية الحرب والحب معاً، أو كما تدعى (إينانا سيدة السماء)^٣. و(داجون)^٤ إله الشمس، و(بعل)^٥ إله المطر والسحاب وكل مظاهر الخصب والقوة. إضافة إلى (إنليل) و(مردوخ) و(إينكي)، ونجمة الصباح (كوكب الزهرة فينوس)^٦ الخ.. وبينما كان هناك آلهة متعددة كان الإله (آن، و)^٧ هو الإله الرئيسي والحاكم الأسمى والأعظم لمجمع الآلهة السومري وكان معبده الرئيسي في (أوروك).

١ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ١٩.

٢ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ١٧.

٣ - إلهة الحب والخصب عند السومريين، وقد انتشرت عبادتها في كل العالم القديم. فهي عشتار عند البابليين، وأفروديت عند اليونانيين، وإيزيس عند المصريين. قارن (ارميا ٧: ١٨) (الأبناء يَلْتَقِطُونَ حَطْباً وَالْآبَاءُ يُوقِدُونَ النَّارَ وَالنِّسَاءُ يَعْجِنُ الْعَجِينَ لِيَصْنَعْنَ كَعْكَاً لِمَلِكَةِ السَّمَاوَاتِ وَلِسَكَبِ سَكَائِبِ لآلِهَةٍ أُخْرَى لِيُغِظُونِي) + (١ صموئيل ٣١: ١٠)

٤ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ١٩. + (١ صموئيل ٥: ٢)

٥ - ومن هنا نفهم أن انتصار إيليا على كهنة البعل في جبل الكرمل هو إثباتاً لقدرة الله المتفوقة، وهذا ما أكدّه ارميا النبي فيما بعد (هَلْ يُوْجَدُ فِي أَبَاطِلِ (أوثان) الأُمَمِ مَنْ يُمْطِرُ أَوْ هَلْ تُعْطِي السَّمَاوَاتُ (من ذاتها) وَابِلًا؟ أَمَّا أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُنَا (الذي يُمْطِر)؟ فَتَرْجُوكَ لِأَنَّكَ أَنْتَ صَنَعْتَ كُلَّ هَذِهِ). ارميا ١٤: ٢٢.

ملاحظة: استخدمت كلمة بعل في الكتاب المقدس أحياناً لتشير إلى زوج (٢ صموئيل ١١: ٢٦)

٦ - قارن (كَيْفَ سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ يَا زَهْرَةٌ بَنَتْ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعَتْ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟) اشعيا ١٤: ١٢.

بالأصل العبري (hay-lale) وقد يعني (نجمة الصباح أو إبليس)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries H1966

٧ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ١٣.

أما عن نمط العبادة فقد كان لكل معبد رئيس^١ يسكن في جناح منه، وكان هذا الرئيس رجلاً أو امرأة تبعاً لجنس الإله المخصص له المعبد. وكان لبعض المعابد مجموعة من الكاهنات^٢ اللواتي يعشن في أديرة. أما عن الصلاة فيستطيع العابد الثري أن يودع^٣ في المعبد هدية ما على مقربة من تمثال الإله لتُذكره بطلبه ما أو تشكره لأجل أمر ما. وهكذا تتوب الهدية عن العابد في صلاته. أما عن الخطايا فيمكن أن تغفر^٤ بتلاوة تراثيل التوبة أو الصلاة أو النواح.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

-
- ١ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٣٢.
 - ٢ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٣٢.
 - ٣ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٣٠.
 - ٤ - عالم المعرفة - ج ١٧٣ - ص ٣٥.

الفصل الثالث

أثر هذه العبادات على نسل إبراهيم

إن نمط العبادة في هاتين الحضارتين يعكس لنا تأثيرهما في التطور الأخلاقي السلبي الذي أصاب نسل إبراهيم الجسدي وأخسره الكثير من البركات.

فإبراهيم الذي خرج من أور الكلدانيين^١ يقول عنه يشوع (هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: آبَاؤُكُمْ سَكَنُوا فِي عَبْرِ النَّهْرِ مُنْذُ الدَّهْرِ. تَارَحُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو نَاخُورَ، وَعَبَدُوا آلَهِةً أُخْرَى).^٢ (فَالآنَ اخْشُوا الرَّبَّ وَاعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ، وَانْزِعُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عَبَدْتُمْ آبَاؤُكُمْ فِي عَبْرِ النَّهْرِ وَفِي مِصْرَ، وَاعْبُدُوا الرَّبَّ).^٣

وهذا يعني أن إبراهيم الذي خرج من بيئة وثنية ليعبد الرب، مع الأسف فإن نسله لم يستطع أن يفعل مثله، فهاهو نسله ينخرط بين الفينة والأخرى في عبادة آلهة وثنية كالبعل، ونسروخ، ومولك وعشتار وغيرهم.

ويبدو أن السنين الطويلة التي قضاها نسل إبراهيم في مصر وهو يراقب الكهنوت المصري بكل سلطانه وامتيازاته، ويراقب نمط العبادة الذي يتسم بالفخامة، إضافة للخوف الذي كان يلزم الشعب المصري من آلهته. قد أثرت عليهم بطريقة لا يمكن تجاوزها بسهولة، وهكذا فُتت قلوبهم وسببت بآلهة مصر، مع أن الرب صنع بها أحكاماً^٤.

^١ - تقع على نهر الفرات جنوبي العراق

^٢ - يشوع ٢٤: ٢

^٣ - يشوع ٢٤: ١٤. ومن الجدير بالذكر أن النهي عن عبادة الأوثان يعتبر أحد الثوابت المطلقة في الشريعة مع القتل والزنا بالمحارم، أما عبادة الأوثان فتعتبر خيانة عظمى عقوبتها الموت رجماً بالحجارة (تنثية ١٧: ٢-٧).

^٤ - عدد ٣٣: ٤

لذلك ما أن أبطأ موسى في النزول من جبل سيناء حتى اجتمع الشعب إلى هارون أخيه وقالوا له («قُمْ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ»). فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي أَدَانِهِمْ وَاثُوا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَاخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْأَزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً. فَقَالُوا: «هَذِهِ إِلَهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!» فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحاً أَمَامَهُ وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدَا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَاصْعَدُوا مُحْرِقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلْعِبِّ^١، فكان ذلك أشبه بالاحتفال بالعجل أبيس، أو غيره^٢ من الحيوانات التي تشبعت أفكارهم بتقديسها في مصر.

وهاهو صموئيل النبي بعد مئات السنين يُذَكِّرُ الشعب بما فعله أبائهم فيقول (قَلَمَّا نَسُوا الرَّبَّ إِلَهُهُمْ بَاعَهُمْ لِيَدِ سَيِّسَرَا رَئِيسِ جَيْشِ حَاصُورَ، وَلِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، وَلِيَدِ مَلِكِ مُوَابَ فَحَارَبُوهُمْ. فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: أَخْطَأْنَا لِأَنَّنَا تَرَكْنَا الرَّبَّ وَعَبَدْنَا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ. فَالآنَ أَنْقِذْنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا فَنَعْبُدَكَ).^٤

وعندما استلم سليمان الملك حدث مع الأسف ارتداد عظيم نحو الوثنية كان سببها الرئيسي زواجه بعدد كبير من النساء الأجنبية اللواتي أحضرن معهن آلهتهن كعشتاروت، وملكوم، وكموش (فَدَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتَارُوثَ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلَكُومَ رِجْسِ الْعَمُونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ

^١ - فرح، سخرية، ازدراء.

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries H6711

^٢ - خروج ٣٢: ١-٦.

^٣ - قارن (صَنَعُوا عِجْلاً فِي حُورِيبَ وَسَجَدُوا لِتِمْتَالِ مَسْبُوكٍ وَأَبْدَلُوا مَجْدَهُمْ بِمِثَالِ ثَوَرٍ آكِلِ غُشْبٍ). مزمور ١٠٦: ١٩-٢٠.

^٤ - ١ صموئيل ١٢: ٩-١٠.

يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمْوشَ رِجْسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تَجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُونَ. وَهَكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لِآلِهَتِهِنَّ.^١، وقد بنى لهذه الآلهة مرتفعات على جبل الزيتون حتى سميت إحدى هذه القمم ب(جبل الهلاك)^٢.

أما يربعام الملك الذي عاد من منفاه في مصر فقد أقام عجلي ذهب في دان وبيت ايل، وقال للشعب عنهما (هُوَذَا إِلَهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)^٣

أما آخاب الملك فقيل عنه (وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ) كَأَخَابَ الَّذِي بَاعَ نَفْسَهُ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، الَّذِي أَغْوَتْهُ إِيْزَابَلُ امْرَأَتُهُ...^٤ وقد سار الملوك الذين تعاقبوا على إسرائيل ، على نهج يربعام بن نباط ، حتى أصبح نهجه يُعرف باسم (طريق ملوك إسرائيل)^٥

وفي المملكة الجنوبية (يهودا) قيل عن آحاز الملك (وَذَبَحَ (آحاز) لِآلِهَةٍ دِمَشْقَ الَّذِينَ ضَارِبُوهُ وَقَالَ: لِأَنَّ إِلَهَةَ مُلُوكِ أَرَامَ تُسَاعِدُهُمْ أَنَا أَذْبَحُ لَهُمْ فَيَسَاعِدُونَنِي. وَأَمَّا هُمْ فَكَانُوا سَبَبَ سُفُوطٍ لَهُ وَلِكُلِّ إِسْرَائِيلِ.^٦

أما عن الملك منسى ابن حزقيا فقيل (وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ حَسَبَ رَجَاسَاتِ الْأُمَمِ....وَأَقَامَ مَذَابِحَ لِلْبَعْلِ وَعَمِلَ سَارِيَةً كَمَا عَمِلَ أَخَابُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ، وَسَجَدَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَبَنَى مَذَابِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ:

١ - ١ ملوك ١١: ٥-٨

٢ - ٢ ملوك ٢٣: ١٣

٣ - ١ ملوك ١٢: ٢٦-٣٣.

٤ - ١ ملوك ٢١: ٢٥-٢٦.

٥ - (بَلْ سَارَ) (آحاز) فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ حَتَّى إِنَّهُ عَبَّرَ ابْنَهُ فِي النَّارِ حَسَبَ رَجَاسِ الْأُمَمِ

الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.) ٢ مل ١٦ : ٣

٦ - ٢ أخبار ٢٨: ٢٣.

فِي أُورُشَلِيمَ أَضْعُ اسْمِي. وَبَنَى مَذَابِحَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ فِي دَارِي بَيْتِ الرَّبِّ. وَعَبَّرَ ابْنُهُ فِي النَّارِ، وَعَافَ وَتَقَاعَلَ وَاسْتَخْدَمَ جَانًّا وَتَوَابِعَ، وَأَكْثَرَ عَمَلَ الشَّرِّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ لِإِعَظَمَتِهِ^١.

وبلا شك كان السبي البابلي درساً قاسياً لشعب إسرائيل بل عقاباً لوثنياتهم أسهم في تنقية العبادة اليهودية، فعندما وجدوا أنفسهم معذبين وسط شعوب وثنية تركوا عبادة الأصنام لغير رجعة، وانفصلوا عن كل النجاسات المرتبطة بهذه العبادات وعادوا من جديد إلى شريعة آبائهم، إلى شريعة موسى. لكن إخوتهم في أورشليم الذين لم يؤخذوا للسبي بقوا على فسادهم!!

ففي سفر حزقيال الإصحاح الثامن يكشف لنا حزقيال النبي عن رؤيا أخذ فيها من بابل (أثناء السبي) إلى الهيكل في أورشليم ليشاهد الشر العظيم الذي يُمارَس هناك، فالشعب وقادته الدينيين قد انغمسوا جميعاً في الفساد، وفي مشهد تلو الآخر نرى هذا الفساد في الهيكل، فمن تمثال الغيرة (ربما هو تمثال عشتاروت)، إلى كل تصاوير أشكال الحيوانات والبهائم النجسة، إلى تموز إله الخصب الذي تتدبه النساء، إلى الرجال الذين أداروا وجوههم نحو الشرق ساجدين للشمس، ولسان حال الجميع في عبادتهم (الرَّبُّ لَا يَرَانَا! الرَّبُّ قَدْ تَرَكَ الْأَرْضَ)^٢.

وبعد سقوط بابل في يد كورش وصدور مرسومه^٣ الشهير بعودة المسبيين إلى أورشليم يعود اليهود على دفعتين الأولى بقيادة زربابل^٤، والثانية بقيادة عزرا الكاهن

^١ - ٢ ملوك ٢١: ٢-٦. قَارَن (وَالنَّفْسُ الَّتِي تَلْتَفِتُ إِلَى الْجَانِّ وَالْيَ تَوَابِعَ لِتَزْنِي وَرَاءَهُمْ اجْعَلْ وَجْهِي ضِدَّ تِلْكَ النَّفْسِ وَأَفْطَعْهَا مِنْ شَعْبِهَا) لَآوِيِّينَ ٢٠: ٦+ (وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ) لَآوِيِّينَ ٢٠: ٢٧.

^٢ - حزقيال ٨: ١٢

^٣ - عزرا ١: ١-٤.

^٤ - عزرا (اصحاح ٢)

والكاتب^١، ليكتشف عزرا أن الكثيرين في الأمة قد اتخذوا لأنفسهم نساء وثنيات مما أدى لفسادهم دينياً. فيبكي عزرا ويصلي لأجل الأمة التي تعترف بخطاياها وتتوب. ويستمر الإصلاح إلى وقت عودة نحميا الذي يكمل الإصلاح ويُطهر البلاد من الخطية^٢. لكن هل استقامت عبادتهم!!

بعد حوالي (٤٠٠ سنة) أي في أيام الرب يسوع نقرأ عن جماعة تدعى بالصدوقيين^٣ الذين لا يؤمنون بالدينونة ولا بالقيامة ولا بوجود الأرواح، ومن العجيب أن منهم كان رؤساء كهنة.

ونقرأ عن عملية تطهير قام بها الرب يسوع المسيح للهيكل (وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ (دار الأمم) الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا وَالصَّيَّارِفَ جُلُوسًا. فَصَنَعَ سَوَاطِئَ مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ الْغَنَمَ وَالْبَقَرِ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ: «ارْفَعُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا. لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ»^٤).

وقد تكررت هذه العملية مرة ثانية أي قبل الصلب بأيام (وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى

١ - عزرا ٧-١٠.

٢ - نحميا ١٢-١٣.

٣ - متى ١٢: ١٨.

٤ - يوحنا ٢: ١٣-١٦.

هَيْكَلِ اللَّهِ وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ (دار الأمام) ^١ وَقَلَبَ
مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ وَقَالَ لَهُمْ: «مَكْتُوبٌ: بَنَيْتَ الصَّلَاةَ
يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ!» ^٢

^١ - الهيكل الأول بناه سليمان حوالي (١٠٠٠ ق.م) واستغرق بناءه ٧ سنوات، وبعد حوالي
٥٠٠ سنة تم هدمه على يد نبوخذ نصر ملك بابل، وبعد حوالي ٧٠ سنة بنى زربابل الهيكل
الثاني فكان أقل من الأول في الزينة والبهاء ولم يكن فيه تابوت العهد ولم تظهر فيه سحابة
المجد.

وقد تعرض هذا الهيكل مراراً وتكراراً للتخريب إلى أن جاء هيرودس الكبير ورممه في ٤٦ سنة
(يوحنا ٢: ٢٠).

يحتوي الهيكل على أربع دور الأول دار الأمام ويحتوي على غرف لسكن اللاويين وفيه أيضاً
مجمع أو مدرسة لعلماء اليهود وفي تلك المدرسة جلس يسوع وهو ابن اثنتي عشرة سنة في
وسط المعلمين يسمعونهم ويسألهم (لوقا ٢: ٤٦)، وفي هذه الدار اجتمع التلاميذ كل يوم بعد
صعود المسيح (اعمال ٢: ٤٦)، وفي هذه الدار توجد موائد الصيارفة وباعة الحمام، وفيها
كانت تباع لوازم العبادة التي يبدو أن للكهنة فيها نصيباً من العمولة وهو أمر مؤسف يشير
للمستوى الروحي الذي انحدر إليه هؤلاء الكهنة.

ومن الجدير بالذكر أن الرب لم يدخل إلى داخل الهيكل أبداً لا ليقدم ذبيحة ولا ليمارس دوراً
كهنوتياً، وهكذا تلاميذه. وقد سميت هذه الدار (دار الأمام) لأنها كانت المكان الوحيد الذي
يُسمح للأمام أن يتواجدوا فيه.

الثانية دار النساء وهذه الدار ليست دار مخصصة للنساء ولكنها المكان الذي لا تستطيع
النساء تجاوزه إلى داخل الهيكل.

الثالثة دار إسرائيل أي دار ذكور العبرانيين.

الرابعة دار الكهنة وفيها مذبح النحاس والمرحضة، وغربي هذه الدار كان الهيكل الحقيقي وهو
أعلى منها وكانوا يصعدون إليه بالدرج.

هذا الهيكل هُدم في حصار تيطس القائد الروماني لمدينة أورشليم بعد الميلاد بسبعين سنة
كما تنبأ عنه المسيح (الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يَبْنِي هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يَنْقُضُ) متى ٢٤: ٢

^٢ - متى ٢١: ١٢ - ١٣.

وفي إنجيل متى إصحاح ٢٣ نقرأ عن عدد من الولايات يسكبها الرب على الكتبة والفريسيين الذين هم معلمو الشعب فيقول (وَيْلٌ لَّكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لَا تَكُونُ بَيُوتَ الْأَرَامِلِ وَلِغَلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذَلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. ... وَيْلٌ لَّكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لَا تَكُونُ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسِبُوا دَخِيلاً وَاحِداً وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْناً لِحِجَّتِهِمْ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً!... وَيْلٌ لَّكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لَا تَكُونُ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَاعَ وَالشَّبِثَ وَالْكُمُونَ وَتَرْكُتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرُكُوا تِلْكَ... أَيُّهَا الْحَيَاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي كَيْفَ تَهْزُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟)¹.

وقال الرب أيضاً عن شيوخ الشعب (وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يَعْلَمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. لِأَنَّكُمْ تَرْكُتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ)².

عندما أعطى موسى الناموس للشعب قال لهم (هَذَا مَا أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ يُفْعَلَ)³ أي بدون زيادة أو نقصان، فلا استحسان شخصي في عبادتنا للرب!!

لكن الذي حدث كان مخالفاً للتوقع، فهاهي العبادة اليهودية تتلوث برجاسات مختلفة، فلا هي بطقوسها نقية ولا هي بجوهرها نقية، وإن كانت العبادة بطقوسها قد استقامت إلى حد كبير بعد السبي لكنها بقيت بالإجمال مبتعدة بعيداً جداً.

¹ - متى ٢٣: ١٤، ١٥، ٢٣، ٣٣.

² - مرقس ٧: ٧، ٨.

³ - لاويين ٨: ٥. قارن أيضاً (احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصْعِدَ مُحْرِقَاتِكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَرَاهُ. بَلْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ فِي أَحَدِ أَسْبَاطِكَ. هُنَاكَ تُصْعِدُ مُحْرِقَاتِكَ وَهُنَاكَ تَعْمَلُ كُلَّ مَا أَنَا أُوصِيكَ بِهِ) تثنية ١٢: ١٣-١٤.

الباب الثاني

نشأة العبادة بحسب الكتاب المقدس

بما أننا نتحدث عن نشأة العبادة من وجهة نظر الكتاب المقدس، فسنقسمها إلى قسمين:

أولاً- العبادة في العهد القديم

وفيها نرى أن الإنسان بدأ عبادته للرب بشكل فردي وحسب الحاجة. فنحن نقرأ مثلاً عن (قايين وهابيل)^١ أولاد آدم أنهما قدما قربابين شكر^٢ للرب بشكل إفرادي. بينما لا نقرأ أبداً أن الكبير قدم قرباناً مشتركاً عن نفسه وأخيه، أو أن الأب قدم عن نفسه وعن بنييه.

وكذلك نقرأ عن إبراهيم^٣ أن الرب طلب منه أن يُصعد ابنه (ذبيحة محرقة) وهي ذبيحة خاصة به لأن غايتها امتحان إيمانه، بينما لا نقرأ أبداً أنه أصد أي قربان عن بيته أو غلمانه.

وكذلك نقرأ عن يعقوب^٤ أنه في طريقه إلى حاران كلمه الرب في حلم، فقام في الصباح وأخذ الحجر الذي كان تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه ونذر نذراً ودعا ذلك المكان بيت إيل. بينما لا نقرأ أبداً أنه أصد أي قربان عن بيته أو غلمانه.

وربما أيوب الذي عاش على الأرجح في زمن الآباء (أي بين عامي ٢٠٠٠-١٨٠٠ ق.م) قد شذ عن هذه القاعدة ليس بكثير، إذ يخبرنا الكتاب المقدس أنه

١ - تكوين ٤: ٣-٧.

٢ - هذا ما يُرجّحه النص، حيث لا يوجد فيه أي ذكر للخطية.

٣ - تكوين ٢٢: ١-٥.

٤ - تكوين ٢٨: ١٠-٢٢.

كان يقدم للرب محرقات على عدد أولاده قائلاً (رُبَّمَا أَخْطَأَ بَنِيَّ وَجَدُّوْا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ)¹.

لكن بعد العبور تطورت العبادة إلى عبادة جماعية فنحن نقرأ مثلاً² أن موسى قد رنم (باعتبار الترنيم جزءاً من العبادة) مع بني إسرائيل للرب، وأن أخته مريم أخذت الدف بيدها وخرجت جميع نساء إسرائيل وراءها بدفوف ورقص يترنمن للرب فرحاً بالنجاة.

ثم بعد ذلك (أي في عهد الناموس) تظهر بوضوح صورة العبادة الجماعية من خلال إقامة النظام الكهنوتي الهاروني. وفي هذا النظام يكون الكاهن³ هو من يُمثّل الله أمام الناس ويُمثّل الناس أمام الله، إذ يرفع للرب طلباتهم وتشكرات قلوبهم، وبذات الوقت ينقل لهم مشيئة الله الصالحة. وكل ذلك يتم من خلال نظام طقسي ناموسي دقيق لا يقبل الزيادة ولا النقصان. وفي هذا النظام نرى نوعين من التقدّمات تُرفع للرب:

أ - تقدّمات وذبائح معينة عن كل الأمة⁴

ب - تقدّمات وذبائح خاصة يرفعها الكاهن أو العابد للرب عن نفسه⁵.

وقد تطورت العبادة بشكل جذري على يدي داود وابنه سليمان، فالأول⁶

¹ - ايوب ١: ٥.

² - خروج ١٥: ١، ٢٠.

³ - في الأصل العبري (kaw-han') وهي تعني على ما يبدوا التوسط في الخدمات الدينية.

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries H3547

⁴ - كذبائح عيد الفصح، وعيد الفطير، ويوم السبت، وعيد الباكورة، وعيد الأبواق، ويوم الكفارة.. الخ

⁵ - كذبيحة الخطية، والإثم، والسلامة.. الخ

⁶ - أخبار الأيام الأول ٢٤ - ٢٥ - ٢٦.

بمساعدة رئيسي الكهنة صادوق وأخيمالك نظم فرق الكهنة واللاويين للعمل في خيمة الاجتماع وفيما بعد في الهيكل، وأقام فرقاً للغناء^١ بالعيدان والرباب والصنوج لتسبيح الرب. أمّا الثاني فقد بنا الهيكل الذي تحول إلى المركز الوحيد الذي تمارس فيه العبادة في كل إسرائيل.

وهكذا كانت العبادة محكمة التنظيم، شديدة الترتيب، ولا يوجد فيها أي نوع من التلقائية التي تقود للفوضى، وهذا ما كان يعطي العابد الفرح والطمأنينة والسلام.

بعد السبي وخراب الهيكل انتشرت المجامع^٢ اليهودية وكان الهدف الأساسي لها هو التعليم وليس العبادة (مع العلم أن التعليم هو جزء من العبادة)، لكن بمرور الوقت أصبحت المجامع أمكنة للصلوات وقراءة الكلمة والتعليق على ما يقرأ، دون أن تُقدم فيها أية ذبائح.

إذاً خلاصة نستطيع أن نقول إنه في عهد الناموس صارت العبادة منتظمة في شكلها ومضمونها، وصارت تحمل في معناها إعطاء الله حقه. وهذا بخلاف العبادة قبل الناموس، حيث كانت فردية شخصية حسب مقتضيات الأحوال، وتحمل معاني متفرقة، وتتم بشكل غير منتظم.

لكن مع الأسف بمرور الوقت تحولت العبادة في عهد الناموس أيضاً لطقوس اعتادها الشعب، ولم يعد يفكر بها إلا باعتبارها فرضاً، أو واجباً ثقيلاً لا يمكن العيش بدونه.

^١ - يبدو من خلال المزامير (٢٠-٢١-٢٤-١٠٧-١١٨) أن الشعب كله كان يشترك في ترنيم بعض المزامير.

^٢ - قارن (متى ٩: ٣٥ + مرقس ١: ٢١-٣٩.. الخ)

وبسبب هذه النظرة للعبادة، وجد الشعب نفسه يمازج بين عبادته وبين العبادات الوثنية، بين طقوسه وبين الطقوس الوثنية، ربما بحثاً عن التغيير أو بحثاً عن الإثارة.

ولم يكتف الشعب القديم بهذا الأمر ، إذ بدأ البعض منهم ينظر إلى العبادة باعتبارها تجارة مربحة، لدرجة أن الرب يسوع المسيح عندما دخل الهيكل ووجد فيه الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَرًا وَغَنَمًا وَحَمَامًا وَالصَّيَّارِفَ جُلُوسًا. صَنَعَ سَوَطًا مِنْ حِجَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَّارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ. وَقَالَ لِبَاعَةِ الْحَمَامِ (ارْقُتُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ)¹.

أما البعض الآخر فقد نظر إليها كسياسة تقود للسلطة والنفوذ وامتلاك المراكز الاجتماعية الأفضل. مما جعل رجال الدين يتطاحنون على المناصب الكهنوتية مُستعِينِينَ بِرِجَالِ السِّيَاسَةِ وَالْمَالِ، فَانْفَتَحَتِ الْأَبْوَابُ أَمَامَ أَنْاسٍ أَشْرَارٍ هَمَّهُمْ لَيْسَ مَجْدُ اللَّهِ لَكِنْ مَجْدُ أَنْفُسِهِمْ، فَوَصَلَ مَعَ الْأَسَفِ فِي خِصْمِ هَذِهِ الْمَعَارِكِ إِلَى قِمَّةِ الْمَنَاصِبِ الْكَهْنَوْتِيَّةِ رِجَالًا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَا بِالْمَلَائِكَةِ وَلَا حَتَّى بِمَعْظَمِ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ.

وهكذا كلما ضاع مفهوم العبادة الحقيقي من ذهن العابد تحولت العبادة إلى تجارة مربحة مالياً وسياسياً، أو في أضعف الإيمان إلى مادة لتخدير ضمير العابد الذي يحتج ويشتكى عليه نهراً وليلاً.

ثانياً- العبادة في العهد الجديد

بموت الرب يسوع المسيح ودفنه وقيامته، أصبحت ذبائح وقرابين العهد القديم في خبر كان (لَأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ اكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ)².

¹ - يوحنا ٢: ١٦.

² - عبرانيين ١٠: ١٤.

وبناءً عليه لم يعد المؤمن في حاجة إلى ذبيحة دموية ولا إلى كاهن أرضي^١، فالكهنوت القديم بكل رموزه وما يمثله من نظام عبادة قد أُبطل كما هو مكتوب (فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا)^٢.

وهكذا جاء نظام عبادة جديد، فيه يُعبد الله بالروح والحق دون السؤال عن الزمان أو المكان أو الاتجاه أو الشكل الخارجي للعابد (الثياب الكهنوتية).

وفي هذا النظام الجديد

(١) يقود الروح القدس قلب المؤمن ليكون بحسب مشيئة الله.

(٢) يشفع الروح القدس بصلواتنا لتكون مرضية أمام الله.

(٣) بالموهب التي يوزعها الروح القدس على المؤمنين، يقود الجماعة المسيحية (الكنيسة) في العبادة.

ولأن الإنسان الساقط تحت ثقل الخطية لا يمكن للروح القدس أن يسكن فيه، ولأنه بذاته لا يستطيع أن يعبد الرب كما يليق، كان لابد من تغيير عمله الرب في قلب المؤمن ليصبح قلباً جديداً بأهداف جديدة وطموحات جديدة غايتها مجد الله، وهذا ما نسميه بالولادة الجديدة، ولادة يختبرها الإنسان ساعة إيمانه بالرب يسوع المسيح. ولادة يفتح فيها المؤمن قلبه ليسكن فيه الروح القدس ويقوده في عبادة ترضي الرب.

في الأيام الأولى للمسيحية كانت العبادة ما تزال مرتبطة بالهيكل والمجمع، حيث نجد المسيحيين من أصل يهودي يجتمعون ويصلّون في المجمع^٣ اليهودية

١ - باعتبار أن الذبيحة لا يمكن أن تقدم بدون كاهن.

٢ - عبرانيين ٧: ١٨.

٣ - أعمال ١٣: ٥، ١٤ + أعمال ١٤: ١ + أعمال ١٧: ١ + أعمال ١٨: ٤.

أو الهيكل^١ (أي في دار الأمم) حتى خرابه على يد تيطس الروماني عام (٧٠ ميلادية). إضافة لاجتماعهم في البيوت^٢ أو في أماكن خاصة كمدرسة تيرانس^٣.

ويبدو أنه كان هناك نوعان من الاجتماعات، الأول خاص بالمؤمنين لصنع عشاء الرب^٤، والثاني اجتماع عام^٥ مفتوح للجميع من مؤمنين وغير مؤمنين للكراسة بالإنجيل. وهذا الاجتماع العام لم يكن فوضوياً بل هو مرتباً بشكل دقيق^٦ (وَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ بِلِيَاقَةٍ وَبِحَسَبِ تَرْتِيبٍ).^٧ وهو يتضمن الأمور التالية:

أ- الصلاة والشكر من كثيرين، الواحد بعد الآخر، مؤيدة من الجميع بكلمة أمين (١كورنثوس ١٤: ١٤-١٦)

ب- الترنيمة (أفسس ٥: ١٩ + كولوسي ٣: ١٦)

ت- قراءة كلمة الله (كولوسي ٤: ١٦ + ٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧)

ث- التقديمات (١كورنثوس ١٦: ١)

لكن هذا لا يعني وجود برنامج موحد للعبادة في جميع الكنائس فشكل الاجتماع كانت تحدده المواهب التي أعطيت للمؤمنين!

١ - أعمال ٢: ٤٦ + أعمال ٣: ١ + أعمال ٥: ٢٠، ٢٥، ٤٢.

٢ - أعمال ٢: ٤٦ + رومية ١٦: ٥ + ١كورنثوس ١٦: ١٩ + فيلمون ٢.

٣ - أعمال ١٩: ٩

٤ - كانوا يصنعونه عقب وليمة محبة يشترك فيها جميع المؤمنين (١كورنثوس ١١: ٢٠-٣٤)

٥ - ١كورنثوس ١٤: ٢٣-٢٥.

٦ - وهذا ما توضحه بشكل جلي الإصحاحات (١١-١٤) من رسالة بولس الرسول الأولى إلى كنيسة كورنثوس، إضافة لمقاطع أخرى من الرسائل.

٧ - ١كورنثوس ١٤: ٤٠.

لكن مع الأسف فإن الكنيسة أيضاً عبر تاريخها قد تعرضت لضلالات وبدع متعددة، وبقدر ما حارب الأمناء لسلامة مسيرتها بقدر ما حارب الأشرار لهلاكها.

وهكذا نرى الرسل في بداية تاريخ الكنيسة يجتمعون في مؤتمرهم الأول ليكتبوا إلى المؤمنين من أصل أممي في أنطاكية وسورية وكيلىكية (أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ وَعَنِ الدَّمِّ وَالْمَخْنُوقِ وَالزَّيْنِ الَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعَمًا تَفْعَلُونَ. كُونُوا مُعَافِينَ)^١.

وفيما بعد يكتب الرسول بولس إلى الكنيسة في كورنثوس (لِذَلِكَ يَا أَجَبَائِي اهْزُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ)^٢، ويكتب الرسول يوحنا إلى الكنيسة (أَيُّهَا الْأَوْلَادُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ) (التعاليم المناقضة لحقائق الإيمان). آمِينَ)^٣

وكل هذا بسبب احتكاك المسيحيين الأوائل بالعالم الوثني، حيث وجدوا أنفسهم أمام كم كبير من الفلسفات والتعاليم والممارسات التي لم يجدوا رداً عليها، كون الكتاب المقدس لم يكن قد اكتمل بعد بصورته النهائية، وكل ما توفر منه بين يدي المؤمنين هو عبارة عن نسخ لبعض الأسفار ولاسيما أسفار العهد الجديد، مما ولد ضعفاً في العقيدة وضياح في بعض نواحي العبادة.

يضاف إلى ذلك حركة التجديد الجماعي التي شهدتها القرون الأولى للمسيحية، والتي كان من نتيجتها تدفق الأعداد الكبيرة من الوثنيين إلى الإيمان المسيحي، وهم الذين اعتادوا العبادة من خلال المجسمات وكل ما يرتبط بالحواس، فأربكوا الكنيسة وأحدثوا تحولاً في نمط عبادتها.

١ - أعمال الرسل ١٥: ٢٩

٢ - ١ كورنثوس ١٠: ١٤.

٣ - ١ يوحنا ٥: ٢١.

إن أعدادهم الضخمة، وقلة المؤهلين لتدريبهم، والحاجة لضبطهم ضمن جماعة المؤمنين، جعلت الكنائس تميل لتلبية بعض رغباتهم في العبادة، لإعطائهم الشعور بالقبول وأنهم ليسوا غرباء.

وباعتبار أن تحقيق هذه الرغبات يساعد في فهم حقائق الإيمان كما ظن البعض، صارت العبادة النافلة، أي العبادة الصادرة عن استحسان الإنسان، والزائدة عن الفرض أو المرسوم بحسب مشيئة الله المعلنّة في الكتاب المقدس، جزءاً من العبادة المسيحية، واستمرت هذه العبادة النافلة إلى أيامنا الحالية.

صحيح أنه لم تُعبد الأصنام بشكل حرفي، لكن ممارسة الكثير من الطقوس والعقائد التي تسمى مع الأسف مسيحية يُعتبر بالحقيقة عبادة أوثان. وبسبب هذه الأمور نشأ صراع عقائدي بين الكنائس لم ينته ولن ينتهي، وما زال الأمناء في الكنائس يبذلون كل الجهد لتصحيح أي انحراف عن الكتاب المقدس.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

^١ - من طقوس، أو فلسفات، أو تشخيص للعبادة.

الباب الثالث

الكنيسة

كانت الكنيسة دوماً في فكر الله، وهي قصده من قبل تأسيس العالم، إنها (السِّرُّ الْمَكْتُومُ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللَّهِ) ^١، (السِّرُّ الَّذِي كَانَ مَكْتُوماً فِي الْأَزْمَنَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَلَكِنْ ظَهَرَ الْآنَ وَأَعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ) ^٢.

إن كلمة كنيسة في العهد الجديد مترجمة عن الكلمة اليونانية (ἐκκλησία) والتي تُقرأ (ek-klay-see'-ah) وهي تعني [دعوة لاجتماع شعبي] ^٣، وبشكل خاص اجتماع ديني (اجتماع يهودي للعبادة. أو جماعة مسيحية من الأعضاء على الأرض، أو القديسين في السماء ^٤، أو كلاهما) ^٥. ومن الجدير بالذكر أن كلمة كنيسة تشير دائماً إلى جماعة مدعوة، (ولا تشير أبداً إلى مكان للعبادة) ^٦.

كان الرب يسوع المسيح أول من استخدم هذه الكلمة (قبل تأسيس الكنيسة في يوم الخمسين) ليشير إلى كل جماعة المؤمنين به (متى ١٦ : ١٨)، والتي بعد الخمسين قيل عنها (وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ) ^٧.

١ - افسس ٣ : ٩.

٢ - رومية ١٦ : ٢٥-٢٦.

٣ - ترجمت كلمة كنيسة ثلاث مرات في العهد الجديد إلى (محفل) لتشير إلى اجتماع شعبي (أعمال ١٩ : ٣٢، ٣٩، ٤١).

٤ - قارن (هَذَا هُوَ (مُوسَى) الَّذِي كَانَ فِي الْكَنِيسَةِ فِي الْبَرِّيَّةِ مَعَ الْمَلَكِ الَّذِي كَانَ يُكَلِّمُهُ فِي جَبَلِ سَيْنَاءَ وَمَعَ آبَائِنَا..) أعمال ٧ : ٣٨.

٥ - قارن (وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ..) عبرانيين ١٢ : ٢٣.

٦ - Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G1577

٧ - دائرة المعارف الكتابية، حرف (ك)، باب كنيسة.

٨ - أعمال ٢ : ٤٧.

ومن الملاحظ أن كلمة كنيسة استخدمت أيضاً لتشير إلى جزء من جماعة المؤمنين بالمسيح في مكان معين، بغض النظر عن عدد هذه الجماعة، مثلاً (الكنيسة التي في أورشليم)^١، و(الكنيسة التي في أنطاكية)^٢، و(الكنائس السبع التي في آسيا)^٣، و(الكنيسة التي في كورنثوس)^٤، و(الكنيسة التي في بيتك)^٥، الخ

أما عن علاقة المسيح بالكنيسة، فهي (عروسه، جسده، لحم من لحمه وعظم من عظامه)^٦، وهو (رأسها)^٧ و(شفيعها)^٨.

أما عن رسالتها فهي (الوسيلة التي تُعرَف العالم على حكمة الله المتنوعة)^٩، و(تحمل رسالة الخلاص للجميع)^{١٠}.

أما عن أصلها فهو وضع جداً، حيث قيل عن المؤمنين الذين اختارهم الرب ليكونوا عروسه (لأنَّنا كُنَّا نَحْنُ أَيْضاً قَبْلًا أَغْيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ، مُسْتَعْبِدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ، مَمْقُوتِينَ، مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً).^{١١}

١ - أعمال ٨ : ١ .

٢ - أعمال ١٣ : ١ .

٣ - رؤيا ١ : ٤ .

٤ - ١ كورنثوس ١ : ٢ .

٥ - فيلمون ٢ + رومية ١٦ : ٥ + كولوسي ٤ : ١٥ .

٦ - أفسس ٥ : ٢٥ - ٣٢ .

٧ - أفسس ٥ : ٢٣ .

٨ - رومية ٨ : ٣٤ .

٩ - أفسس ٣ : ١٠ - ١١ .

١٠ - مرقس ١٦ : ١٥ - ١٦ .

١١ - تيطس ٣ : ٣ .

لكن مع ذلك أحب المسيح الكنيسة بطريقة تسمو عن الوصف (لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ (الخطاة))^١، إنها محبة تفوق الوصف بكل أبعادها، محبة غايتها أن يقدس الكنيسة (وَلِأَجْلِهِمْ أَقْدَسُ أَنَا ذَاتِي لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ)^٢، وأن يُطَهَّر الكنيسة (مُطَهَّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ)^٣، وأن يُمَجِّد الكنيسة (وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدًا)^٤.

^١ - يوحنا ١٥: ١٣.

^٢ - يوحنا ١٧: ١٩. وهذا يرتب على المؤمنين مسؤولية (لَسَنَتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ؟ لَأَنْتُمْ قَدْ اشْتَرَيْتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللَّهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمْ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ). ١ كورنثوس ٦: ١٩-٢٠.

^٣ - أفسس ٥: ٢٦.

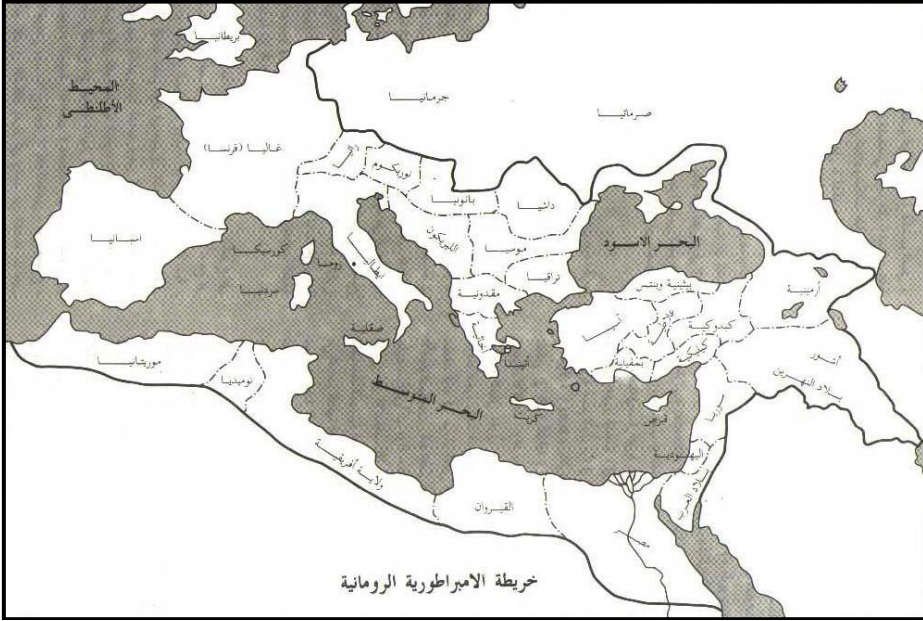
^٤ - يوحنا ١٧: ٢٢. أيُّ مجدٍ هذا لعروس أخذت من مزايل العالم ورُفِعت إلى المجد، مجد

الله!!

الفصل الأول

البيئة الرومانية اليونانية

في الوقت الذي ولد فيه المسيح كان العالم المعروف آنذاك مهيباً لاستقباله، فالرومان واليونان إضافة لليهود قد أسهموا دون قصد في قيادة التاريخ إلى المرحلة التي أتاحت للمسيح أن يأتي إلى عالمنا هذا لكي يغير وجه الأرض^١.



إن الإمبراطورية الرومانية التي كانت تسير وراء ديانات الأساطير وعبادة الإمبراطور^٢ هي التي شكلت في ذلك الوقت التاريخ سياسياً، وساهمت من خلال تميزها بعدة أمور بإعداد الطريق وتهينته أمام المسيح.

١ - (وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ) غلاطية ٤: ٤.

٢ - كان يظهر على أحد وجهي العملة الرومانية المتداولة في عصر المسيح رأس الإمبراطور اغسطس قيصر الذي كان قد توفي في ذلك العهد مكتوباً تحتها (الله الحاكم الأعظم) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ١، ص ١٨.

أ- تميزت الإمبراطورية الرومانية بأنها دولة القانون أو دولة العدالة، مما جعل كل رعاياها يشعرون بوحدتهم كبشر في مملكة واحدة، بغض النظر عن العرق أو اللون، وبأنهم واحدٌ تحت القانون.

وهكذا تهيأت البيئة المناسبة فكرياً لانتشار الإنجيل الذي ينادي بأن جميع البشر تحت قانون الله واحدٌ في الخطية. وأنَّ الجميع لهم ذات الفرصة بغض النظر عن العرق أو اللون، ليكونوا واحداً في ملكوت الله.

ب- تميزت الإمبراطورية الرومانية وبشكل خاص في القرن الأول والثاني الميلادي بالسلام والأمن الذي كان يفرضه الجنود الرومان في كل مكان، أي في البحر واليابسة. ورغم بعض الثورات القليلة العدد، وبعض الحوادث على حدود هذه الإمبراطورية الواسعة الأرجاء، استمر النسر الروماني يرفرف معلناً قوة جيشها وسيادة أمنها وقانونها.

وهكذا تهيأت الفرصة المناسبة للمسيحيين الأوائل كي يتحركوا بحرية من مكان لآخر لتوصيل بشارة الإنجيل.

ت - تميزت الإمبراطورية الرومانية بأنها إمبراطورية عمران، إذ أنشأت شبكة من الطرق التي تتفرع من الساحة العامة في روما متجهة إلى كل مكان حيث تخترق الجبال والوديان والبراري لتغطي كافة أنحاء الإمبراطورية.

وهكذا تهيأت الفرصة المناسبة للمسيحيين الأوائل كي يتحركوا سريعاً في هذه الطرق بغية نشر رسالتهم.

ث - تميزت الإمبراطورية الرومانية أيضاً بأنها لم تلغ ديانات الأمم والقبائل التي وقعت تحت حكمها، وكانت كل هذه الديانات تقريباً تقدم ذبائح دموية لآلهتها إما إرضاءً لها أو هرباً من شرها. وقد اكتشف الكثيرون أن هذه الذبائح لم تصنع شيئاً مهماً لهم.

وهكذا تهيأت الفرصة المناسبة للمسيحيين الأوائل كي يقتادوا الآخرين لقبول نوع آخر من الذبائح، ألا وهو ذبيحة المسيح التي تمت على الصليب مرة واحدة وإلى الأبد، والتي تم فيها مصالحة الإنسان الخاطئ مع الله القدوس، وبالتالي ضمان الحياة الأبدية.

ج - بالرغم من وجود حياة صاخبة في الإمبراطورية الرومانية، حياة مليئة بالتسلية والمسرح والمصارعة حتى الموت، وبالرغم من وجود آلهة متعددة، وهياكل وشعائر دينية مؤثرة، وترانيم مختلفة، لكن الحياة الرومانية من الناحية الدينية كانت فارغة ولا تستطيع أن تعطي أي معنى للحياة، مما هيا الأرضية لقبول الإيمان المسيحي.

أمّا أثينا التي كانت تحت الحكم الروماني فهي التي غزت روما بكل عظمتها فكرياً، لدرجة أصبحت معها اللغة اليونانية هي اللغة السائدة بين جميع الأمم المنضوية تحت النسر الروماني فالجميع يتكلمها من العامة إلى الخاصة (الفلاسفة والمتقنين).

وبهذه اللغة التي تخاطب الجميع انتشرت المسيحية في كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وفيها كُتب المسيحيون العهد الجديد، بينما كتب يهود الإسكندرية العهد القديم في ترجمته السبعينية (LXX).

كانت ديانات الأساطير وتعدد الآلهة وما يرافقها من قناعات غير قادرة على الصمود أمام الفلسفة الإغريقية مما جعل المفكرين يهجرونها إلى الفلسفة اليونانية وذلك من خلال أمرين:

١- إنها زرعت الشكوك بالآلهة القديمة من خلال تأكيدها بعدم نفعهم، فقد كانت الفلسفة هي الإطار الذي من خلاله يُعطى المعنى لكل الأساطير والتقاليد الدينية، ولكن عندما انفصلت واستقلت الفلسفة عن الدين، بدأ رجالها يُقنعون

الناس بأن آلهتهم لا تستحق العبادة لأنها في كثير من الأحيان لم تكن أفضل من عابديها.

٢- إنها حاولت الوصول بالناس لشيء أفضل من آلهتهم.

ومع أنها نجحت في تغيير قناعات الناس وتغيير طريقهم، لكنها بالمقابل لم تستطع أن تشبع احتياجاتهم الروحية، فجعلتهم أمام واحد من خيارين، إما أن يعودوا للأساطير الدينية، أو يفتشوا عن بديل آخر.

وهكذا تهيأت الظروف تماماً لانتشار المسيحية التي أنزلت الفلسفة اليونانية بقوة عن عرشها الذي رفعها إليه سقراط^١ وتلميذه أفلاطون^٢ ومن بعدهم أرسطو^٣، لتجلس مكانها، حين قدمت لهم الحل الروحي والمنطقي في معالجة أمور الحياة.

^١ - (٤٧٠ - ٣٩٩ ق.م.)

^٢ - (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م.)

^٣ - (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.)

الفصل الثاني

البيئة اليهودية

إزاء التيار الروماني اليوناني الجارف وجد اليهود أنفسهم أمام أحد خيارين:

١- الترحيب بهذه الحضارة وقبولها.

٢- رفض هذه الحضارة والتمسك بناموس موسى.

وهكذا ظهر تياران:

الأول (الصدوقيون) الذين ركزوا سلطانهم في الهيكل واعتبروا هليينيين. كانوا يشكلون الطبقة الارستقراطية في المجتمع والتي لها صلات قوية مع الرومان. رفضوا التقليد، والقيامة، ووجود الملائكة والأرواح، وتمسكوا بأسفار موسى الخمسة.

الثاني (الفريسيون) الراضون للحضارة الهلينية، والتمسكون بالتقليد وكل الكتاب المقدس. وبين هذين الجناحين نشأ صراع عنيف.

بينما اليهود الذين كانوا خارج فلسطين أطلق عليهم لقب يهود الشتات، وهؤلاء تعايشوا مع الحضارة الهلينية كجاليات مستقلة في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط، لكنهم مع ذلك لم يسمحوا لأنفسهم بالتفريط في يهوديتهم.

وكان المجمع^١ بالنسبة لهم هو مركز حياتهم الروحية والسياسية، وقد استطاعوا من خلال حياتهم الأخلاقية المميزة المستمدة من التوراة أن يجتذبوا الكثيرين إلى عبادتهم وحياتهم، وهؤلاء أطلق عليهم لقب الدخلاء.

^١ - المجمع هو مكان للعبادة ظهر متأخراً في حياة الأمة اليهودية بسبب ظروف السبي، فيه كانت تقرأ الكلمة وتعلم، وفيه كانت تناقش مشاكل الأمة الاجتماعية ويُبَت فيها، ولكن لم تقدم فيه أية ذبائح، فهو ليس بديلاً عن الهيكل، إنما رديفاً له.

ويعتبر (فيلو اليهودي)^١ الذي عاش في الإسكندرية من أعظم الفلاسفة اليهود الذين تتقنوا بالثقافة اليونانية، والذي عمل على ربط أفكار العهد القديم بمفاهيم الفلسفة اليونانية متبنياً في ذلك التفسير المجازي، كما عملت بعض الفرق المسيحية فيما بعد.

في وسط هذا الجو السياسي، والفكري، والصراع الديني، ترجى اليهود قدوم عصر أفضل، البعض منهم جعل الصلاة أداة رجائه^٢ والبعض الآخر استبدل الصلاة بالسيف.

فلا غرابة إذاً أنه عندما جاء يوحنا المعمدان يركز بمعمودية التوبة، ويُعد الطريق للمسيح الرب، أن تدفق عليه الناس من كل مكان ليعتمدوا منه في نهر الأردن مهئين أنفسهم للدخول في ملكوت المسيح المنتظر.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

^١ - (٢٠٠ ق.م - ٥٠ م)

^٢ - لوقا ٢: ٣٦، ٢٥-٣٨.

الفصل الثالث

نشأة الكنيسة

(وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةَ فِيلُبُّسَ سَأَلَ تَلَامِيذَهُ: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» فَقَالُوا: «قَوْمٌ يُوَحِّدُنَا الْمَعْمَدَانُ وَآخَرُونَ إِيْلِيَّا وَآخَرُونَ إِرْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»^١. قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سِمْعَانُ بَطْرُسُ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بَطْرُسُ (Πέτρος)^٢ وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ (πέτρα)^٣ أَبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. مت ١٦: ١٣-١٨.

يعلن الرب يسوع أمام مجموعة من التلاميذ اليهود أنه سيبنى كنيسة على الصخرة، والصخرة في العهد القديم بمعناها المجازي تشير دائماً إلى الرب، ولا تشير أبداً للإنسان. وبلا شك قد فهم الجميع أن الرب لا يريد أن يميز بطرس عنهم بأن يجعله (صخرة) أي يرفعه لمصاف الألوهة وهو مجرد (حجرة صغيرة). فالرب يريد أن يبني الكنيسة بنفسه باعتباره (صخرة، إله) أي يبنّيها على ما أعلن لبطرس من السماء أن المسيح هو (ابنُ اللَّهِ الْحَيِّ).

١ - حتى يومنا هذا مازال أغلب الناس يرددون نفس الجواب.

٢ - تُقْرَأُ (Petros)، وتعني (جزءاً من صخرة)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4074

٣ - تُقْرَأُ (Petra)، وتعني (كتلة من الصخر، أو صخرة)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4073

٤ - قارن (تثنية ٣٢: ١٥ + صموئيل ٢٢: ٣٢، ٤٧ + مزمور ١٨: ٣١ + مزمور ٧١: ٣ +

مزمور ٩٥: ١ + اشعيا ٤٤: ٨ الخ..)

٥ - (...وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ) ١ كورنثوس ١٠: ٤.

فما أعلنه الآب السماوي لبطرس لم يكن شيئاً سرياً يخصه أو يفخر به أمام بقية التلاميذ، بل كان إعلاناً للجميع أنه مزعم أن يصنع أمراً جديداً، كياناً جديداً، يدعى الكنيسة.

وبلا شك أن حياة الرب يسوع المسيح وموته، ثم قيامته وصعوده وبقائه حياً إلى الأبد، أكدت بقوة ضرورة قيام هذا الكيان الذي لا يموت والذي يبقى مثل مؤسسه حياً إلى الأبد.

ومن الغريب أن الرب يسوع في حديثه للتلاميذ لم يذكر تفاصيل بناء الكنيسة أو كيفية إدارتها، لكنه اكتفى بأن صلى لوحدها^١ وأطلق تلاميذه قائلاً (اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا).^٢ (وَأَمَّا هُمْ) بعد يوم الخمسين) فَخَرَجُوا وَكُرِّزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ...^٣.

واعتباراً من يوم الخمسين (تاريخ ميلاد الكنيسة) وصاعداً بدأت النفوس بالآلاف^٤ تقبل ما يعلنه التلاميذ عن يسوع بأنه ابن الله الحي ومخلص جميع الخطاة، ولأن هذا الإعلان هو تحدٍ لتغيير الحياة وضمان الأبدية فقد تجاوب الناس معه بالتوبة والمعمودية، لينضموا إلى الكنيسة.

إن هؤلاء الذين شكلوا الكنيسة، أي الأشخاص الذين اعترفوا بإيمانهم بالمسيح يسوع رباً ومخلصاً، وتجددوا واعتمدوا، ويدعون أبناء الله^٥، وإخوة^٦، وقديسين^٧ في

^١ - يوحنا ١٧ : ١١ .

^٢ - مرقس ١٦ : ١٥ .

^٣ - مرقس ١٦ : ٢٠ .

^٤ - اعمال ٢ : ٤١ + ٤ : ٤ .

^٥ - رومية ٨ : ١٩ + غلاطية ٣ : ٢٦ .

^٦ - متى ٢٣ : ٨ .

^٧ - عبرانيين ١٣ : ٢٤ .

المسيح يسوع، أخذوا يشعرون يوماً بعد الآخر أنهم مجموعات بشرية تتميز بصفات وقيم وأخلاق مشتركة تربطهم ببعضهم ببعض، وبنفس الوقت تميزهم عن غيرهم.

وبدأ هؤلاء ككيان جديد، مع كونه مميز عن اليهودية يجتمعون تارة في الهيكل كما هو مكتوب (وَكَاثُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ (دار الأمم) بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ).^١، أو في المجامع^٢ لينشروا رسالة سيدهم. وتارة في البيوت ليمارسوا أمراً خاصاً (وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةٍ قُلُوبُ مُسَبِّحِينَ اللَّه)^٣.

ولقد تميزت الكنيسة بعدة أمور:

- ١- بالمواظبة على (تعليم الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَاةِ).^٤
- ٢- بالعبادة يوم الأحد^٥ (أول الأسبوع).
- ٣- بالمواظبة على أمر مسلكي مثير للانتباه، في وقت انتشرت فيه الفردية بين الناس (وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ

١ - أعمال ٢: ٤٦.

٢ - (وَبَعْدَ قِرَاءَةِ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُؤَسَاءُ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ إِنْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ كَلِمَةٌ وَعَظٌ لِلشَّعْبِ فَقُولُوا) أعمال ١٣: ١٥.

٣ - أعمال ٢: ٤٧.

٤ - أعمال ٢: ٤٢.

٥ - أول الأسبوع هو يوم الأحد (وَبَعْدَ السَّبْتِ عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الْأُخْرَى لِيَنْتَظِرَا الْقَبْرَ). متى ٢٨: ١، فيه كانت الكنيسة تجتمع للعبادة (وَفِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا خُبْزاً خَاطِبُهُمْ بُولُسُ وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمْضِيَ فِي الْغَدِ وَأَطَالَ الْكَلَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ). أعمال ٢٠: ٧+ (وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْجُمُعِ لِأَجْلِ الْقُدِّيسِينَ فَكَمَا أُوصِيَتْ كَنَائِسَ غَلَاطِيَّةً هَكَذَا افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضاً. فِي كُلِّ أَوَّلِ أُسْبُوعٍ لِيَضَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عِنْدَهُ خَازِناً مَا تَيْسَّرَ حَتَّى إِذَا جِئْتُ لَا يَكُونُ جَمْعٌ حِينئِذٍ) ١ كورنثوس ١٦: ٢-١.

شَيْءٍ مُشْتَرَكًا. وَالْأَمْلَاقُ وَالْمُقْتَنِيَّاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ
الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احتياجٌ.^١

وشيئاً فشيئاً بدأت الكنيسة تنتظم مثل كل كيان بشري وذلك بظهور وظائف أو
خدمات متعددة فيها، كالرسل والأنبياء والمعلمين والمبشرين والرعاة والمدبرين
الخ.. (فَوَضَعَ اللهُ أَنْاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ
وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَانًا تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ السِّنَةِ).^٢

وقد أوكل الرب يسوع إلى الكنيسة الحكم النهائي^٣ فيما تتخذه من قرارات
وإجراءات إن كان من جهة التأديب أو من جهة الغفران^٤، ومرجعها في ذلك
الكتاب المقدس.

وعلى ما يبدو أن كل كنيسة كانت تتولّى أمورها بنفسها فمشاكل كورنثوس
مثلاً لم تُحلّ في أفسس أو غلاطية أو أورشليم، لكنها عولجت من قبل كنيسة
كورنثوس. ونفس الأمر يبدو أيضاً في الرسائل الموجهة للكنائس السبع. وهذا ما
يقودنا إلى الافتراض بأن الكنائس كانت تتمتع بإدارة ذاتية مستقلة.

لكن هذه الاستقلالية لم تكن بأي حال من الأحوال عائقاً أمام ارتباط الكنائس
بعلاقات المحبة الأخوية والتعاون في حقل الكرازة والخدمات الاجتماعية^٥. فالدول
التي نمت فيها الكنيسة لم تكن تعمل على ضمان شيخوخة أفرادها ولا كانت تهتم
بتسديد احتياجات فقرائها، وكون الكنيسة جُلّ أعضائها من الفقراء أخذت على
عاتقها ممارسة دور السامري الصالح، فجمعت المال من القادرين على العطاء

١ - أعمال ٢: ٤٤-٤٥.

٢ - ١ كورنثوس ١٢: ٢٨.

٣ - متى ١٨: ١٧-٢٠ + ١ كورنثوس ٥.

٤ - ٢ كورنثوس ٢: ٧-٨.

٥ - رومية ١٥: ٢٦ + ٢ كورنثوس ٩: ٥ + غلاطية ٢: ١٠.

ليوزعه شمامستها على أصحاب الحاجة، و قامت الأخوات بصنع الثياب وتوزيعها على الفقراء^١.

وأيضاً هذه الاستقلالية لم تكن عائقاً أمام وحدة الكنيسة التي صلى لأجلها الرب يسوع قائلاً (لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي)^٢.

فهذه الوحدة ليست إدارية كما يحلوا للبعض أن يصفها كي يُلزم الجميع بقيادة واحدة، لكنها وحدة روحية كما هو مكتوب (مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلَامِ. جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ)^٣.

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة التي عاشت في مجتمعات تمارس نظام العبودية، لم تدعُ أفرادها للثورة وتغيير هذا النظام بالقوة بل حثّت العبيد أن يكونوا أمناء في خدمة أسيادهم، وحثت الأسياد أن يكونوا مترققين بإخوتهم العبيد. وطالبت الجميع بأن يكونوا مواطنين صالحين يخضعون للسلطين حتى لو كانوا عنفاء ظالمين، وأن يوفوا ما عليهم من التزامات تجاه دولتهم من دفع ضرائب وغيرها، وأن يرفعوا الصلوات من أجل كل من هو في منصب، وأن يقاوموا شرور الجميع بالخير كما فعل معلمهم وربهم يسوع المسيح.

وقد أصرت الكنيسة الأولى على انفصالها عن ممارسات المجتمع الروماني الوثنية، إلا أنها لم تتفصل في كل العلاقات الاجتماعية الإنسانية، بل اختلطت مع

١ - أعمال ٩: ٣٦-٤١.

٢ - يوحنا ١٧: ٢١.

٣ - أفسس ٤: ٣-٥.

الآخرين وشجعت على ذلك طالما أن هذا الاختلاط لا يسبب أي تفريط بعقيدها وإيمانها^١.

وأخيراً فإن الكنيسة تتمتع بوعده من الرب أنه باق معها إلى انقضاء الدهر، وأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، أو بتعبير آخر لن تقوى على الصمود أمامها، وأن المؤمنين تتبعهم هذه الآيات (يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَّةِ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لَا يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرِأُونَ)^٢.

أما أعظم المواعيد فهو المجد الذي ينتظرها في نهاية الزمان عندما يصنع الله كل شيء جديداً إذ تتوج الكنيسة بالجلوس في عرش ابن الله كما قال الرب له المجد (مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِيَ فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضاً وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ)^٣، (أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطَيْتَنِي...)^٤.

١ - ١ كورنثوس ٥: ١٠، ١٠: ٢٠-٣٣.

٢ - مرقس ١٦: ١٧-١٨.

٣ - رؤيا ٣: ٢١.

٤ - يوحنا ١٧: ٢٤.

الباب الرابع

خُدَام الكنيسة

* مقدمة

عندما نتحدث عن خُدَام الكنيسة، فنحن نتحدث عن نظام داخل الكنيسة، هو بالحقيقة جزء من منظومة تشمل الكون بأسره، وهو يحقق شخصية الله الذي قيل عنه (لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ (فوضى) بَلْ إِلَهٌ سَلَامٌ (ترتيب) كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقَدِّيسِينَ)^١.

إن هذا النظام، أو هذا الترتيب، بالإمكان رؤيته في كل مكان، حيث هناك شبكة من النظم المتداخلة بعضها مع بعض والتي تحكم كل شيء بتوافق.

دعونا نتذكر إن كل علاقة يحكمها نظام، وكل نظام يحكم أنظمة أصغر منه ويحكم من نظام أكبر منه، وكمثال على ذلك العلاقة بين الإنسان والحيوان والأعشاب، فالأعشاب لها نظام معين تعيش فيه، أي مجموعة من العلاقات التي تربط التربة، بالضوء بالمياه بالحرارة الخ.. وأي اختلال بهذه العلاقات يؤدي إلى موت الأعشاب.

كذلك الحيوان له نظام معين يعيش فيه، أي مجموعة من العلاقات التي تربط الأعشاب بالمياه بالحرارة الخ.. وأي اختلال بهذه العلاقات يؤدي إلى موت الحيوان.

كذلك الإنسان له نظام معين يعيش فيه، أي مجموعة من العلاقات التي تربط الأعشاب بالحيوان بالحرارة بالمياه الخ.. وأي اختلال بهذه العلاقات يؤدي إلى موت الإنسان.

^١ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٣.



وهكذا لا يمكن أن ترى في هذا الكون أي شيء، أو أي مجموعة تتحرك بفوضى، بل كل شيء بنظام وترتيب. أما كل من يدعو إلى الفوضى أو إلى كسر النظام فإنما يعمل عكس ترتيب الله وستكون نهايته هي الخضوع للنظام الأقوى الذي يأمر بتلاشي الفوضى ودوام الترتيب^١.

فإن كان النظام هو أساس كل العلاقات وسبب نجاحها، فكم بالحري عندما نتكلم عن الكنيسة التي هي بناء الله والتي تدوم إلى الأبد. إنها بلاشك قائمة على نظام واضح يخضع له الجميع.

يخبرنا الكتاب المقدس عن أهمية التنظيم، فنحن نقرأ^٢ مثلاً إن الرب نظم أسباط بني إسرائيل حول خيمة الاجتماع ليعرف كل عضو مركزه في الجماعة وإلى أي فرقة أو سبط ينتمي، وبالتالي أصبح هذا الشعب أكثر فعالية إن كان من جهة الحكم أو من جهة الإدارة.

ونقرأ أيضاً عن داود النبي أنه نظم الخدمة أثناء العبادة فقسم الكهنوت إلى أربعة وعشرين فرقة، كل فرقة تخدم في بيت الرب نوبة من أسبوعين كل سنة، وقسم المغنون أيضاً إلى ٢٤ فرقة. وقد أوضح هذا التقسيم أهمية النظام في الخدمة إذ ساعد على ترتيب العبادة وأتاح الفرصة لمشاركة الكثيرين.

إن ما فعله داود كان رائعاً، إنه لم يعطل أبداً عمل روح الله كما يظن البعض من الذين يعتقدون أن التخطيط والتنظيم أعمالاً غير روحية تعطل تلقائية العبادة، لكن العكس هو الصحيح، إذ أن النظام هو الذي يخلق جواً مثالياً للعبادة، والدلالة على ذلك نجاح داود في ما فعله، إذ أن تنظيمه بقي مستمراً إلى يوم الرب يسوع، بل استمر تنظيمه حتى خراب الهيكل عام سبعين ميلادية.

١ - قارن (حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ

دِينُونَهُ) رومية ١٣: ٢

٢ - عدد: ٢.

كذلك نقرأ عن سليمان أنه عندما استلم الحكم نظم شؤون المملكة، فكان لديه أحد عشر وزيراً واثنًا عشر وكيلاً يشرف عليهم مراقب واحد، أو بلغتنا المعاصرة مدير عام، وكان لكل واحد من هؤلاء مسؤولية معينة، ومنطقة محددة عليه إدارتها^١.

إنَّ ما فعله سليمان كان ضرورياً لضمان فعالية الحكومة، لأن التنظيم الجيد يساعد الأشخاص على العمل معاً في انسجام، ويضمن سهولة الوصول إلى الهدف المنشود.

أمَّا الرسول بولس فهو يكتب للكنيسة في كورنثوس منظماً لها العبادة، وطالباً أن يكون كل شيء في توافق وترتيب، ولا عذر للتشويش حتى أثناء ممارسة المواهب الروحية، مستنداً بذلك على شخصية الله حيث يقول (لأنَّ الله لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهٌ سَلَامٌ)^٢. كما يكتب لمؤمني كنيسة تسالونيكي منبراً على ذات الحقيقة (وَنَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلَا تَرْتِيبٍ)^٣، أي عظماء الفوضويين، ولا يكتفي بذلك بل يدعو لتأديبهم قائلاً (وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُطِيعُ كَلَامَنَا بِالرَّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلَا تُخَالِطُوهُ لِكَيْ يَخْجَلَ)^٤.

باختصار، إن الكنيسة جماعة منظمة دائماً، ومنذ البدء دُعيت لكي تسلك بترتيب^٥، ومن المستحيل تصورها كجماعة من الأفراد غير المتماسكين أو

١ - ١ ملوك ٤.

٢ - ١ كورنثوس ١٤: ٣٣.

٣ - ١ تسالونيكي ٥: ١٤.

٤ - ٢ تسالونيكي ٣: ١٤.

٥ - عندما تكون الأمور مرتبة بحكمة من قبل، فإن العابد يشعر بالفرح والطمأنينة والحرية لأنه يعرف أن سلوكه لم يتجاوز ما رسمه له الله. أما إن غاب الترتيب وحدثت الفوضى فهذا دليل على أن الكنيسة لم تسمح لله أن يعمل بين المؤمنين كما يشاء، أي أن يجعل كل شيء بترتيب.

المتراطين، خاصة وإنها قامت من حيث التنظيم على أكتاف المجمع اليهودي المعروف بدقة تنظيمه.

وحتى الكنيسة التي نشأت في أنطاكية وكان جُل أعضائها من اليونانيين المُبشِّرِينَ بالرب يسوع المسيح، يستحيل أن نتصورها مجموعة من الأفراد المتفرقين الذين يجتمعون في أوقات غير محددة بحسب الظروف، أو لأهداف متعددة بحسب الحاجة.

إضافة لذلك فإن جُل الرسائل في العهد الجديد تشير بما لا يقبل الجدل أنها كانت موجهة لكنائس هي عبارة عن جماعات محددة ومنظمة.

ولأن الكنيسة كانت منتظمة، فهي بلا شك كانت تركز على أنواع خدمات رسمها الرسل وتطورت بمفهومها فيما بعد. وستقف بنعمة المسيح على أهم هذه الخدم.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس

الفصل الأول

الخدم المواهبية

أي الخُدام الذين يملكون مواهب الروح القدس، والمقامين من الله بشكل مباشر.

(وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا.... فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ. وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِيظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ (العامة وليس الخاصة). فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلَامٌ حِكْمَةٍ. وَلِآخَرَ كَلَامٌ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ وَلِآخَرَ نُبُوءَةٌ وَلِآخَرَ تَمَيُّيزُ الْأَرْوَاحِ وَلِآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ وَلِآخَرَ تَرْجَمَةٌ أَلْسِنَةٍ. وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا يَفْعَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بَعَيْنِهِ قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفَرِّدِهِ كَمَا يَشَاءُ.... فَوَضَعَ اللَّهُ أَنْسَاءً فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ثَالِثًا مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعُونَا تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ أَلْسِنَةٍ. أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ رُسُلٌ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ أَنْبِيَاءُ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ مُعَلِّمُونَ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟ أَلْعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعَ يُتَرَجِّمُونَ؟ وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أَرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ)^١

(وَهُوَ أُعْطِيَ الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ الْفِدْيَسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِإِنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةٍ مِلءِ الْمَسِيحِ)^٢.

١ - ١ كورنثوس ١٢ : ٣١

٢ - افسس ٤ : ١١-١٣

١- الخادم الرسول (ἀπόστολος)^١

قيلت هذه الكلمة عن الرب يسوع المسيح (رَسُولٌ اعْتَرَفْنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ)^٢، الذي أرسله (الآبَ مُخَلِّصاً لِلْعَالَمِ).^٣ وكل رسول بعد ذلك، إنما هو مرسل من الرب يسوع المسيح نفسه (فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سَلَامٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الْآبُ أَرْسَلُكُمْ أَنَا»)^٤، ومن يقبل هذا الرسول يقبل المسيح نفسه (مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي)^٥، ومن يسمع من هذا الرسول يسمع للمسيح نفسه (الَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي)^٦. وهذه العبارات مع أنه يمكن تعميمها، لكن على الأرجح أنها قيلت بحق الرسل الاثني عشر.

كما استخدمت هذه الكلمة في الإشارة إلى مبعوثي الكنائس (وَأَمَّا أَخَوَانَا فَهُمَا رَسُولَا الْكَنَائِسِ، وَمَجْدُ الْمَسِيحِ)^٧، أو كدلالة على الذين أرسلهم الله إلى شعبه قديماً^٨.

من الملاحظ أنه كان هناك نوعان من الخُدام، الخادم المتجول والخادم المحلي، وكان على رأس الخُدام المتجولين الرسل^٩، فكان للرسول علاقة عامة مع

١ - تُقرأ (ap-os'-tol-os)، وتعني بالأصل اليوناني (مندوب، أو بشكل رسمي مفوض السيد المسيح بقدرات معجزيه)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G652

٢ - عبرانيين ٣: ١.

٣ - يوحنا ٤: ١٤.

٤ - يوحنا ٢٠: ٢١.

٥ - متى ١٠: ٤٠.

٦ - لوقا ١٠: ١٦.

٧ - كورنثوس ٨: ٢٣.

٨ - لوقا ١٠: ٤٩.

٩ - ١ كورنثوس ١٢: ٢٨ + أفسس ٤: ١١.

كل الكنائس، ولم يكن من الضروري أن يكون واحداً من التلاميذ الأحد عشر، فعلاوة على مَتَّى^١ الذي حُسب مع الأحد عشر رسولاً^١، كان هناك الرسل بولس وبرنابا^٢، ويعقوب^٣ أخو الرب، وأنسباء بولس أَنْدْرُونِكُوسَ وَيُونِيَّاسَ^٤.

وهذا يعني أن الرسولية كمصطلح في العهد الجديد لم تكن قاصرة على الرسل الاثني عشر فقط، وإلا ما وجدنا هذا العدد من الناس الذين يدعون^٥ الرسولية وما هم برسل، إذ كان ادعاؤهم قد بَطُلَ منذ البدء.

كان للرسول (بالمعنى الضيق للكلمة أي أحد الاثني عشر) علامات وشروط، أهمها ما حدده الرسول بطرس بمناسبة اختيار بديلاً ليهوذا (فَيَنْبَغِي أَنْ الرَّجَالَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَنَا كُلَّ الزَّمَانِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ إِلَيْنَا الرَّبُّ يَسُوعُ وَخَرَجَ مِنْهُ مَعْمُودِيَّةٌ يُوحَنَّا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي ارْتَفَعَ فِيهِ عَنَّا يَصِيرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَاهِداً مَعَنَا بِقِيَامَتِهِ)^٦، أي أن الرسول هو أحد الأشخاص الذين كانوا مع الرب يسوع المسيح منذ معمودية يوحنا إلى صعوده.

وكان مركز الرسل الاثني عشر فريداً، فهو لم ينتقل إلى غيرهم، ولم يحل أحد محل الذين رقدوا، فمثلاً يعقوب أخا يوحنا^٧ الذي قتل بالسيف لم يأخذ مكانه يعقوب أخو الرب، وبولس لم يأخذ مكان يهوذا الاسخريوطي.

١ - أعمال ١: ٢٦.

٢ - اكورنثوس ٩: ٥.

٣ - غلاطية ١: ١٩.

٤ - رومية ١٦: ٧.

٥ - (لَأَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ هُمْ رُسُلٌ كَذِبَةٌ، فَعَلَّةٌ مَآكِرُونَ، مُغَيِّرُونَ شَكْلَهُمْ إِلَى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ)

٢كورنثوس ١١: ١٣.

٦ - أعمال ١: ٢١-٢٢+١كورنثوس ٩: ١

٧ - أعمال ١٢: ٢.

أما بالمعنى الأوسع للكلمة فأهم الشروط في الرسول أنه رأى الرب بعد قيامته^١، وأنه صنع آيات وعجائب وقوات^٢ كوسيلة لتثبيت الرسالة التي كان يكرز بها^٣، وكان عليه أن يشهد بكل ما رآه وسمعه وأن يكرز بالإنجيل^٤، وأن يؤسس كنائس ويهتم بها^٥، ويضع العقائد ويشرحها (كبولس)، ويمارس سلطانه بالتأديب الكنسي^٦، والبت في المشكلات الهامة في الكنيسة إدارية كانت أو غيرها^٧.

ومن الملاحظ أنه كانت تحدث بعض الظواهر المعجزية نتيجة لوضع أيدي الرسل على أفراد أو جماعات من الناس في بعض مراحل العمل الكرازي^٨، ولكن ليس ثمة إشارة إلى أن هذه الظواهر كانت دائمة فقد تحدث دون وضع أيدي الرسل^٩.

^١ - (١ كورنثوس ٩: ١)، مع العلم أن هناك بعض الرسل لم يخبرنا الكتاب المقدس أنهم رأوا الرب كبرنابا وأنذرُونِكُوسَ وغيرهم، لكن صمت الكتاب لا يعني بالضرورة عدم وجود قصة لقاء مع الرب!!

^٢ - ٢ كورنثوس ١٢: ١٢.

^٣ - عبرانيين ٢: ٤.

^٤ - ١ كورنثوس ١: ١٧.

^٥ - ٢ كورنثوس ١١: ٢٨.

^٦ - ١ كورنثوس ٤: ٢١ + ١ كورنثوس ٥.

^٧ - أعمال ١٥: ٦ + الرسائل الرعوية، بل معظم رسائل العهد الجديد.

^٨ - (أعمال ٨: ١٤ - ١٩ + ١: ٧)

^٩ - أعمال ١٠: ٤٤-٤٨.

ولأن خدمة الرسول هي أهم خدمات الكنيسة فقد قيل عن المؤمنين (مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ)^١.

وعلى ما يبدو أن كلمة رسول تدرجت في معناها لتشمل ثلاث فئات من الخدّام هم:

١- بالمعنى الضيق، الرسل الاثني عشر، وقد ساهموا بوضع العقائد وتفسيرها، وهم يملكون كل المواهب، وإليهم كمرجع يعود الجميع.

٢- بالمعنى الأوسع، الرسل الذين رأوا الرب المقام وصُنعت على أيديهم قوات وعجائب، وهم يملكون كل المواهب، وقد ساهموا أيضاً في وضع عقائد الكنيسة وتفسيرها. وكان لابد لهؤلاء الرسل الذين لم يكونوا من تلاميذ الرب أثناء فترة وجوده على الأرض أن يستندوا إلى أقوال الرسل الاثني عشر فيما يختص بأحداث تلك الفترة، أو بأي نزاع عقائدي قد يظهر للوجود^٢.

٣- بالمعنى العام، الرسل الذين هم مبعوثو الكنائس.

^١ - افسس ٢: ٢٠. وهذه الآية قد تعني:

١- إن الكنيسة ليست مبنية على أفكار حديثة، بل مبنية على تعاليم العهدين، حيث يمثل الرسل تعاليم العهد الجديد، بينما يمثل الأنبياء تعاليم العهد القديم.

٢- إن أساس الكنيسة قد وضعه الرسل والأنبياء (أنبياء العهد الجديد) وبنوا عليه، وهذا الأساس هو المسيح، ويناسب ذلك قول الرسول بولس (كِبْنَاءِ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاساً وَآخِرَ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ. فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وَضَعَ الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ). ١ كورنثوس ٣: ١٠-١١.

٢ - (وَأَنذَرِ قَوْمَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الْإِخْوَةَ أَنَّهُ «إِنْ لَمْ تَخْتَنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى لَا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا». فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبِرَنَابَا مَنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبِرَنَابَا وَأَنَاسُ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ) أعمال ١٥: ١-٢.

ومن هذه الشروط التي كان يجب أن تتوفر في الرسول نفهم أن هذه الخدمة بالنسبة للفئة الأولى والثانية يتم التعيين فيها من قبل الرب بشكل مباشر، وأنها انتهت بوفاتهم. أما بالنسبة للفئة الثالثة فشرط التعيين فيها من قبل الرب مباشرة ليس أساسياً، وهي مازالت قائمة حتى يومنا هذا.

ومع أننا في أيامنا هذه لدينا مرسلون ومؤسسو كنائس حقيقيون (بالمعنى الثالث للكلمة) قد أرسلهم الرب إما بشكل مباشر أو عن طريق كنيسة ما، والبعض منهم قد صنع الله على يديه آيات وعجائب، لكن من المهم أن ندرك أن هؤلاء لا يملكون السلطان الذي كان يملكه الرسل الأوائل سابقاً إن كان من جهة وضع العقائد أو من جهة تفسير الكلمة.

لذلك وتحاشياً لسوء استخدام الكلمة بالنسبة للمرسلين في أيامنا الحالية، من المفضل أن نستبدل كلمة رسول بعارة مندوب الكنيسة.

٢- الخادم النبي (προφήτης)^١

قيلت هذه الكلمة عن الرب يسوع المسيح الذي هو إعلان^٢ الله لنا والذي به كلمنا الأب (الله، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْآبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ)^٣.

فها هو بطرس الرسول وكذلك استفانوس، يعلنان لليهود هذه الحقيقة، إن المسيح هو النبي^٤ الذي تنبأ عنه موسى. وقد اعترف اليهود أيضاً كنتيجة للأعمال

^١ - تقرأ (prof-ay'-tace)، وتعني بالأصل اليوناني (متكلما ملهما).

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4396

^٢ - يوحنا ١: ١٨.

^٣ - عبرانيين ١: ١-٢.

^٤ - أعمال ٣: ٢٢ + ٧: ٣٧.

العظيمة التي صنعها يسوع وسطهم بأنه نبي قائلين (قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ
اللَّهُ شَعْبَهُ)^١.

والمسيح نفسه أَلَمَحَ إلى كونه نبي بقوله (لَيْسَ نَبِيٌّ بِأَلَا كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ
وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ)^٢، و(يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَدًا وَمَا يَلِيهِ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ)^٣.

ومن الواضح أن موهبة النبوة قد ظهرت مع تأسيس الكنيسة في يوم الخمسين
فهاهو بطرس الرسول يعلن في ذلك اليوم (يَقُولُ اللَّهُ: وَيَكُونُ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ أَنِّي
أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ
شُيُوخُكُمْ أَحْلَامًا. وَعَلَى عِبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ
فَيَتَنَبَّأُونَ)^٤، ومن الواضح أن هذه الآية تشير إلى أن الروح القدس هو روح النبوة،
ومن المفترض ظاهرياً أن يملك كل المؤمنين هذه الموهبة باعتبار أن الجميع
يسكنهم الروح القدس. لكن الرسول بولس يوضح الأمر فيقول إن الروح القدس لا
يعطي هذه الموهبة للجميع، بل يوزعها (قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ)^٥.

وبالترتيب، بعد الرسل يأتي الأنبياء الذين ارتبطت خدمتهم مع الرسل في
تأسيس الكنيسة^٦، وهم أشخاصٌ تعيّنوا لهذه الخدمة من قبل الرب، وليس الكنيسة.

^١ - لوقا ٧: ١٦. قارن أيضاً (متى ١٦: ١٤ + ٢١: ١١ + مرقس ٦: ١٥ + يوحنا ٦: ١٤).

^٢ - مرقس ٦: ٤.

^٣ - لوقا ١٣: ٣٣.

^٤ - اعمال ٢: ١٧-١٨.

^٥ - ١ كورنثوس ١٢: ١١.

^٦ - أفسس ٢: ٢٠.

ومن هؤلاء الأنبياء أغابوس^١، ويهوذا وسيلا^٢، وبنات فيلبس الأربع^٣. ويوحنا الرائي^٤، وبعض المؤمنين في كنيسة كورنثوس^٥.

كانت خدمة الأنبياء الأساسية هي بنيان الكنيسة أي خدمة روحية لا إدارية (وَأَمَّا مَنْ يَتَّبَعُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ)^٦، وذلك بالوعظ والتعزية (وَيَهُودَا وَسِيلَا إِذْ كَانَا هُمَا أَيْضاً نَبِيِّنِ وَعَظَا الْإِخْوَةَ بِكَلَامٍ كَثِيرٍ وَشَدَّاهُمُ.)^٧، إضافة لإرشاد المؤمنين من خلال التنبؤ بالمستقبل كما فعل أغابوس النبي (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ انْحَدَرَ أَنْبِيَاءُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ. وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ أَغَابُوسُ وَأَشَارَ بِالرُّوحِ أَنَّ جُوعاً عَظِيماً كَانَ عَتِيداً أَنْ يَصِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْكُونَةِ الَّتِي صَارَ أَيْضاً فِي أَيَّامِ كُلُودِيُوسَ قَيْصَرَ.)^٨، (وَبَيْنَمَا نَحْنُ مُقِيمُونَ أَيَّاماً كَثِيرَةً انْحَدَرَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ اسْمُهُ أَغَابُوسُ. فَجَاءَ إِلَيْنَا وَأَخَذَ مِئْطَةً بُولُسَ وَرَبَطَ يَدَيْ نَفْسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: «هَذَا يَقُولُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: الرَّجُلُ الَّذِي لَهُ هَذِهِ الْمِنْطَقَةُ هَكَذَا سِيرِطُهُ الْيَهُودُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي الْأَمَمِ».)^٩.

وربما خدمات الأنبياء تعطينا نوعين من الأنبياء، أنبياء يبنون الكنيسة بالوعظ والتعزية مثل يهوذا وسيلا ويوحنا الرائي، وأنبياء يرشدون الكنيسة مثل أغابوس

١ - أعمال ١١: ٢٧-٢٨.

٢ - أعمال ١٥: ٣٢.

٣ - أعمال ٢١: ٨-٩.

٤ - رؤيا ١: ٣ + ٢٢: ٩.

٥ - ١ كورنثوس ١: ٧.

٦ - ١ كورنثوس ١٤: ٤.

٧ - أعمال ١٥: ٣٢.

٨ - أعمال ١١: ٢٧-٢٨.

٩ - أعمال ٢١: ١٠-١١.

وبنات فيلبس المبشر. وهذا لا يعني بالضرورة عدم وجود أنبياء يجمعون بين كل الخدمات.

ومن الملاحظ ان موهبة النبوة بمعنى الوعظ والتعزية ليست من اختصاص النساء حيث قيل (لِتَصْمُتْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْذُوناً لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ)^١، والصمت هنا بحسب القرينة يتعلق بأمرين، التكلم بالسنة والنبوة (الوعظ والتعزية). بينما موهبة الوعظ بمعنى الإرشاد تدخل ضمن دائرة الخدمات التي تؤديها النساء (وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تَصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ (ترشد))^٢، فالآية تؤكد أن المرأة منذ البدء كانت تصلي، وأيضاً ترشد الكنيسة بنبوات مستقبلية دون أي مانع عقائدي.

ويبدو أن خدمة الأنبياء للكلمة كانت مهمة جداً للكنيسة الناشئة، حيث كانوا يعلنون كلمة الله تحت الهام مباشر من الروح القدس، قبل وجود كتب العهد الجديد بالصورة القانونية. وعلى الأرجح أن خدمتهم قد توقفت بانتهاء الجيل الأول للكنيسة وظهور كتب العهد الجديد بصورتها القانونية، إذ لم يعد هناك من حاجة لأنبياء يفحصون الكتب ويؤكدون الحقائق الإلهية.

أما خدمة الأنبياء الإرشادية فليس بالضرورة أن تتوقف بتوقف خدمة أنبياء الكلمة، لأن الحاجة لمثل هذه الخدمات لم تنتف بعد. والرسول بولس يتحدث عن النبوات^٣ باعتبارها ستبطل متى جاء الكامل، أي متى جاء المسيح أو بتعبير آخر متى وصلنا إلى الحالة الأبدية الكاملة. وإلى ذلك الوقت نحتاج كمؤمنين لموهبة النبوة بمعناها الإرشادي.

٣- الخادم المبشر (εὐαγγελιστής)^٤

١ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٤.

٢ - ١ كورنثوس ١١ : ٥.

٣ - ١ كورنثوس ١٣ : ٨-٩.

٤ - تقرأ (yoo-ang-ghel-is-tace')

وبعد الأنبياء يأتي المبشرون الذين هم خدام كلمة متجولون غايتهم الكرازة بأخبار الخلاص السارة، أي جعل يسوع المسيح معروفاً لكل العالم.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية يذهبون إلى الأماكن المظلمة حاملين معهم الشفاء والنور، والحرية في المسيح، لإطلاق المأسورين، وهم يكرزون ليس (بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ)¹.

إنهم يدركون أكثر من غيرهم حقيقة كونهم نزلاء وغرباء في هذا العالم الفاسد الشرير، واعتماداً على هذه الحقيقة هم مستعدون دائماً لترك كل شيء والتوجه لأي مكان تتم دعوتهم إليه دون أن تؤثر فيهم نوعية المكان، أو نوعية الطعام، أو مقدار الراحة التي يمكن أن تتوفر لهم ولسان حالهم (لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِسَيِّءٍ وَلَا نَفْسِي ثَمِينَةً عِنْدِي حَتَّى أَتَمَّمَ بِفَرْحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِأَشْهَدَ بِبَشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ)².

وعلى الأرجح كان هؤلاء يمتلكون مهارات³ خاصة في قيادة الخاطئ لترك خطاياهم وإتباع المسيح، ومن (٢ تيموثاوس ٤: ٥) قد نستنتج أن عملهم كان تحت إشراف الرسل.

٤- الخادم المعلم (διδάσκαλος)⁴

إن خدمة المعلم هي خدمة محلية ثابتة، وفيها يتم شرح كلمة الرب وتفسير معانيها للناس بطريقة بسيطة ومفهومة، وبذات الوقت كيف تنطبق هذه الكلمة

١ - ١ كورنثوس ٢: ٤.

٢ - أعمال ٢٠: ٢٤.

٣ - قارن أعمال ٨: ٢٦ - ٤٠.

٤ - تقرأ (did-as'-kal-os)، وهي تعني بالأصل اليوناني (معلم ، سيد ، طبيب)

على حياتهم المُعاشة. وعلى الأرجح كان هؤلاء المعلمون يمتلكون مهارات خاصة لذلك.

كان المعلم في الكنيسة يقوم بخدمته بناء على تعيين إلهي^١. وكل معلم ينبغي أن يتميز بروح المثابرة والأمانة^٢، وتقديم التعليم الصحيح^٣. والذين يقومون بهذه الخدمة يجب أن "يُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة"، وعلى المعلم أن لا يخاصم (بَلْ يَكُونُ مُتَرْقِّقاً بِالْجَمِيعِ، صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ، صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ)^٤.

ومن الجدير بالذكر أنه غير مسموح للمرأة أن تعلم الرجال في الكنيسة (وَلَكِنْ لَسْتُ آذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعْلَمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سُكُوتٍ (من جهة هذين الأمرين))^٥.

٥- الخادم الراعي (ποιμήν)^٦

يعتقد البعض أن الراعي والمعلم موهبة واحدة بسبب ارتباط الاثنين معاً^٧، قد يكون هذا صحيحاً! إذ قيل عن الراعي إنه ينبغي أن يكون كفوّاً للتعليم^٨.

على الأرجح أن الرعاة هم من يُقدّم النصيحة الحكيمة، ويشارك الناس أفراحهم وأحزانهم! ويعمل بذات الوقت على حفظ القطيع من الأخطار الروحية.

١ - ١ كورنثوس ١٢ : ٢٨.

٢ - ١ تيموثاوس ٤ : ١١، ١٣، ١٦.

٣ - تيطس ٢ : ١.

٤ - ١ تيموثاوس ٥ : ١٧.

٥ - ٢ تيموثاوس ٢ : ٢٤.

٦ - ١ تيموثاوس ٢ : ١٢.

٧ - تقرأ (poy-mane)، وبالأصل اليوناني تعني (راعٍ أو قس)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4166

٨ - أفسس ٤ : ١١.

٩ - قارن (١ تيموثاوس ٣ : ٢ مع تيطس ١ : ٩)

ومن الجدير بالذكر أن الرب يسوع قد استخدم نفس الكلمة ليصف عمله الشخصي^١، وقد قيل عنه (زَاعِي الْخِرَافِ الْعَظِيمِ)^٢ و (زَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْفُفِهَا)^٣ و (رَبِّيسُ الرُّعَاةِ)^٤ الذي تحت قيادته يُقال للرعاة (ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللَّهِ)^٥.

٦- خدمة قوات (δύναμις)^٦

من أمثلتها إمارة حنانيا وسفيرة، إقامة طابيثا، ضرب (عليم الساحر) بالعمى، ويبدو أن الغاية منها هو إظهار سلطان الرسل. وبلا شك كانت هذه الخدمة من صلاحياتهم. ولا أعتقد أنها كانت خدمة خاصة لأشخاص آخرين في الكنيسة.

٧- خدمة أعوان (ἀντίληψις)^٧

أي معاونين للرسل والأنبياء وربما هم الشمامسة والشماسات (رومية ١٦ : ٣-٩)

٨- خدمة التدابير (κυβέρνησις)^٨

هي المشورة الحكيمة والتوجيه الصائب في الشؤون الإدارية في الكنيسة والتي أصبحت على ما يبدو جزءاً من خدمة الشيوخ أو الأساقفة (١ تسالونيكي ٥ : ١٢ + ١ تيموثاوس ٥ : ١٧)

١ - يوحنا ١٠ : ١١ .

٢ - عبرانيين ١٣ : ٢٠ .

٣ - ١ بطرس ٢ : ٢٥ .

٤ - ١ بطرس ٥ : ٤ .

٥ - ١ بطرس ٥ : ٢ .

٦ - تُقرأ (doo'-nam-is)، بالأصل اليوناني مشتقة من (Dunamai - δύναμαι)، وهي تعني (قوة معجزيه)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G1411

٧ - تُقرأ (an-til'-ape-sis)

٨ - تُقرأ (koo-ber'-nay-sis)، بالأصل اليوناني تعني مجازياً (إدارة في الكنيسة).

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G2941

٩- خدمة الألسنة (γλωσσα)

بالأصل اليوناني تحمل هذه الكلمة معنى:

١- لسان بشكل حرفي، (وتقل ولمس لسانه) مرقس ٧: ٣٣ + (اللسان..عضو صغير) يعقوب ٣: ٥.

٢- لسان بشكل مجازي، (ألسنة منقسمة كأنها من نار) اعمال ٢: ٣.

٣- لغة، (فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون) اعمال ١٩: ٦ + (يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله) اعمال ٢: ١١ + (إن كنت أتكلم بألسنة الناس) ١ كورنثوس ١٣: ١.

٤- لغة مكتسبة بشكل غير طبيعي، (أريد أن جميعكم تتكلمون بألسنة) ١ كورنثوس ١٤: ٢ + (أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم) ١ كورنثوس ١٤: ١٨.

٥- شعب، (وكل أمة وقبيلة ولسان) رؤيا ١٤: ٦.

توصف الألسنة في العهد الجديد بأنها (ألسنة جديدة)^٢، و(ألسنة أخرى)^٣،

١ - تَقْرَأُ (gloce'-sah)

٢ - (وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَةِ جَدِيدَةٍ) مرقس ١٦: ١٧، ليس بالضرورة أن نفهم عبارة (ألسنة جديدة) أنها لغة لم تكن معروفة من قبل لأحد من الناس، بل ربما المقصود أنها جديدة على من ينطقها، أي أن المؤمنين سيتكلمون بعد وقت ليس بطويل لغات أجنبية جديدة معروفة لكن بطريقة معجزية، وهذا التفسير مقبولاً ومعقولاً. وكبرهان على ذلك لاحظ ان الرب يسوع المسيح لم يتكلم ألسنه جديدة طوال خدمته على الأرض، ليس لأنه لم يكن ممثلاً من الروح القدس بل لأنه كما قال (لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ) متى ١٥: ٢٤، وكذلك التلاميذ قبل صعود الرب لم يتكلموا لغات جديدة لأن رسالتهم أيضاً كانت (إِلَى خِرَافٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ) متى ١٠: ٦ باختصار لم يكن هناك من حاجة للغة تختلف عن لغة الخراف الضالة لأن الرسالة لم تشمل الأمم بعد.

٣ - اعمال ٢: ٤.

و(أنواع السنة)^١. وهي من المواهب التي تستخدم في الصلاة^٢.

ظهرت هذه الموهبة أول مرة في يوم الخميس (وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ) الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ وَظَهَرَتْ لَهُمُ السَّنَةُ مُنْقَسِمَةً كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطَفُؤُوا. وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتَقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا صَارَ هَذَا الصَّوْتُ اجْتَمَعَ الْجُمُهُورُ وَتَحَيَّرُوا لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ. فَبُهِتَ الْجَمِيعُ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَتَرَى لَيْسَ جَمِيعُ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ جَلِيلِيِّينَ؟ فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا: فَرِثِيُّونَ وَمَادِثِيُّونَ وَعِيلَامِيُّونَ وَالسَّاكِنُونَ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَكَبْدُوكِيَّةَ وَبُنُسَ وَأَسِيَّا وَفَرِجِيَّةَ وَبِمَفِيلِيَّةَ وَمِصْرَ وَنَوَاحِيَ لِيَبِيَّةَ الَّتِي نَحْوَ الْقَيْرَوَانِ وَالرُّومَانِيُّونَ الْمُسْتَوَطِنُونَ يَهُودٌ وَدُخَلَاءُ كِرِيتِيُّونَ وَعَرَبٌ نَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَتَيْنَا بِعُظَائِمِ اللَّهِ؟». فَتَحَيَّرَ الْجَمِيعُ وَارْتَابُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» وَكَانَ آخَرُونَ يَسْتَهْزِئُونَ قَائِلِينَ: «إِنَّهُمْ قَدْ امْتَلَأُوا سُلَاقَةً».^٣

ملاحظات على هذا النص:

١- يبدو أن موهبة الألسنة كانت للجميع ولم يكن أحد قادرا على مقاومتها.

١ - ١ كورنثوس ١٢ : ١٠ .

٢ - ١ كورنثوس ١٤ : ١٤ .

٣ - اعمال ٢ : ١-١٣ .

٢- كانت الألسنة عبارة عن لغات مفهومة، أي لغات بشرية^١، أدرك من خلالها يهود الشتات أن بطرس ومن معه كانوا يعظمون الله.

٣- ما حدث لم يكن نشوة صوفية يرافقها تمتمة غير مفهومة، بل كان معجزة سماوية ليس للتلاميذ يد فيها.

٤- ليس بالضرورة أن كل تلميذ كان يجيد كل تلك اللغات، بل كل واحد كان يتكلم بلغة معينة لمجموعة من الناس.

٥- لم يكن الروح القدس يترجم كلام التلاميذ إلى لغات متعددة، ولم يكن هناك أي مترجم. كانوا هم الذين ينطقون بلغات جديدة وكانوا يفهمون تماماً ما يتكلمون به (كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا).

٦- لا ينبغي أن نستخدم التكلم بالألسنة يوم الخمسين برهاناً على أن الألسنة تكون شيئاً ملازماً لعطية الروح القدس^٢.

٧- كانت هذه المعجزة إتماماً لمواعيد العهد القديم ولما أنبأ به يسوع (وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبَعُ^٣ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَكَلِّمُونَ بِاللِّسَانِ جَدِيدَةٍ^٤)

١ - النص يعدد لنا (١٥) لغة.

٢ - قارن (اعمال ٢: ٤١) + (اعمال ٤: ٤) + (اعمال ٨: ١٧) + (اعمال ٨: ٣٩) + (اعمال ١٣: ٥٢) + (اعمال ١٦: ٣٤).

٣ - الكلمة (تتبع) لا ينبغي أن تفهم بأن الآيات باقية طالما هناك مؤمنين، بل ينبغي أن تفهم بطريقة مختلفة، أي أن الآيات ستتبع المؤمنين طالما هناك حاجة لها، وبانتفاء الحاجة تنتفي الآيات دون أن ينتفي وجود المؤمنين. أما الحاجة للآيات فهي تثبيت الكلام (عدد ٢٠)، ومتى ثبت الكلام انتفت الآيات التابعة!!

٤ - مرقس ١٦: ١٧.

٨- يبدو أنها كانت ضرورية لنشر وتثبيت الإنجيل^١، فهي علامة لغير المؤمنين من اليهود.

٩- أعلنت الألسنة هنا نهاية عهد، تعامل فيه الله مع امة واحدة هي الأمة العبرية وباللغة العبرية، فمن الآن وصاعداً ستتوجه رسالة الخلاص لكل أمم الأرض، وبكل لغاتها.

١٠- بالنسبة للرب يسوع كانت أعماله تشهد عن صدق رسالته، أي انه هو الآتي باسم الرب (الْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي هِيَ تَشْهَدُ لِي)^٢. أما بالنسبة للروح القدس فكانت الألسنة في يوم الخمسين هي البرهان انه قد جاء الآن من السماء.

ثم ظهرت هذه الموهبة مرة ثانية في بيت كرنيليوس في قيصرية (فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ. فَأَنْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ^٣ كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ لِأَنَّ مَوْهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضاً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانَةِ وَيُعَظِّمُونَ اللَّهَ. حِينَئِذٍ قَالَ بُطْرُسُ: «أَتَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا

١ - قارن (فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصاً هَذَا مِقْدَارَهُ، قَدْ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتْ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا، شَاهِدُ اللَّهِ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ) عبرانيين ٢: ٣-٤ + (وَقَالَ لَهُمْ: «أَذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَابْعَثُوا الْبَشَرَةَ بِإِنْجِيلِ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا... وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبِعُ الْمُؤْمِنِينَ.. وَأَمَّا هُمْ فَخَرِّجُوا وَكْرَزُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَفْعَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ النَّاسِغَةِ. آمِينَ) مرقس ١٦: ١٥-٢٠. يبدو أن المواهب والآيات والعجائب والقوات كانت غايتها تثبيت مصداقية كلام الرسل والتلاميذ المتعلق بخلاص المسيح، حيث لم يكن هناك عهداً جديداً (الإنجيل) مكتوباً بعد.

٢ - يوحنا ١٠: ٢٥.

٣ - المؤمنين من أهل الختان هم مؤمنو اليهود الذين جاؤوا مع بطرس من يافا وقد ذُكروا في اعمال ١٠: ٢٣ + ١١: ١٢.

يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضاً؟» وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ. حِينَئِذٍ سَأَلُوهُ أَنْ يَمَكْتُ أَيَّاماً^١.

ملاحظات على هذا النص:

١- يبدو من النص أن جميع الذين انسكب عليهم الروح القدس تكلموا باللسنة وعظموا الله.

٢- الألسنة هنا علامة للمؤمنين من يهود الختان أن الله افتقد الأمم أيضاً فصاروا شركاءهم في الامتيازات، أي تأكيد على نهاية عهد تعامل فيه الله مع أمة واحدة هي الأمة العبرية.

٣- الألسنة هنا هي لغة بشرية، لغة اليهود أهل الختان الذين سمعوا الأمم يتكلمونها بطلاقة ويعظمون بها الله. لاحظ قول الرسول بطرس عن هذه الحادثة فيما بعد (فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ حَلَّ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضاً فِي الْبَدَآءِ (يوم الخمسين). فَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ: إِنَّ يُوْحَنَّا عَمَدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُمْ (الأمم) الْمَوْهَبَةَ كَمَا لَنَا (اليهود) أَيْضاً بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرُ أَنْ أَمْنَعَ اللَّهَ؟)^٢. فإن كان بطرس يتكلم عن يوم الخمسين فهو يتكلم عن لغة بشرية.

وظهرت هذه الموهبة مرة ثالثة في افسس مع تلاميذ يوحنا المعمدان (فَحَدَّثَ فِيمَا كَانَ أَبْلُوسُ فِي كُورِنْثُوسَ أَنَّ بُولُسَ بَعْدَ مَا اجْتَاَزَ فِي النَّوَاحِي الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفَسُسَ. فَإِذْ وَجَدَ تَلَامِيذَ (ليوحنا المعمدان) سَأَلَهُمْ: «هَلْ قَبِلْتُمْ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا

^١ - أعمال ١٠: ٤٤ - ٤٨.

^٢ - أعمال ١١: ١٥ - ١٧.

أَمَنْتُمْ؟^١» قَالُوا لَهُ: «وَلَا سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ». فَسَأَلَهُمْ^٢: «فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟» فَقَالُوا: «بِمَعْمُودِيَّةِ يُوْحَنَّا». فَقَالَ بُولُسُ: «إِنَّ يُوْحَنَّا عَمَدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ قَائِلًا لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَيُّ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ». فَلَمَّا سَمِعُوا (فَهُمُوا) اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ. وَكَانَ جَمِيعُ الرِّجَالِ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ.^٣

ملاحظات على هذا النص:

١. يبدو من النص أن جميع الذين انسكب عليهم الروح القدس تكلموا باللسنة وعظموا الله.

٢. الألسنة هنا هي واحد من اثنين، إمّا لغة بشرية، أو لغة خاصة يملكها بعض المؤمنين.

٣. كانت الآيات المصاحبة لمعموديتهم دليلاً على مصداقية الرسول بولس، حيث ثبتت لهم كلامه. وأدرك تلاميذ يوحنا المعمدان الذين قالوا «وَلَا سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ» ان المسيح حقاً هو الغاية وليس يوحنا، وما يوحنا سوى شخصٍ قد أعد الطريق أمام المسيح.

^١ - وليس (لما اعتمدتم) حيث أن قبول الروح القدس يرتبط بإيمان العابد وليس بمعموديته، قارن أيضاً (إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُسِ) افسس ١: ١٣.

^٢ - هذا السؤال استنكاري، فمن جوابهم على السؤال الأول تبين للرسول بولس انهم غير مؤمنين، لذلك سألهم (بماذا اعتمدتم)، باعتبار المعمودية تبنى على الإيمان. وفعلاً كان الجواب يؤكد ما دار في ذهن الرسول بولس، لذلك كلمهم عن خلاص المسيح فلما فهموا وقبلوا، عدهم باسم المسيح.

^٣ - أعمال ١٩: ١-٧.

لقد تكلم الرسول بولس مطولاً عن هذه الموهبة في رسالته الأولى إلى الكنيسة في كورنثوس وسأضع بعض الملاحظات على أهم الآيات في الرسالة:

(١) (١٢: ٧) (وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَىٰ إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ)

فالمواهب بما فيها الألسنة هي لنفع الكنيسة، وليس للذة الموهوب له.

(٢) (١٢: ٨-١٠) (فَإِنَّهُ لَوَاحِدٍ يُعْطَىٰ بِالرُّوحِ كَلَامٌ حِكْمَةٍ. وَلَا خَرَّ كَلَامٌ

عِلْمٌ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَا خَرَّ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَا خَرَّ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلَا خَرَّ عَمَلٌ قُوَّاتٍ وَلَا خَرَّ نُبُوءَةٌ وَلَا خَرَّ تَمَيِّزُ الْأَرْوَاحِ وَلَا خَرَّ أَنْوَاعُ الْأَسْنَةِ وَلَا خَرَّ تَرْجَمَةُ الْأَسْنَةِ.)

هذه الكلمة (آخر) تعني أن ليس كل المؤمنين لديهم موهبة التكلم بالأسنة.

(٣) (١٢: ١٣) (لَأَنْتُمْ جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا. وَجَمِيعًا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا)

مع أن الجميع اعتمدوا بالروح القدس، لكن الموهبة ليست للكل، أي أن المعمودية لا تعني التكلم بالأسنة.

(٤) (١٢: ٢٩-٣٠) (أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ رُسُلٌ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ أَنْبِيَاءُ؟ أَلْعَلَّ

الْجَمِيعُ مُعَلِّمُونَ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ أَصْحَابُ قُوَّاتٍ؟ أَلْعَلَّ لِلْجَمِيعِ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ يَتَكَلَّمُونَ بِالْأَسْنَةِ؟ أَلْعَلَّ الْجَمِيعُ يُتَرْجَمُونَ؟)

هذه الكلمة (العل) تعني أن ليس كل المؤمنين لديهم موهبة التكلم بالأسنة.

(٥) (١٢: ٢٨) (فَوَضَعَ اللَّهُ أَنْاسًا فِي الْكَنِيسَةِ: أَوَّلًا رُسُلًا ثَانِيًا أَنْبِيَاءَ ثَالِثًا

مُعَلِّمِينَ ثُمَّ قُوَّاتٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَوَاهِبَ شِفَاءٍ أَعْوَانًا تَدَابِيرَ وَأَنْوَاعَ الْأَسْنَةِ.)

من حيث الأهمية تأتي موهبة الألسنة في آخر قائمة المواهب

٦ (١٣ : ١) (إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ) (لغات معروفة) وَالْمَلَائِكَةُ^١ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نَحَاساً يَظُنُّ أَوْ صَنَجاً يَرِنُ.)

المحبة أسمى من موهبة التكلم بألسنة، وفي هذا توبيخ مبطن لأهل كورنثوس بسبب سعيهم الدائم وراء هذه الموهبة، أي وراء الأقل في الأهمية.

٧ (١٣ : ٨) (الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَداً. وَأَمَّا النُّبُوءَاتُ) (بمعناها الإرشادي) فَسَتُبْطَلُ وَالْأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ).

النبوة تُبطل وكذلك العلم، وهذا يتم متى جاء الكامل أي عندما نصل إلى الحالة الكاملة في الأبدية. أما الألسنة فستنتهي تلقائياً من نفسها أي ليست بحاجة لمن يُبطلها!

٨ (١٤ : ٢) (لَأَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ) (دون ترجمة) لَا يَكَلِّمُ النَّاسَ بَلِ اللَّهِ لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْمَعُ (يفهم). وَلَكِنَّهُ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ بِأَسْرَارٍ) يبدوا أن الألسنة هنا ليست لغة بشرية مفهومة.

٩ (١٤ : ٤) (مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ يَبْنِي نَفْسَهُ وَأَمَّا مَنْ يَتَّبِعُ فَيَبْنِي الْكَنِيسَةَ) يبني نفسه لأنه يفهم ما يتكلم به، وبالتالي يتقوى إيمانه. وهذا دليل أن الذي يتكلم بلسان ليس هو في غيبة، أو يُخرج ألفاظاً بلا معنى ولا ينتبه لها. يضاف إلى ذلك أن المتكلم بلسان يبدو هنا شخصاً مشغولاً بنفسه أكثر من الكنيسة، بينما يبدو من يتتبع مشغولاً بالكنيسة أكثر من نفسه، وربما في هذا تأنيباً للذي يعرف الأفضل ولا يعمل به، وهذا ما سنلاحظه في الجزء الأول من الآية التي تلي.

^١ - تعبير مجازي يُراد به (إن كنت أتكلم كل اللغات المعروفة وغير المعروفة)

١٠ (١٤: ٥) (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ جَمِيعَكُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَنَةِ وَلَكِنْ بِالْأُولَى أَنْ تَتَنَبَّأُوا. لِأَنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِاللِّسَنَةِ إِلَّا إِذَا تَرَجَّمَ (له آخر) حَتَّى تَنَالَ الْكَنِيسَةُ بُنْيَانًا)

هذه الرغبة عند الرسول بولس تعكس أهمية هذه الموهبة، لكنها تؤكد بذات الوقت أنها ليست للجميع، وأن هناك موهبة أفضل منها هي التنبؤ. ويبدو أن موهبة الألسنة تصير أعظم من موهبة التنبؤ أو تساويها عندما يتوفر من يترجم.

١١ (١٤: ٦) (فَالآنَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ إِن جِئْتُ إِلَيْكُمْ مُتَكَلِّمًا بِاللِّسَنَةِ فَمَاذَا أَنْفَعُكُمْ إِنْ لَمْ أَكَلِّمُكُمْ إِمَّا بِإِعْلَانٍ أَوْ بِعِلْمٍ أَوْ بِبُيُوتَةٍ أَوْ بِتَعْلِيمٍ؟)

هنا يتكلم الرسول بولس عن الألسنة باعتبارها لغة بشرية مفهومة، وهذا ما تؤكد الأعداد التي تلي (هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تُعْطُوا بِاللِّسَانِ كَلَامًا يُفْهَمُ فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَا نَكُتَمُ بِهِ؟ فَإِنَّكُمْ تَكُونُونَ تَتَكَلَّمُونَ فِي الْهَوَاءِ! رُبَّمَا تَكُونُ أَنْوَاعُ لُغَاتٍ هَذَا عَدَدُهَا فِي الْعَالَمِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا بِلَا مَعْنَى. فَإِنْ كُنْتُ لَا أَعْرِفُ قُوَّةَ اللُّغَةِ أَكُونُ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ أَعْجَمِيًّا وَالْمُتَكَلِّمُ أَعْجَمِيًّا عِنْدِي).

١٢ (١٤: ١٣) (لِذَلِكَ مَنْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ فَلْيُصَلِّ لِكَيْ يُتَرَجَّمَ (آخر))

هنا يطلب الرسول بولس ممن يتكلم بلسان أن يصلي لكي يترجم ما يقوله، وبالتأكيد هو لا يطلب منه أن يصلي طالباً موهبة الترجمة لنفسه ليفهم ما يصلي، لأنه كما قلنا هو يدرك تماماً ما يصلي لأجله، وإلا كيف يبني نفسه، فموهبة الترجمة إذاً هي لشخص آخر يفهم هذه اللغة، ولغة القوم الذين يسمعونها، وهذا ما يؤكد (العدد ٢٨).

(١٣) (١٤: ١٤-١٦) (لأنَّهُ إِنْ كُنْتُ أُصَلِّي بِلِسَانٍ فَرُوحِي تُصَلِّي) (أفهم ما أقوله)^١ وَأَمَّا ذِهْنِي^٢ فَهُوَ بِلَا ثَمَرٍ (أي لا ينفع غيري) فَمَا هُوَ إِذَا؟ أُصَلِّي بِالرُّوحِ (أمام الآخرين) وَأُصَلِّي بِالذَّهْنِ أَيْضاً. أُرْتَلُ بِالرُّوحِ (أمام الآخرين) وَأُرْتَلُ بِالذَّهْنِ أَيْضاً وَالْأَقْبَلُ فَإِنْ بَارَكْتَ بِالرُّوحِ فَالَّذِي يُشْغَلُ مَكَانَ الْعَامِّي كَيْفَ يَقُولُ «آمِينَ» عِنْدَ شُكْرِكَ؟ لَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَاذَا تَقُولُ!

الألسنة هنا هي لغة غير أرضية يستطيع من يمتلكها أن يصلي بها وأن يرتل بها وأن يتكلم بها.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نلاحظ قول الكتاب عن العبادة انها (عبادتكم العقلية)^٣، أي أن العقل ضرورة حتمية في العبادة. وهذا يعني أن كل عبادة منفصلة عن العقل أو الذهن هي مضیعة للوقت، أو بتعبير آخر عبادة غير مسیحية. ويظهر هذا الأمر بشكل جلي في موضوع الصلاة، حيث تكون كل صلاة غير واعية، أو صلاة غُيِّب فيها العقل، صلاة غير مسیحية حتى لو رُفعت باسم المسيح.

(١٤) (١٨: ١٤) (أَشْكُرُ إِلَهِي أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِالسَّنَةِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ)

^١ - قارن (١ كورنثوس ٢: ١١).

^٢ - ما يقال للآخرين ويفهم، قارن (وَلَكِنْ فِي كَنِيسَةٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ خَمْسَ كَلِمَاتٍ بِذِهْنِي لِكَيْ أُعَلِّمَ آخَرِينَ أَيْضاً أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ كَلِمَةٍ بِلِسَانٍ). (١٤: ١٩) ملاحظات عن الذهن: تأتي هذه الكلمة بأحد معنيين:

أ- وسيلة الفهم أو التعليم، لوقا ٢٤: ٤٥ (حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ) + (١ كورنثوس ١٤: ١٩).

ب- مستودع للأفكار (تَغَيَّرُوا عَنْ شِكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ) رومية ١٢: ٢. وتجديد الذهن يتم بإضافة أفكار إيجابية إليه، أو بطرح أفكار سلبية منه.

^٣ - رومية ١٢: ١

هنا تعليم قوي يؤكد ان من يتكلم بلسان يفهم ما يتكلمه، وإلا كيف عرف الرسول بولس أنه يتكلم باللسنة أكثر من الجميع، إن كان لا يفهم ما يتكلم به.

(١٥) (١٤ : ٢١-٢٢) (مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ^١ : «إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأَكَلُّمُ هَذَا الشَّعْبَ وَلَا هَكَذَا يَسْمَعُونَ لِي (يتوبون) يَقُولُ الرَّبُّ» إِذَا الْأَلْسِنَةُ آيَةٌ لَا لِلْمُؤْمِنِينَ بَلْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ (أنهم لن يتوبوا). أَمَّا النُّبُوَّةُ فَلَيْسَتْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ (من اليهود) بَلْ لِلْمُؤْمِنِينَ (من اليهود)).

هذه الكلمات قالها الرب لليهود قديماً بسبب عدم استماعهم لأنبيائه الذين أرسلهم إليهم، متكلمين بلغتهم العبرية وداعين إياهم للتوبة، فهددهم بأنه سيعاملهم معاملة أخرى إذ يجلب عليهم أناساً ذوي ألسنة أخرى، أي أعداؤهم (الأمة الآشورية) عقاباً لهم على عدم توبتهم، ولكن مع ذلك سيبقون عصاة.

فالألسنة هنا آية تشير إلى حالة اليهود الخاطئة، وتشير إلى أن الله سيعاملهم كأجنيبين غير مؤمنين، ولكنهم لم ينتبهوا.

وقد استمر اليهود حتى أيام الرب يسوع يستمعون إلى ألسنة أخرى من أسيادهم الأمميين الذين يحكمونهم، دون أن ينتبهوا إلى أن هذا صوت الرب الذي يُذكرهم بخطاياهم ويدعوهم للتوبة.

وفي يوم الخمسين سمع يهود الشتات إخوتهم اليهود يكلمونهم باللسنة أخرى (فتحيروا وارتابوا.. وكان آخرون يستهزئون)، وبعدها سمعوا باللغة

^١ - اشعيا ٢٨ : ١١.

اليهودية^١ دعوة للتوبة، (فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم)^٢، وهكذا تاب البعض نتيجة للكراسة وليس نتيجة للسان الغريب. ومع ذلك بقي هناك قسماً كبيراً جداً من اليهود دون توبة.

إذاً الألسنة آية لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين من اليهود. حيث أن الرب لم يجعل أصوات الأجانب في مسامع إسرائيل إلا لكونهم في حالة عدم الإيمان، أما لو كانوا مؤمنين مطيعين فما كان من داع أن يعاملهم هكذا.

والرسول بولس اسقط هذه الآية على الكورنثيين ليبين لهم أن وجود أناس بينهم يتكلمون لغة غريبة ليس بحد ذاته من البركات، فرغبتهم الشديدة بهذه اللغة، يعيد إلى الأذهان قصة قدماء اليهود العصاة، الذين لم يتوبوا بلسان يفهموه، ولا بلسان لا يفهموه.

لذلك يؤكد الرسول بولس أن استخدام اللغة الغريبة (الألسنة) لن يقود الوثنيين إلى الإيمان، وما حدث مع اليهود خير دليل (إذاً الألسنة آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين). فأهل كورنثوس مخطئون بتوقعهم النفع العظيم من التكلم بالألسنة، أو السعي للحصول على هذه الموهبة من أجل خلاص الوثنيين.

أليس في هذا إشارة قوية إلى عدم ديمومة موهبة الألسنة^٣.

١ - عدد ١٤.

٢ - عدد ٣٧.

٣ - لاحظ كيف أن الرسول بولس في نهاية سفر أعمال الرسل (اصحاح ٢٨) يُقنع اليهود بضرورة التوبة، لكن ليس بموهبة الألسنة (لسان غريب)، بل بلسان مفهوم يتحدث من كلمة الله.

(١٦) (١٤: ٢٧) (إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ بِلسَانٍ فَاثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَوْ عَلَى الْأَكْثَرِ ثَلَاثَةً ثَلَاثَةً وَيُترَتِّبُ وَيُترَجِّمُ وَاحِدًا.)

طالما هناك ترتيب في الكلام فهذا يعني أن المتكلم قادر أن يسيطر على نفسه، بمعنى أن الموهبة خاضعة له.

قد يصل المتكلمون باللسنة إلى ثلاثة ومع ذلك يبقى المترجم واحد. وهذا دليل أن اللسان عبارة عن لغة واحدة يفهمها جميع المؤمنين الذين لديهم موهبة الترجمة، كما يفهما تماماً جميع المؤمنين الذين لديهم موهبة التكلم باللسنة.

والترجمة هنا تكون بتحويل هذا اللسان إلى إحدى لغات الأرض كالعبرية أو اليونانية أو اللاتينية الخ.

أما بخلاف ذلك، أي أن تكون لغة المصلي غير معروفة، فيصعب أن يقبله المنطق. لأن المترجم في هذه الحالة عليه أن يعرف كل لغات العالم وبدون استثناء، لكي لا يفاجأ بترجمة أية لغة يسمعا أثناء الصلاة، كون المصلي لا يُخبر المترجم بأية لغة سيصلي.

من المتعارف عليه ان المترجم يكون ملماً لغة الناس الذين سيقترجم لهم، ولغة الشخص الذي سيقترجم له، وإلا لن يأخذ دور المترجم.

وهذا المنطق هو ما يؤكد عليه الرسول بولس حين طلب من شخص واحد أن يترجم لأثنين أو لثلاثة يتحدثون (يصلون) بالتتابع نفس اللغة، فمهما تعدد المتكلمون ستبقى اللغة نفسها. أما لغة الحاضرين (السامعين) فهي أيضاً لغة واحدة، لأنه من غير الممكن أن يُترجم الشخص ما يسمعه إلى ثلاث أو أربع لغات بنفس الوقت.

باختصار المترجم يُترجم من لغة يعرفها إلى لغة اكتسبها بطريقة غير طبيعية.

(١٧) (٢٨ : ١٤) (وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَرْجِمٌ فَلْيَصْمُتْ فِي الْكَنِيسَةِ وَلْيَكَلِّمْ نَفْسَهُ (باعتباره يفهمها) والله).

(١٨) (١٤ : ٣٣-٣٤) (٣٣) لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهٌ سَلَامٍ كَمَا^١ فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ^٢ لَتَصْمُتْ^٣ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ^٤ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَادُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضاً وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِيدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئاً فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ^٥ فِي الْبَيْتِ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَنَّ (السنة) فِي كَنِيسَةٍ.

الصمت هنا يتعلق بأمرين الأول التكلم بالسنة، والثاني التنبؤ (الوعظ) الذي هو التعليم. والصمت هنا مرهون بالاجتماعات التي يحضرها الرجال والنساء، أي الاجتماعات العامة. أما علة الصمت فهي قوله (كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ)^٥

(١٩) (١٤ : ٣٩) (إِذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ جِدُّوا لِلتَّنَبُّؤِ وَلَا تَمْنَعُوا^٦ التَّكَلَّمَ بِالسَّنَةِ).

^١ - الأرجح أن الآية ٣٤ تبدأ من منتصف الآية ٣٣، أي اعتباراً من (كما في جميع..)، وهذا يستقيم مع تفسير الآيتين ٣٣، ٣٤.

^٢ -الصمت هنا ليس بمعناه المطلق، قارن (وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تَصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ بِمَعْنَاهُ الْإِرْشَادِي) ١كورنثوس ١١ : ٥.

^٣ - هذا الأمر ليس مقصوداً على كنيسة كورنثوس فقط بل على جميع كنائس القديسين.

^٤ - الرجاء الذهاب إلى الباب السادس، الفصل الثاني (لياقة وترتيب).

^٥ - قارن (وَلَكِنْ لَسْتُ آدَنَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعْلَمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سَكُوتٍ (من جهة هذين الأمرين)) ١تيموثاوس ٢ : ١٢، وليس بالمطلق.

^٦ - لاحظ هنا الدور القيادي للرجال (الأخوة).

لا يجوز منع التكلم باللسنة كونها نافعة، على شرط وجود من يترجم
(١٤: ٢٧-٢٨)، ومن يستفيد (١٤: ٢٢)

* بما أن كل شيء يجب أن يكون بلياقة وحسب ترتيب يضع الرسول بولس
بعض الشروط المتعلقة بممارسة هذه الموهبة في الكنيسة:

١. يجب أن تكون ممارسة هذه المواهب مثل كل المواهب الأخرى لبنيان
الكنيسة (١كورنثوس ١٤ : ٢٦).

٢. يجب أن لا يزيد عدد المتكلمين في الاجتماع عن اثنين أو ثلاثة
(١كورنثوس ١٤ : ٢٧)

٣. يجب على من يتكلمون باللسنة أن يتكلموا واحداً واحداً، وليسوا معاً في
وقت واحد (١كورنثوس ١٤ : ٢٧)

٤. إذا لم يكن هناك من يترجم ، فيجب على المتكلم باللسنة أن يصمت
(١كورنثوس ١٤ : ٢٨).

٥. ينبغي أن تصمت النساء في الكنائس (أي لا تتكلم باللسنة)
(١كورنثوس ١٤ : ٣٤)

خلاصة: تُعلمنا كلمة الله أن الألسنة هي عبارة عن لغتين، الأولى عامة
وواحدة عند جميع من يمتلكها، وهي غير أرضية، وتحتاج لمترجم حتى تُفهم من
قبل الآخرين الذين لا يتكلمونها. والثانية لغة أرضية غير مشتركة لدى الجميع،
وهي ليست بحاجة لمترجم.

كما تعلمنا إن موهبة الألسنة ليست دليلاً على روحانية من يمتلكها، وحال
كنيسة كورنثوس المملوءة بالخطايا والانشقاقات خير شاهد على ذلك.

كما تعلمنا أن موهبة التكلم بألسنة ليست لجميع المؤمنين^١، وأنها ليست الدليل الواضح على عمل الروح القدس في المؤمن لأن الدليل هو ظهور ثمر^٢ الروح في حياته.

كما تعلمنا أن الغرض من هذه الموهبة هو:

١- تمجيد الله^٣

٢- تأكيد صدق الرسالة المسيحية أمام الأمم (يوم الخمسين).

٣- التأكيد للمؤمنين من أصل يهودي أن الأمم شركاء في الميراث (كرنيليوس).

٤- الصلاة والترنيل^٤ لبناء النفس^٥.

كما تعلمنا ان ظهور هذه الموهبة في الكنيسة هو (آية لا للمؤمنين بل لغير المؤمنين) (أنهم لن يتوبوا)). وبالتالي لا منفعة من استخدامها لقيادة الناس للتوبة والخلاص.

ومن الملاحظ أن الرسول بولس لم يشجع المؤمنين على السعي للحصول عليها، ولم يشجع على استخدامها في العبادة العامة^٦ كونها موهبة بالدرجة الأولى لبناء النفس^٧، وبدون المحبة لا تعدوا كونها نَحَاساً يَطْنُ أَوْ صَنْجاً يَرْنُ.

١ - كورنثوس ١٢ : ٣

٢ - غلاطية ٥ : ٢٢ و ٢٣

٣ - ١ بطرس ٤ : ١٠-١١.

٤ - ١ كورنثوس ١٤ : ١٤-١٧.

٥ - ١ كورنثوس ١٤ : ٤.

٦ - ١ كورنثوس ١٤ : ١٩، ٢٨.

٧ - ١ كورنثوس ١٤ : ٤.

١٠- خدمة شفاء (ιαμα)^١

هذه الخدمة مارسها الرب يسوع المسيح كما هو مكتوب (وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ أَوْ مَدْنٍ أَوْ ضَيْاعٍ وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الْأَسْوَاقِ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ!)^٢.

ويبدو أن عملية الشفاء كانت أحياناً تترافق مع إيمان الشخص المريض (حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنُهُمَا قَائِلًا: «بِحَسَبِ إِيْمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا».)^٣، وأحياناً إيمان من يأتي بالمريض^٤، وبكل الأحوال إيمان من يمارسها (وَصَلَاةُ الْإِيْمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ)^٥

وبشكل عام تُبرز خدمة الشفاء فعالية الصلاة النابعة من قلب بار نقي (طَلَبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا)^٦. وهي تؤكد بشكل غير مباشر على سلطان الرب يسوع الذي لا يحده شيء والذي اسمه فوق كل اسم، وما الأمراض إلا أسماء تخضع لهذا الاسم العظيم.

هذه الموهبة امتلاكها الرسل (وَدَعَا تَلَامِيذُهُ الْإِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى... فَلَمَّا خَرَجُوا كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ يُبَشِّرُونَ وَيَشْفُونَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ.)^٧

١ - تقرأ (ee'-am-ah)

٢ - مرقس ٦: ٥٦.

٣ - متى ٩: ٢٩ + أعمال ١٤: ٩ + متى ١٣: ٥٨.

٤ - متى ٨: ٥ - ١٣.

٥ - يعقوب ٥: ١٥.

٦ - يعقوب ٥: ١٦.

٧ - لو ٩: ١، ٢، ٦.

وامتلكها غيرهم أيضاً من المؤمنين^١. وما زالت هذه الخدمة قائمة إلى الآن كونها مرتبطة بمراحم الله التي لاتزول^٢.

كل من لديه هذه الموهبة ويريد أن يمارسها عليه أولاً أن يدرك هذه الحقائق المتعلقة بالمرض والشفاء:

١. بشكل عام كل الأمراض سببها الخطية التي دخلت العالم.
٢. هناك أمراض طبيعية بسبب الشيخوخة وضعف الجسد.
٣. هناك أمراض ناتجة عن تأثير شيطاني (مرض أيوب، المرأة المنحنية التي ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة، شوكة بولس..الخ)
٤. هناك أمراض ناتجة عن الخطية التي يرتكبها المؤمن (١كورنثوس ١١: ٢٨-٣٠ + يعقوب ٥: ١٤-١٥)، وهذه تكون واحدة من اثنين:

أ- أمراض سببها الخطية المرتكبة، باعتبار ان الخطية تحمل الجزاء في داخلها (تشمع الكبد نتيجة الإفراط في الكحول، سرطان في اللثة نتيجة التدخين، الخ..)

ب- أمراض سببها تأديب الرب (إِنِّي كُلُّ مَنْ أَحْبَبَهُ أُوبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيْرًا وَتُبْ)^٣

٥. يقول الرب عن نفسه (فَإِنِّي أَنَا الرَّبُّ شَافِيكَ)^٤، وهذا يعني أن الرب يقف وراء كل حالات الشفاء. ويتضح من خلال الكتاب المقدس أن الله يستخدم أساليب مختلفة للشفاء:

١ - لوقا ١٠: ٩ + أعمال ٨: ٧.

٢ - فيلبي ٢: ٢٧.

٣ - رؤيا ٣: ١٩. قارن أيضاً عبرانيين ١٢: ٥-١١.

٤ - خروج ١٥: ٢٦.

أ- يشفي بشكل طبيعي، أي أن الجسد نفسه قد زوده الله بالقدرة على مقاومة الأمراض.

ب- يشفي بالأدوية، بولس ينصح تيموثاوس (لَا تَكُنْ فِي مَا بَعْدُ شَرَابَ مَاءٍ، بَلِ اسْتَغْمِلْ خَمْرًا قَلِيلًا مِنْ أَجْلِ مَعِدَتِكَ وَأَسْقَامِكَ الْكَثِيرَةِ).^١

ت- يشفي بواسطة الأطباء، قال الرب يسوع (لَا يَحْتَاجُ الْأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى).^٢

ث- يشفي بشكل معجزي.

٦. إن الله يسمح أحياناً ببقاء المرض لأن ذلك أفضل من الشفاء (بولس ترك تروفيمس^٣ مريضاً في ميليتس دون شفاء- بولس نفسه لم يُشفَ من مرضه مع أنه تضرع للرب ثلاث مرات أن يفارقه لكن الرب لم يشفه بل قال له « تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمُلُ »^٤ - غَايُسُ^٥ نفسه كان مريضاً وقد تمنى له الرسول يوحنا الشفاء..الخ)

٧. الشفاء ليس حق نطالب به لكنه رحمة من الله، كتب بولس عن ابفروديتس (فَإِنَّهُ مَرِضٌ قَرِيباً مِنَ الْمَوْتِ، لَكِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُ).^٦ لذلك لا يصح القول إن عدم الشفاء يشير إلى عدم الإيمان وإلا لعاش القديسون إلى مالا نهاية.

^١ - ١ تيموثاوس ٥ : ٢٣.

^٢ - متى ٩ : ١٢. قارن أيضاً (ارميا ٨ : ٢٢ + حزقيال ٣٠ : ٢١)

^٣ - ٢ تيموثاوس ٤ : ٢٠.

^٤ - ٢ كورنثوس ١٢ : ٩.

^٥ - ٣ يوحنا ٢.

^٦ - فيلبي ٢ : ٢٧.

الفصل الثاني

الخِدم الإدارية

أي الخُدّام الذين يملكون مواهب الروح القدس، والمقامون من قبل الكنيسة لأُمور إدارية.

في البداية كانت القيادة للرسل الذين رافقوا يسوع، ثم تحولت للأساقفة والشماسة الذين أقيموا من قبل الرسل في كل كنيسة^١، وكان هؤلاء يتمتعون بمواهب معينة ويقامون بحسب شروط معينة^٢، وعلى الكنيسة المحلية أن تعتبرهم كثيراً (ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتَعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُذَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيراً جِداً فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ).^٣

١ - الشمامسة

من هم الشمامسة، قبل حوالي (٢٠٠٠ عام) تميز المجتمع العبراني بنظام رائع للخدمات الاجتماعية لم يكن متوفراً عند بقية المجتمعات المحيطة به.

أما سبب هذه الخدمة المميزة فهو كلمة الله التي حثت على الاهتمام بالفقير مما جعل العبراني صاحب إحساس عميق بالمسؤولية تجاه أخيه الفقير.

ولأن المجتمع اليهودي كان يفقد حياة الشعب فإن هذا المجمع كان يفضل أن تتم المعونات المقدمة للفقراء عن طريقه وليس بالطريق الفردي المعتاد عند بقية المجتمعات.

١ - فيلبي ١: ١، وعلى الأرجح أن هذا الأمر قد تم بناء على رأي الإخوة أي بالانتخاب، قارن (أعمال ٦: ٣-١٣ + ١٤: ٢٣ + ١٥: ٢٢ + ١٦: ١٦ + ٣: ٢ + فيلبي ٢: ٢٥)، يؤيد هذا الأمر الشروط التي ينبغي أن تتوفر بالشيخ أو الشماس.

٢ - ١ تيموثاوس ٣: ٢ + تيطس ١

٣ - ١ تسالونيكي ٥: ١٢-١٣.

وقد ورثت الكنيسة عن المجمع اليهودي هذا النظام الذي نراه أول ما يظهر في سفر أعمال الرسل الإصحاح السادس. إذ يخبرنا لوقا إنه في الأيام الأولى للكنيسة كان من المعتاد أن يوزع بعض المال على الأرامل الفقيرات في الكنيسة أي اللواتي هن بالحقيقة أرامل وليس لهن أية وسيلة لإعانة أنفسهن. وعلى ما يبدو أنه قد حدث نوع من الفوضى في توزيع هذه المعونات المادية، إذ أعطيت الأرامل العبرانيات أي اللواتي هن من اليهودية أو أورشليم ممن يتكلمن اللغة اليهودية، بينما اغفل عن الأرامل اليهوديات اللواتي هن لسن من اليهودية أو أورشليم ويتكلمن اليونانية.

هذه الفوضى جعلت التلاميذ اليهود الذين يتكلمون اليونانية يتدمرون على هذه الخدمة لأن أراملهم عوملن معاملة مختلفة.

عند ذلك وتداركاً للمشكلة، وإدراكاً من الرسل أن النمو المتزايد للكنيسة لابد أن يقابل بترتيبات جديدة، دعا الرسل التلاميذ وقالوا لهم (لَا يُرْضِي أَنْ نَتْرَكَ نَحْنُ كَلِمَةَ اللَّهِ وَنُخْذِمَ مَوَائِدَ. فَانْتِخِبُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ سَبْعَةَ رِجَالٍ مِنْكُمْ... فَتَقِيمَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَاجَةِ)^١، أي خدمة موائد (خدمة اجتماعية تدبيرية)، ومن هنا جاءت كلمة شماس^٢، أي حرفياً خادم موائد.

^١ - أعمال ٦: ٢-٣.

^٢ - في العهد الجديد استخدمت هذه الكلمة للدلالة على خُدام الملك (متى ٢٢: ١٣)، وعلى الأعظم بين التلاميذ (مرقس ١٠: ٤٣)، وعلى تلاميذ المسيح (يوحنا ١٢: ٢٦)، وعلى المسيح (رومية ١٥: ٨)، وعلى الرسل (٢ كورنثوس ٦: ٤ + ١١: ٢٣).

وهذا الاستخدام المتنوع للكلمة لا يشير إلى مقام وضيع بل إلى خدمة مُضحية. لاحظ كيف أن هذه الخدمة كانت سبباً في انتشار الإنجيل (أعمال ٦: ٧)

وبعد اختيارهم، أقامهم التلاميذ أمام الرسل (فَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمِ الْيَدَيَّ).^١ أي تمت رسامتهم^٢ شمامسة أو خُدام موائد.

وقد طُلب في البدء أن تتوفر في الشماس ثلاث صفات هي (مشهود له، مملوء من الروح القدس، مملوء حكمة)^٣، ومع مرور الوقت زادت هذه الصفات^٤.

ويعتقد البعض أن (١ تيموثاوس ٣: ١١ مع رومية ١٦: ١)، تفترض وجود شماسات باعتبار أن كلمة خادمة^٥ هي نفسها كلمة شماس.

قد يكون هذا صحيحاً إذا أخذنا بعين الاعتبار رومية ١٦: ٢ حيث قيل عن فيبي خادمة كنيسة كنخريا (لأنَّهَا صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَلِي أَنَا أَيْضاً). وهذا العدد يعطينا فهماً أوضح لطبيعة الخدمة المفترضة التي كانت تقوم بها هؤلاء النسوة في الكنيسة.

أيضاً على ما يبدو هناك نوع من الشماسات الأرامل اللواتي لا يقل عمرهن عن الستين عاماً، والمفرزات لتأدية واجبات معينة في نطاق عمل الكنيسة، يقول عنهن الرسول بولس (لِتُكْتَبَ أَرْمَلَةٌ) (في السجل الرسمي للكنيسة والخاص بالأرامل الخادمت اللواتي تنفق عليهن الكنيسة) إِنْ لَمْ يَكُنْ عُمْرُهَا أَقَلَّ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً، امْرَأَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَشْهُوداً لَهَا فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، إِنْ تَكُنْ قَدْ رَبَّتِ الْأَوْلَادَ، أَضَافَتِ الْغُرَبَاءَ، غَسَلَتْ أَرْجُلَ الْقَدِّيسِينَ، سَاعَدَتِ الْمُتَضَايِقِينَ، اتَّبَعَتْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ. أَمَّا الْأَرَامِلُ الْحَدَثَاتُ

١ - أعمال ٦: ٦.

٢ - تتم الرسامة بوضع اليد، لكن ليس كل وضع لليد هو رسامة، قد يكون للبركة. لكن رأي الكاتب في هذا النص أن الشمامسة قد رسموا بوضع اليد.

٣ - أعمال ٦: ٣.

٤ - ١ تيموثاوس ٣: ٨-١٣.

٥ - في اللغة اليونانية كلمة خادم أو خادمة (Diakonos - διάκονος) التي ذكرت مرة واحدة عن فيبي قد تعني أيضاً (نادل في الواجبات الحقة)

فَارْضُهُنَّ (أي لا تقبل أن تكتبهن في دفتر الشماسات إن طلبن ذلك)، لَأَنَّهُنَّ مَتَّى بَطِرْنَ عَلَى الْمَسِيحِ يُرِدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ)^١.

هذه الطبقة من الأرامل الشماسات اللواتي كانت تحتفظ الكنيسة بسجل رسمي لهن لإعالتهن، ربما كانت خدمتهن كما هو واضح من الآية:

١. تربية الأولاد: على الأرجح ليس تربية أولادهن تربية مسيحية لأن هذا أمراً مفروغاً منه، بل احتضان الأولاد المنبوذين، أو اليتامى، في بيوتهن.

٢. إضافة الغرباء: أي المؤمنون المتغربون عن بيوتهم.

٣. غسل أرجل القديسين: قديماً كانت هذه المهمة تترك للعبيد، ومعنى هذا أن الأرامل المسيحيات كن مستعدات لتقبل أحقر الأمور في خدمة المسيح وشعبه.

٤. مساعدة المتضايقين: في تلك الأيام كان الاضطهاد قاسياً على الكنيسة، لدرجة أن مساعدة أي مؤمن متضايق بسبب إيمانه يبدو أمراً مستحيلاً.

وهذا معناه أن هؤلاء الأرامل كن مستعدات للقيام بأي عمل حتى لو أدى ذلك لجلب المتاعب عليهن.

هذه الطبقة من الشماسات، أو الأرامل الشماسات، لم يكن من حقها أن تُرتسم مثل الشمامسة أو الشيوخ، بل على الأرجح كن يفرزن بالصلاة للعمل الواجب تأديته.

^١ - ١ تيموثاوس ٥: ٩-١٠.

٢ - الأساقفة

استخدمت كلمة أسقف مرة واحدة لتشير إلى الرب يسوع المسيح^١، ولكنها تكررت مرادفة لكلمة شيخ أو مرادفة لكلمة قسيس حيث يعتبر القسيس راعياً^٢ أيضاً. وهنا ينبغي أن نتوقف عند الأصل اللغوي لهذه الكلمات:

١- شيخ (pres-boo'-ter-os - Πρεσβύτερος) وهي تعني عجوزاً (١ تيموثاوس ٥: ٢)، قديماً (عبرانيين ١١: ٢)، أكبر (لوقا ١٥: ٢٥)، قساً (أعمال ١٤: ٢٣ + ٢٠: ١٧)

٢- أسقف (ep-is'-kop-os - ἐπίσκοπος)

من المرجح أنه في الكنيسة الأولى كان الشيخ والأسقف شخصاً واحداً لأسباب كثيرة أهمها:

١. صفات الشيوخ والأساقفة متطابقة تقريباً (١ تيموثاوس ٣: ٢-٧ مع تيطس ١: ٦-٩)

٢. استخدام الكلمتين بشكل متبادل (١ تيطس ١: ٥ مع ١: ٧)

٣. بينما يطلب بولس من تيطس أن يقيم شيوخاً في كل مدينة نراه هو يقيم أساقفة في كل الكنائس التي أنشأها مع برنابا في رحلته الأولى (أعمال ١٤: ٢٣)

٤. في بداية الرسالة إلى أهل فيلبي يرسل بولس الرسول تحياته إلى الأساقفة والشمامسة، ومن المستحيل أن لا يرسل تحيات إلى الشيوخ في هذه الكنيسة لو كانوا غير الأساقفة.

١ - ١ بطرس ٢: ٢٥

٢ - قارن (أعمال ٢٠: ١٧ مع ٢٠: ٢٨)

وهذا يعني باختصار أن الكلمات (أسقف، شيخ، قس) تشير إلى ذات الخدمة أو الوظيفة في الكنيسة.

ومع الافتراض أن كل كنيسة ينبغي أن يكون فيها أساقفة وشمامسة لكن ينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن الكنائس الفتية تحتاج لوقت ليتوفر فيها ما يتوفر بالكنائس القديمة العهد^١.

وهنا يبرز أماننا سؤالين:

الأول: لماذا استخدمت كلمات مختلفة (شيخ، أسقف) لذات الخدمة؟

الجواب: من المرجح أن كلمة شيخ تصف طبيعة الخادم أي كونه كبير في السن، بينما كلمة أسقف تصف وظيفته حيث كلمة أسقف مأخوذة عن الكلمتين (epi التي تعني فوق، على)^٢ و (skopos التي تعني مراقب)^٣ فيكون المعنى المراقب على، أو المراقب من فوق، أو الناظر، وهي كلمة تشير إلى مسؤولية ما، أو ربما سلطة ما.

الثاني: إذا كان الشيخ والأسقف شخصاً واحداً كيف صار فيما بعد الأسقف يختلف عن الشيخ بتطور صلاحياته؟

الجواب: إن الأسباب التي أدت لتطور صلاحيات الأسقف متعددة أهمها:

١- على الأرجح أن مجموعة الشيوخ في الكنيسة وجدت نفسها بحاجة لمن يقودها، وهكذا برز واحد من هؤلاء الشيوخ الذي يتميز بقدرات ومزايا جعلت منه الأول بينهم، فدعي بالأسقف قائداً للكنيسة.

١ - تيطس ١: ٥.

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G1909

- ٢

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4649

- ٣

٢- احتكاك الكنيسة بالحضارات وصراعها مع الهرطقات والأفكار الفلسفية
أجبرها على حصر التعليم والتبشير بشخص الأسقف كضمانة لوحدة العقيدة.

*ملاحظة:

الرعاية موهبة من الله وبالتالي الراعي هو شخص معين من الله لهذه الخدمة.
أما الأسقفية فلا يتم فيها التعيين من قبل الله بل هي اشتها عمل صالح، وبما أن
الأسقف ينبغي أن يتمتع بموهبة الرعاية فهذا يعني أن الأسقف هو احد الرعاة
المقامين من قبل الله والذي انتهى هذه الخدمة، أي ينبغي أن يتوفر فيه عاملين،
التأهيل الإلهي والرغبة البشرية، لذلك نستطيع أن نقول إن كل أسقف هو راع،
ولكن ليس كل راع هو أسقف.

☒ مهام الشيوخ

(١ رعاية كنيسة الله والاهتمام بها (أعمال ٢٠: ٢٨ + تيموثاوس ٣: ٥ +
١ بطرس ٥: ٢)

(٢ حماية الكنيسة (أعمال ٢٠: ٢٩-٣١)

(٣ القيادة الروحية والتدبير (١ تيموثاوس ٥: ١٧ + عبرانيين ١٣: ٧، ١٧ +
١ بطرس ٥: ٢)

(٤ الكرازة بالكلمة (١ تيموثاوس ٥: ١٧ + تيطس ١: ٩-١١)

(٥ النظر في المسائل العقائدية (أعمال ١٥: ٦)

(٦ الصلاة لأجل المرضى (يعقوب ٥: ١٤)

(٧ العناية بالفقراء (أعمال ١١: ٢٧-٣٠)

(٨ وضع اليد على الآخرين علامة البركة (١ تيموثاوس ٤: ١٤)

☒ كيف يقام الشيوخ في الكنيسة؟

* (أعمال ١٤ : ٢٣) (وَانْتَحَبَا (بولس وبرنابا) لَهُمْ (لِمُؤْمِنِي لِسِتْرَةٍ وَإِيُوثِينَةٍ وَأَنْطَاكِيَّةِ) قُسُوساً فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ ثُمَّ صَلَّيَا بِأَصْوَامٍ وَاسْتَوْدَعَاهُمُ لِلرَّبِّ...)

عملية الانتخاب هنا غير معروفة، ربما كانت بالقرعة وربما كانت بالتصويت. وبكل الأحوال ينبغي أن نتذكر أن الكنائس المسيحية الأولى قد انتظمت على مثال المجمع اليهودية (التي ينتخب رؤساؤها من رؤساء البيوت الموقرين المتقدمين في السن)^١.

* (أعمال ٢٠ : ٢٨) (إِخْتَرُوزُوا (ياقسوس أفسس) إِذَا لَأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً لِنَرْغُوا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي افْتَنَّاها بِدَمِهِ)

من غير الواضح هنا كيف أقام الروح القدس أساقفة في الكنيسة، هل تم الأمر بدعوة باطنية لشخص ما، أم تم الأمر بإرشاد الكنيسة ككل (هذا رأي الكاتب)، أم تم بشكل مباشر وبلا واسطة؟

* (تيطس ١ : ٥) (مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْنُكَ (يا تيطس) فِي كِرِيَتٍ لِكَيْ تُكْمَلَ تَرْتِيبَ الْأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخاً كَمَا أَوْصَيْتُكَ).

أيضاً الأمر هنا غير واضح، هل تيطس أقام الشيوخ بإرشاد من الروح القدس، أم بعملية انتخاب تمت في الكنيسة المحلية بناءً على المواصفات التي أعطاها الرسول بولس لتيطس والتي تتعلق بصفات الشيوخ؟

ماذا بالنسبة لنا اليوم، على الأرجح أن إقامة الشيوخ ينبغي أن تتم بانتخاب مباشر من الجماعة لمن تنطبق عليهم مواصفات الكتاب المقدس وذلك بروح الصلاة والصوم.

^١ - الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، ج ٤، ص ١٩٥.

الباب الخامس

أجزاء العبادة

قلنا إن العبادة في المسيحية هي إعطاء الله حقه في المحبة، والإكرام، والمهابة، والخشوع. ويتم ذلك في الفكر والسلوك.

ومع أن العابد يَلْتَمِس بركات الله وإحساناته بشكل يومي، لكنه ينشغل أولاً بمجد الله، وهذا الانشغال يتجلى بعدة أمور، هي بالحقيقة أجزاء العبادة. فما هي هذه الأجزاء؟

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس

الفصل الأول

الصلاة^١

(وَإِذْ كَانَ (يسوع) يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ: «يَا رَبُّ عَلَّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوْحَنَّا أَيْضاً تَلَامِيذَهُ»)^٢

تُعَرَّف الصلاة بأنها الاتصال مع الله الآب بواسطة ابنه الرب يسوع المسيح، إمّا لرفع الشكر، أو لنوال البركات والنعم، أو للاعتراف والتوبة. ولأن الله روح فالصلاة تكون بالروح والحق^٣.

ومع أن العهد القديم يحوي نماذج كثيرة للصلاة^٤، لكن لا يوجد أبداً أية تعليمات تشرح محتويات الصلاة (أجزاءها)، أو كيفية أدائها.

في العهد الجديد يوجد أيضاً نماذج متعددة للصلاة أهمها ما يختص بالمسيح وتلاميذه. وبخلاف العهد القديم، فإن الرب يسوع المسيح في سلوكه وأقواله يقدم لنا التعليمات التي تشرح محتويات الصلاة وكيفية أدائها، وهذه التعليمات عكسها التلاميذ في ممارساتهم لتكون منهجاً للكنيسة فيما بعد.

وبما أنه يوجد نوعان من الصلوات، الأولى فردية والثانية جماعية، فسننتوقف فقط أمام الصلاة الفردية لدراستها، آخذين بعين الاعتبار أن الصلاة الجماعية لا تختلف عن الفردية إلا بوجود أكثر من مصل.

^١ - عندما نصلي مخبرين الله بما نحتاج إليه، فنحن لا نضيف لعلم الله معرفة جديدة، كونه يعلم بكل شيء ومنذ الأزل، فقد قيل عن الله (إن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه) (متى ٦: ٨). إذاً لماذا نصلي، بكل بساطة لكي نؤكد للرب عمق احتياجنا إليه، وأننا بدون الله نقدر أن نفعل شيئاً، ومن جهته يُسر عندما يجدنا نقدر نعمه، فيعطينا إياها. مع العلم أن الله أعطانا أشياء كثيرة دون أن نطلبها (نصلي لأجلها)، إمّا لجهلنا، أو لأنه وعد بها دون أن نطلبها (متى ٦: ٣١-٣٣).

^٢ - لوقا ١١: ١

^٣ - يوحنا ٤: ٢٤.

^٤ - بعض هذه الصلوات رافقها تقديم الذبائح.

أولاً- محتويات (أجزاء) الصلاة:

- ١- الاعتراف أو الإقرار بالخطية (إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ)¹.
- ٢- التوبة (وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِي)².
- ٣- التمجيد (فَلَمَّا سَمِعُوا رَفَعُوا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ صَوْتًا إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا: أَيُّهَا السَّيِّدُ أَنْتَ هُوَ الْإِلَهُ الصَّانِعُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَكُلِّ مَا فِيهَا)³.
- ٤- الشكر (وَأَخَذَ يَسُوعُ الْأَرْغِفَةَ وَشَكَرَ وَوَزَعَ عَلَى التَّلَامِيذِ وَالتَّلَامِيذُ أَعْطَوْا الْمُتَكِنِينَ. وَكَذَلِكَ مِنَ السَّمَكَيْنِ بِقَدْرِ مَا شَاءُوا)⁴.
- ٥- الطلب (التوسل للآخرين وللنفس) (مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ).⁵ (لَا تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلَاةِ وَالِدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتَعْلَمَ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللَّهِ)⁶.

ثانياً- كيفية أداء الصلاة:⁷

-
- ١ - يوحنا ١: ٩. قارن (دانيال ٩: ٤).
 - ٢ - لوقا ١٨: ١٣.
 - ٣ - أعمال ٤: ٢٤.
 - ٤ - يوحنا ٦: ١١ + فيلبي ٤: ٦ + كولوسي ٤: ٢.
 - ٥ - يوحنا ١٧: ٩ + مرقس ١٠: ١٦ + أفسس ٦: ١٨.
 - ٦ - فيلبي ٤: ٦.
 - ٧ - عندما تؤدي الصلاة فإن الله يستجيبك بواحد من ثلاثة:
 - نعم الآن، لأنه الوقت المناسب.
 - كلا، لأن هذا ليس لخيرك.
 - انتظر، لم يأت الوقت المناسب بعد.
- بكل الأحوال ("طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها") (يعقوب ٥: ١٦).

- ١- ينبغي أن تكون الصلاة بلجاجة^١، وهذا لا يعني تكرار الصلاة ليلاً ونهاراً، لكن الثقة بأن ما نسأله موجود فقط عند الآب السماوي. وكمثال على ذلك ما فعلته الأرملة مع قاضي الظلم فرغم أنه صرفها مراراً كثيرة لكنها لم تذهب لقاض آخر، بل بقيت مواظبة على قرع بابه وكأنها تقول له مهما صرفتني فإني عائدة إليك لأنه لا يوجد آخر قادر على سد إغوازي غيرك.
- ٢- ينبغي أن تكون بجهد (ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّلَامِيذِ فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً فَقَالَ لِيُطْرُسَ: «أَهَكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِنَلَّا نَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَّا الرُّوحُ فَتَشْطِيطُ وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»^٢).
- ٣- ينبغي أن تكون بلا ملل (وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يَمَلَّ)^٣. وهذا يتضمن الصلاة في أوقات مختلفة وظروف مختلفة.
- ٤- ينبغي أن تكون الصلاة بتواضع، وهذا ما نجده في مثل الفريسي والعشار^٤.
- ٥- ينبغي أن تكون الصلاة مقرونة بالغفران، وهذا ما نجده في مثل^٥ الملك الذي حاسب عبيده، فهو قد استدعى أحد مدينيه لسداد ما عليه، ولأنه غير قادر على الإيفاء أطلقه وترك له الدين، وبلا

١ - لوقا ١١: ٥-٨ + ١٨: ١-٨ + متى ٧: ٧.

٢ - متى ٢٦: ٤٠-٤١. قارن (لوقا ٢٢: ٤٤).

٣ - لوقا ١٨: ١.

٤ - لوقا ١٨: ٩-١٤.

٥ - متى ١٨: ٢٣-٣٥. قارن أيضاً (متى ٦: ١٢+٥: ٢٣-٢٤).

شك فإنه كان يترجى أن يفعل هو أيضاً مثله، فيترك ماله على الآخرين. لكنه مع الأسف لم يفعل فأودع السجن. والرب عقّب فقال (فَهَكَذَا أَبِي السَّمَاوِيُّ يَفْعَلُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَتْرَكُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ لِأَخِيهِ زَلَّاتِهِ)

٦- ينبغي أن تكون الصلاة مقرونة بالبساطة (وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلَا تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشُّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَانِيَةً)^١.

٧- ينبغي أن تُرفع بإيمان (إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ)^٢

٨- ينبغي أن تُرفع بالروح القدس إلى الآب السماوي، وباسم المسيح (وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدَّ الْآبُ بِالْإِبْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ)^٣. وكل صلاة لا تراعي هذا الأمر، صلاة غير كتابية^٤.

هذا لا يعني الانتقال من جوهر أحد الأقانيم^٥، حاشا، لكن هذا ترتيب وظيفي علينا أن نراعيه في هذه الحياة.

١ - متى ٦: ٥-٦.

٢ - مرقس ٩: ٢٣.

٣ - يوحنا ١٤: ١٣-١٤، وبالمقابل فإن البركة تأتي من الآب عن طريق المسيح (افسس ١: ٣)

٤ - وكتأكيد لهذه الحقيقة لا يوجد في كل العهد الجديد مثلاً صلاة مرفوعة للروح القدس باسم المسيح.

٥ - لمزيد من المعرفة اقرأ كتاب (عالم يتغير برسالة لا تتغير) للكاتب، دمشق، دار رسلان للطباعة.

٩- ينبغي أن تُرفع بدوافع سليمة (تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لَأَتَّكُمُ تَطْلُبُونَ رَدِيًّا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَاتِكُمْ)^١

١٠- ينبغي أن تكون بحسب إرادة (قصد) الله^٢ (يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِنَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ)^٣.

١١- ينبغي أن تُرفع من قلب يحفظ وصاياه (وَمَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ، لَأَنَّا نَحْفَظُ وَصَايَاهُ، وَنَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الْمَرْضِيَّةَ أَمَامَهُ)^٤

ثالثاً - وضعية المصلي:

ليس هناك من وضعية معينة للمصلي تُستجاب من خلالها صلاته، فكل وضعية مقبولة طالما أنها لا تحمل في ذاتها معنى السخرية أو اللامبالاة أو قلة الاحترام. وهكذا قد تكون وضعية العابد هي:

١ - يعقوب ٤ : ٣.

٢ - من المؤسف أن جزءاً كبيراً من صلواتنا يدور حول أنفسنا، وكأننا نريد من الله أن يساعدنا على تحقيق مقاصدنا في هذه الحياة. فنطلب منه أفضل الصحة، وأكثر الغنى، والإقامة في أفضل البلدان، والنجاح لنا ولأولادنا. بينما كان المفترض بنا أن تدور صلواتنا حول تحقيق قصد الله لنا في هذه الحياة.

لقد شكل الله كل واحد فينا من خلال ظروف متعددة ومعقدة للقيام بدور ما في هذه الحياة، دور لا يستطيع أي شخص آخر في الوجود أن يقوم به بنفس الأهلية. وإدراكنا لهذا الدور يدفعنا لنعمل جاهدين على تحقيقه وليس على تغييره بالصلاة.

إن كل ما يدور حولنا من ظروف صعبة أو سهلة، مصائب أو أفراح، علينا أن نراها كيف تخدم هذا القصد الإلهي العظيم. لذلك ليس بالضرورة أن تكون الصحة دائماً هي الأفضل لتحقيق هذا القصد، وليس بالضرورة أن يكون الغنى هو الأفضل لتحقيق هذا القصد، وليس بالضرورة أن يكون الزواج هو الأفضل لتحقيق هذا القصد.

عندما نفهم هذه الأمور سنصلي تلقائياً ليس لتغيير ما يحيط بنا من صعوبات، بل لجعل كل ما بنا، وما حولنا، يخدم هذا القصد الإلهي في حياتنا و(إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا) يوحنا ٥ : ١٤.

٣ - لوقا ٢٢ : ٤٢.

٤ - يوحنا ٣ : ٢٢.

١- السجود على الركب كما فعل بولس الرسول (بِسَبَبِ هَذَا أَخْنِي رُكْبَتِي لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ)¹، وكذلك استفانوس (ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ)²، وبطرس (فَأَخْرَجَ بُطْرُسُ الْجَمِيعَ خَارِجاً وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى)³، والرب يسوع المسيح (وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى)⁴.

٢- السجود على الركب مع بسط اليدين نحو السماء كما فعل سليمان (وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى الرَّبِّ بِكُلِّ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَالتَّضَرُّعِ، أَنَّهُ نَهَضَ مِنْ أَمَامِ مَذْبَحِ الرَّبِّ مِنَ الْجُثُوِّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ نَحْوَ السَّمَاءِ)⁵.

٣- السجود على الركب مع ملاصقة الوجه للأرض⁶ (ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا (يسوع) وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَكَانَ يُصَلِّي قَائِلًا)⁷.

٤- الوقوف (أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا....)⁸.

٥- الوقوف مع بسط اليدين نحو السماء (وَوَقَفَ سُلَيْمَانُ أَمَامَ مَذْبَحِ الرَّبِّ نَجَاهَ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)⁹.

٦- الوقوف مع القرع على الصدر (وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِيءُ). لوقا ١٨: ١٣.

١ - أفسس ٣: ١٤.

٢ - أعمال ٧: ٦٠.

٣ - أعمال ٩: ٤٠.

٤ - لوقا ٢٢: ٤١.

٥ - ١ ملوك ٨: ٥٤.

٦ - الأمر الغريب أن هذه الوضعية عند كل الشعوب تشير إلى أعظم الإكرام.

٧ - متى ٢٦: ٣٩.

٨ - لوقا ١٨: ١١.

٩ - ١ ملوك ٨: ٢٢.

رابعاً - مكان وزمان الصلاة:

لا يوجد في كل العهد الجديد، عهد النعمة، أي تعليم فرض عن مكان أو زمان مخصص للصلاة، فالصلاة تتم دائماً في الزمان والمكان الذي ندرك فيه احتياجنا للرب، وذلك بغض النظر عن اتجاهنا. ولنا مثال في ذلك الرب يسوع المسيح الذي صلى في أمكنة وأزمنة مختلفة، حيث صلى في الخفاء (وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي) ^١، وصلى أمام التلاميذ في ساعة شدة ^٢ (الآنَ نَفْسِي قَدْ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الْآبُ مَجِّدْ اسْمَكَ. فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ: مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضاً) ^٣، وصلى على الجبل (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ) ^٤، وصلى على الصليب (وَنَحْوَ السَّاعَةِ النَّاسِعةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلِيلِي إِلِيلِي لَمَّا شَبَقْتَنِي» (أَي: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟) ^٥

خامساً - أهداف الصلاة:

* (وَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) ^٦

* (وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ) ^٧

* (فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا الْجِنْسُ (من الأرواح الشريرة) لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ») ^٨.

١ - لوقا ٥: ١٦.

٢ - لكنه لم يصل معهم على الإطلاق!!

٣ - يوحنا ١٢: ٢٧-٢٨.

٤ - لوقا ٦: ١٢.

٥ - متى ٢٦: ٤٧.

٦ - متى ٦: ١٢.

٧ - متى ٥: ٤٤.

٨ - مرقس ٩: ٢٩.

* (خُبِرْنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ)¹، على الأرجح أن هذه الطلبة تتحدث عن العمل وليس عن الخبز، بمعنى أَعْطِنَا اليوم عملاً نأكل من خلاله خبزاً في يومنا هذا، باعتبار أن الطعام يُزاد لنا² دون أن نطلب.

* (وَلَا تَدْخُلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ)³

* (حِينَئِذٍ قَالَ لَتَلَامِيذِهِ: «الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنَّ الْفَعْلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعْلَةً إِلَى حَصَادِهِ»⁴).

* (فَلَنَتَقَدَّمَ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النُّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ)⁵.

* (لَأَنَّهُ يُقَدِّسُ (الطعام) بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ).⁶

* (وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ)⁷

* (ثُمَّ صَلَّى أَيْضاً فَأَعْطَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ ثَمَرَهَا)⁸

* (وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ (يسوع) إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ. وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضاً «رُسُلًا»⁹). من أجل القرارات الهامة

¹ - متى ٦: ١١.

² - (فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الْأُمَمُ. لَأَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَغْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلَّهَا. لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ) متى ٦: ٣١-٣٣.

³ - متى ٦: ١٣.

⁴ - متى ٩: ٣٧-٣٨.

⁵ - عبرانيين: ٤: ١٦.

⁶ - تيموثاوس ٤: ٥.

⁷ - يعقوب ٥: ١٥.

⁸ - يعقوب ٥: ١٨.

⁹ - لوقا ١٢: ١٣-١٣.

* (وَأَنْتُمْ أَيْضاً مُسَاعِدُونَ بِالصَّلَاةِ لِأَجْلِنَا) ^١

* (فَاطْلُبْ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُقَامَ طِلَبَاتُ وَصَلَوَاتُ وَابْتِهَالَاتُ وَتَشْكُرَاتُ لِأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لِأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةَ مُطْمَئِنَّةً هَادِنَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ) ^٢

* (وَأَنَا مُتَكَلِّمٌ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلُ) ^٣.

سادساً - معوقات الصلاة

* (وَلَكِنْ بِدُونِ إِيْمَانٍ لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاؤُهُ...) ^٤

* (أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَّفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِئِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةَ وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ وَأَعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَارُ فَوَقَّفَ مِنْ بَعِيدٍ لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَيَّ بَنِيهِ مُبَرِّراً دُونَ ذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ) ^٥

* (وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلَا تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشُّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَانِيَةً) ^٦

^١ - ٢ كورنثوس ١ : ١١ .

^٢ - ١ تيموثاوس ٢ : ١ - ٢ .

^٣ - دانيال ٩ : ٢١ + أعمال ١٠ : ٩ - ١٦ .

^٤ - عبرانيين ١١ : ٦ .

^٥ - لوقا ١٨ : ١١ - ١٤ .

^٦ - متى ٦ : ٥ - ٦ .

* (هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ وَلَمْ تَنْقُلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ. بَلْ أَثَامُكُمْ صَارَتْ فَاكِصَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهُكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَسْمَعَ.)^١

* (تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لِأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رِيبًا لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَائِكُمْ.)^٢

* (وَلَكِنْ لِيَطْلُبَ بِإِيمَانٍ غَيْرِ مُرْتَابٍ الْبَيَّةَ، لِأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَذْفَعُهُ. فَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ.)^٣.
صل لأجل كل شيء والذي لا تجرو أن تصلي من أجله لا تمسه.

* (كَذَلِكَ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الْإِنَاءِ النَّسَائِيِّ كَالْأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ، لِكَيْ لَا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ.)^٤

* (مَنْ يُحَوِّلُ أُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ فَصَلَاتُهُ أَيْضاً مَكْرَهَةٌ.)^٥

سابعاً - دور الروح القدس في الصلاة:

(وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ^٦συναντιλαμβάνομαι ^٧ضعفَاتِنَا ἀσθένεια)
لأننا لسنا نعلم ما نُصَلِّي لأجله كما ينبغي. ولكنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنْتَاتٍ

١ - اشعيا ٥٩: ١-٢.

٢ - يعقوب ٤: ٣.

٣ - يعقوب ١: ٦-٧.

٤ - ١ بطرس ٣: ٧.

٥ - أمثال ٢٨: ٩.

٦ - تقرأ (soon-an-tee-lam-ban'-om-ahee)، وهي تعني في الأصل اليوناني (يساعد مع، يرفع سوية مع آخر مختلف).

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4878

٧ - تُقرأ (as-then'-i-ah)، وهي تعني في الأصل اليوناني (وهن في الجسد أو الذهن)
Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G769

لَا يُنْطَقُ بِهَا وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ لِأَنَّهُ بِحَسَبِ
مَشِيئَةِ اللَّهِ يَشْفَعُ فِي الْقَدِيسِينَ^١.

(١) يعين ضعفاتنا

عندما نُقبل إلى الصلاة ونحن في حالة من الضعف الجسدي (بسبب الإرهاق في العمل أو الخدمة)، أو الضعف الذهني (بسبب أزمة نفسية مع الآخرين، أو اكتئاب ناتج عن ضغط الخدمة)، نجد أنفسنا ميالين لترك الصلاة والخلود إلى الراحة.

لكن الرسول بولس يقول لنا، حتى وإن كنت في هذه الحالة من الضعف لا تترك الصلاة ، ولا تؤجلها. لأن الروح القدس عندما يراك تجاهد في الصلاة فإنه يُقبل إليك لكي يساعدك في ضعفك، ويرفع صلاتك أمام عرش النعمة.

من المهم الملاحظة هنا ان الروح القدس لا يعمل عوضاً عنك، لكن يعمل معك (لأنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا)^٢، إنه يراك كرجل يريد أن يجر حملاً أكبر من إمكانياته، أو يرفع حملاً فوق طاقته، فيأتي إليك ليتعاون معك في رفع أو جر الحمل. وهذا ما يفيدهِ الأصل اللغوي لكلمة يعين.

هذا الأمر نجد نظيره في دعوة الرب للمتعبين عندما يقول لهم (احْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ)^٣، والنير هو قطعة خشبية ثقيلة على شكل إشارة (+)

١ - رومية ٨: ٢٦-٢٧.

٢ - فيلبي ٢: ١٣.

٣ - متى ١١: ٢٩.

توضع على عنق ثورين، وتتصل بالمحراث أو غيره من الآلات أو العربات لجرها. والغاية منها أن يساعد الثور القوي الثور الضعيف.

وكأنني بالرب يسوع يقول للمؤمن المتعب، عندما تضع نفسك معي تحت نير واحد فإنني سأحملك وأحمل حملك، لن أحمل نيابة عنك لكنني سأحمل معك.

إننا بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً، وهو بدوننا لا يريد أن يفعل شيئاً.

٢) يشفع فينا

إن المؤمن في علاقته مع الله لديه مشكلتان، الأولى تتعلق بخطاياها، والثانية تتعلق بمشيئته. فالخطية من جهة، واختلاف مشيئة المؤمن مع مشيئة الله من جهة أخرى، يجعلان المؤمن غير مقبول لدى الآب السماوي.

لذلك يقدم لنا الكتاب المقدس شفيعان لحل هذه المشكلة، الأول هو المسيح، والثاني هو الروح القدس.

ماهي شفاعته المسيح: إنها شفاعته كفارية (إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ)^١، مبنية على عمل المسيح على خشبة الصليب، أي على عمل لاهلقة للمؤمن به. غايتها قبول المؤمن الملوث بالخطية أمام الآب السماوي.

ماهي شفاعته الروح القدس: إنها ليست كفارية، إنها شفاعته مشيئة (وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا)، مبنية على عمل الروح القدس في المؤمن، أي في إقناعه بتعديل مشيئته لتتسجم مع مشيئة الآب السماوي، وبالتالي ليكون مقبولاً لديه.

^١ - عبرانيين ٧: ٢٥.

إذاً المسيح يجعلنا مقبولين أمام الآب السماوي بسبب كفارته عندما يُظهرنا بلا خطية، والروح القدس يجعلنا مقبولين أمام الآب السماوي عندما يظهرنا بمشيئة لا تختلف عن مشيئة الآب السماوي.

مكتوب (لَأَنَّنا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لِأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي)، هذا لا يعني أننا لانعلم بالملق ما نصلي لأجله، فنحن نعلم مثلاً أن نسال الآب مغفرة الخطايا عندما نسقط، وأن نساله المعونة وقت التجربة، الخ...

لكن يعني اننا لانعلم أن نطلب الأفضل في كل أمور الحياة ليهبه لنا الله، وإليك بعض الأمثلة:

○ إبراهيم، صلى لكي لا يهلك الرب سدوم وعمورة ولم تُستجب صلاته^١، مع انها مرفوعة من قلب مكرس لله، ومحـب للآخرين.

○ موسى صلى ليدخل أرض الموعد (دَعْنِي أَعْبُرُ وَأَرَى الْأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ هَذَا الْجَبَلُ الْجَيِّدُ وَلُبْنَانُ. لَكِنَّ الرَّبَّ غَضِبَ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ وَلَمْ يَسْمَعْ لِي بَلْ قَالَ لِي الرَّبُّ: كَفَاكَ! لَا تَعُدْ تُكَلِّمُنِي أَيْضاً فِي هَذَا الْأَمْرِ)^٢.

○ ارميا صلى من اجل شعبه (ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِي: [وَإِنْ وَقَفَ مُوسَى وَصَمَّوئِيلُ أَمَامِي لَا تَكُونُ نَفْسِي نَحْوَ هَذَا الشَّعْبِ])^٣.

○ أم ابني زبدي (حِينَئِذٍ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنِي زَبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئاً. فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ

١ - تكوين ١٨.

٢ - تثنية ٣: ٢٥-٢٦.

٣ - ارميا ١٥: ١.

لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَنْ
الْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا
تَطْلُبَانِ^١

○ صلاة يعقوب ويوحنا بعد رفض السامرة لتلاميذ المسيح (فَلَمَّا
رَأَى ذَلِكَ تَلْمِيزَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا قَالَا: «يَا رَبُّ أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ
أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَقْنِيَهُمْ كَمَا فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ أَيْضًا؟ فَالْتَقَتْ
وَأَنْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا!»،^٢ ظن
التلاميذ ان إحراق السامرة بمجد الله، لكن الله لم يرى هذا
لمجده.

○ الرسول بولس صلى من أجل مرضه (مِنْ جِهَةِ هَذَا
تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ
نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمُلُ»)^٣، والرب لم يستجب،
بل أبقى المرض لمنفعته.

إذاً ليس من الضرورة أن يعرف البار دائماً ما ينبغي أن يصلي من
أجله، إذ كثيراً ما تتبع الصلاة من جهلنا، أو من دوافع ورغبات غير
نقية، وأحياناً مع الأسف رديه.

وهنا يأتي دور الروح القدس الذي يُقنع المؤمن بالتسليم الكامل لإرادة
الآب، أي يقنعه إمّا بما يريد الله فيطلبه، أو يقنعه ان طلبته ليست
في مصلحته فيتخلّى عنها. وسواء هذا أو ذاك سيصلي لتكون

١ - متى ٢٠: ٢٠-٢٢.

٢ - لوقا ٩: ٥٤-٥٥.

٣ - ٢ كورنثوس ١٢: ٨-٩.

مشيئتك، فُتسمع صلاته لديه (وَهَذِهِ هِيَ النَّقَّةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ
طَلَبْنَا شَيْئًا حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا)^١.

إن صلاة البار لا تغير مشيئة الله، بل تغير مشيئته لتتطابق مع
مشيئة الله.

إذاً الروح القدس هو الذي يعلمنا ما نصلي لأجله وفي هذا تعزية
عظيمة لكل من يشعر بضعف صلاته.

٣) يشوقنا للبركات الروحية

قيل عن الروح القدس انه (يَشْفَعُ فِيْنَا بِأَنَاتٍ لَا يُنْطَقُ بِهَا)، الأنات هنا
هي أنات المؤمنين لا أنات الروح القدس، وهي ما يعبرون بها عن
أشواقهم إلى الأمور الروحية التي أوجدها الروح القدس في قلوبهم
(وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنْ اللَّهِ لِنَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ
الْمُوهُوبَةَ لَنَا مِنْ اللَّهِ)^٢

فالروح القدس لا يوجد البلاغة في صلواتنا، لكن يوجد الأشواق في
قلوبنا إلى الأشياء الموهوبة لنا من الله. وما أكثر ما عبّرت مشاعرنا
عن ذلك دون أن نتكلم كلمة واحدة.

^١ - ١ يوحنا ٥: ١٤.

^٢ - ١ كورنثوس ٢: ١٢.

الفصل الثاني

الصوم

(وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ^١ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَأَذْهَنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ^٢ لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً بَلْ لِأَبْيِكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ^٣ عَلَانِيَةً^٤).

أولاً - تعريف الصوم:

يُعرّف الصوم بأنه الإمساك عن الطعام، أو الشراب، أو كليهما لفترة من الزمن ولهدف محدد، مع التفرغ كلياً للصلاة.

ثانياً - بعض مرادفات كلمة الصوم

(١) الصوم بمعنى التواضع (وَلَمَّا سَمِعَ أَخَابُ هَذَا الْكَلَامَ شَقَّ ثِيَابَهُ وَجَعَلَ مِسْحاً عَلَى جَسَدِهِ وَصَامَ وَاضْطَجَعَ بِالْمِسْحِ وَمَشَى بِسُكُوتٍ. فَكَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَى إِبِلْيَا النَّسَبِيِّ: هَلْ رَأَيْتَ كَيْفَ اتَّضَعَ أَخَابُ أَمَامِي؟ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ اتَّضَعَ أَمَامِي لَا أَجْلِبُ الشَّرَّ فِي أَيَّامِهِ، بَلْ فِي أَيَّامِ ابْنِهِ أَجْلِبُ الشَّرَّ عَلَى بَيْتِهِ)^٥.

^١ - هذا يشير لمظهر الصائم الحزين.

^٢ - دعوة للتخلي عن مفهوم الصوم المعتاد بين الناس. فمن الآن وصاعداً الصوم لن يكون علامة حزن باعتباره واجباً ثقیلاً، لكنه سيكون علامة فرح باعتباره مع الصلاة وسيلة للانتصار.

^٣ - كل عمل مبني على الإيمان له مجازاة، أو بتعبير بسيط مأجور، قارن (متى ٥: ١٢، ٤٦ + متى ٦: ٤، ٦)

^٤ - متى ٦: ١٦-١٨.

^٥ - ١ملوك ٢١: ٢٧-٢٩. كان اخآب أشر كل ملوك المملكة الشمالية (١٦: ٣٠ ؛ ٢١: ٢٥)، ولكن عندما تاب عن خطيئته في اتضاع عميق، رأى الله ذلك وخفف من عقابه.

٢) الصوم بمعنى تذليل النفس (أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ
الْإِنْسَانُ فِيهِ نَفْسَهُ يُحْنِي كَالْأَسَلَةَ رَأْسَهُ وَيَفْرِشُ تَحْتَهُ مِسْحًا وَرَمَادًا. هَلْ تُسَمِّي
هَذَا صَوْمًا وَيَوْمًا مَقْبُولًا لِلرَّبِّ؟)^١

٣) الصوم بمعنى النوح (حِينَئِذٍ أَتَى إِلَيْهِ تَلَامِيذُ يُوَحْنَّا قَائِلِينَ: «لِمَذَا نَصُومُ
نَحْنُ وَالْفَرِيسِيُّونَ كَثِيرًا وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ
يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنُوحُوا^٢ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ
يُزْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ)^٣.

ثالثاً - الصوم في العهد القديم:

١) صومٌ أمر به الرب، وهو يتم بشكل دوري في يوم الكفارة العظيم،
ومدته يوماً واحداً، فيه يعتزل الناس كل مسرة، وما يدل على الفرح
(وَيَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةٌ دَهْرِيَّةٌ أَنْكُمْ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ
الشَّهْرِ (يوم الكفارة) تَذَلِّلُونَ نَفُوسَكُمْ، وَكُلَّ عَمَلٍ لَا تَعْمَلُونَ: الْوَطَنِيُّ
وَالْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسْطِكُمْ)^٤.

١ - اشعيا ٥٨: ٥.

٢ - مع أن تلاميذ يوحنا كان سؤالهم عن الصوم، لكن الرب في جوابه استبدل كلمة الصوم
بالنوح، وهذا إشارة لحالة الصائم المتعارف عليها في ذلك الوقت.

٣ - متى ٩: ١٤-١٥.

٤ - بالمقارنة مع (اشعيا ٨: ٣، ٥، ١٠ + مزمو ٣٥: ١٣) يكون المقصود بتذليل النفس،
الصوم. قارن أيضاً (أعمال ٢٧: ٩). وقيل تذللون نفوسكم (تصومون) باعتبار الأمر هنا مرتبط
بالتكفير عن الخطية، فلا يمكن للشخص أن يكفر عن خطيئته دون أن يشعر بمرارتها،
والصوم يعكس هذا الشعور.

لكن ما حدث فيما بعد أن كل صيام يقوم به العابد ارتبط بتذلل النفس، وهذا شيء لم يأمر به
الرب.

٥ - لاويين ١٦: ٢٩.

٢) صَوْمٌ أَمْرٌ بِهِ الرَّبُّ، وَهُوَ يَتَمُّ بِشَكْلِ يَوْمِي (أَلَيْسَ هَذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُبُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقْدَ النَّيْرِ (ترك الدين ورد الرهن) وَإِطْلَاقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا وَقَطَعَ كُلَّ نَيْرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ وَأَنْ تُدْخَلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَانًا أَنْ تَكْسُوهُ وَأَنْ لَا تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ (قريبك البائس))^١

٣) صَوْمٌ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ الرَّبُّ، وَكَانَ يَتَمُّ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ، مِثْلًا:

- زمن الحرب (قضاة ٢٠: ٢٦ + صموئيل ٧: ٦)
- زمن المرض (٢ صموئيل ١٢: ١٥ - ١٦)
- زمن الموت (١ صموئيل ٣١: ١٣ + ٢ صموئيل ١: ١٢).
- زمن الخطر (٢ أخبار ٢٠: ٣ + نحميا ١: ٤ + استير ٤: ١٦)
- زمن الضيق (١ صموئيل ١: ٧ + ١ ملوك ٢١: ٤ - ١)
- زمن الخطية (تثنية ٩: ١٨)
- زمن الغضب (١ صموئيل ٢٠: ٣٤)
- استعداداً لاستقبال إعلان (خروج ٣٤: ٢٨ + دانيال ٩: ٣)

رابعاً - الصوم في العهد الجديد:

مع أنه لا يوجد في العهد الجديد آية وصية عن الصوم، لكن يوجد كلام عن حاجة العابد للصوم (حَبِيتْزِ أَتَى إِلَيْهِ تَلَامِيذُ يُوَحَنَّا قَائِلِينَ: «لِمَاذَا نَصُومُ^٢ نَحْنُ

^١ - اشعيا ٥٨: ٦-٧. هنا يبدو الصوم الحقيقي بأنه أكثر من مجرد الامتناع عن الأكل، إنه إرضاء الله بتطبيق وصيته على مجتمعا.

^٢ - يبدو أن تلاميذ يوحنا كانوا يصومون في أوقات كثيرة، وبشكل روتيني، تعبيراً عن توبتهم باتضاع عميق، ولإعداد أنفسهم لمجيء المسيح.

وَالْفَرِيسِيُّونَ كَثِيرًا وَأَمَّا تَلَامِيذُكَ فَلَا يَصُومُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنْوَحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ^١.

ومع ان الرب يسوع لم يتكلم إلا مرة واحدة عن حاجة العابد إلى الصوم عندما قال لتلاميذه الذين عجزوا عن إخراج الروح النجس (وَأَمَّا هَذَا الْجِنْسُ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ^٢ وَالصَّوْمِ)^٣، لكن هذا لا يعني أنه لا توجد احتياجات أخرى. وهذا ما فهمته الكنيسة وعملت به فيما بعد.

قيل عن المؤمنين في كنيسة أنطاكية الذين هيئوا أنفسهم للعمل المرسلي (وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدُمُونَ) (يعبدون) الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: «أَفْرِزُوا لِي بَرَنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْنَهُمَا إِلَيْهِ». فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا^٤ وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الْأَيْدِي ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا^٥.

^١ - متى ٩: ١٤-١٥.

^٢ - قَرَنَ الصَّيَامَ بِالصَّلَاةِ لِلتَّأَكِيدِ أَنَّ الصَّوْمَ دُونَ صَلَاةٍ لَا مَنْفَعَةَ مِنْهُ.

^٣ - متى ١٧: ٢١.

^٤ - لاحظ هنا الصيام ارتبط بالخدمة المؤثرة، وليس بافتراض الأرض وإظهار الحزن العميق. وغني عن التعريف أنه لا يمكن أن تنجح أية خدمة تنطلق من قلب حزين (باستثناء الحزن على الخاطئ). وقد صام التلاميذ هنا (إضافة للصلاة) من أجل الحصول على إعلان أو إرشاد سماوي.

^٥ - أي تابعوا الصوم مع الصلاة من أجل فرز الأخوة للعمل المرسلي.

^٦ - أعمال ١٣: ٢-٣.

وهذا يعني أن الصوم الذي يقترن بالصلاة بحسب مفهوم العهد الجديد ينبغي أن يكون وراءه حاجة ما (إخراج شياطين، عمل مرسلي، إعلان، مرض، ضيق..الخ). وينتهي هذا الصوم بانتهاء تحقيق الحاجة^١.

أما فترة الصوم فأعتقد أنها مفتوحة أمام العابد بشكل فردي أو أمام الكنيسة بشكل جماعي، فقد تكون لجزء من اليوم أو لليوم بأكمله أو أكثر من ذلك.

أما المانع الوحيد في الصوم فهو يختص بالمتزوجين، ويذكره لنا الرسول بولس قائلاً (لَا يَسْلُبْ أَحَدُكُمْ الْآخَرَ (لا يمنع أحدهما الآخر عن نفسه) إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوَافَقَةٍ إِلَى حِينٍ لِكَي تَتَقَرَّعُوا لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضاً مَعاً لِكَي لَا يُجَرِّكُمُ الشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَظَاهَتِكُمْ)^٢.

ومن المهم الانتباه انه لا يوجد في كل العهد الجديد صوماً يشبه صوم العهد القديم الذي أمر به الرب (يوم الكفارة العظيم) شكلاً أو مضموناً.

خامساً - الصوم الذي يرفضه الله

أ - الصوم لغايات رديّه

(وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّهُ كَانَ لِنَابُوتَ الْيَزْرَعِيلِيِّ كَرَمٌ فِي يَزْرَعِيلَ بِجَانِبِ قَصْرِ أَخَابَ مَلِكِ السَّامِرَةِ. فَقَالَ أَخَابُ لِنَابُوتَ: [أَعْطِنِي كَرَمَكَ فَيَكُونَ لِي بُسْتَانًا بِقَوْلٍ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ بِجَانِبِ بَيْتِي، فَأَعْطِيكَ عِوَضَهُ كَرَمًا أَحْسَنَ مِنْهُ. أَوْ إِذَا حَسُنَ فِي

^١ - لاحظ حكمة داود في هذا الأمر (فَقَامَ دَاوُدُ عَنِ الْأَرْضِ وَاغْتَسَلَ وَادَّهَنَ وَبَدَّلَ ثِيَابَهُ وَدَخَلَ بَيْتَ الرَّبِّ وَسَجَدَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى بَيْتِهِ وَطَلَبَ فَوَضَعُوا لَهُ خُبْزًا فَأَكَلَ. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي فَعَلْتَ؟ لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتَ وَبَكَيْتَ، وَلَمَّا مَاتَ الْوَلَدُ قُمْتَ وَأَكَلْتَ خُبْزًا». فَقَالَ: «لَمَّا كَانَ الْوَلَدُ حَيًّا صُمْتُ وَبَكَيْتُ لِأَنِّي قُلْتُ: مَنْ يَعْلَمُ؟ رُبَّمَا يَرْحَمُنِي الرَّبُّ وَيَحْيَا الْوَلَدُ. وَالْآنَ قَدْ مَاتَ، فَلِمَذَا أَصُومُ؟ هَلْ أَقْدِرُ أَنْ أَرْدَهُ بَعْدُ؟ أَنَا ذَاهِبٌ إِلَيْهِ وَأَمَّا هُوَ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيَّ»)

٢ صموئيل ١٢: ٢٠-٢٣.

^٢ - ١ كورنثوس ٧: ٥.

عَيْنِيكَ أَعْطَيْتُكَ ثَمَنَهُ فِضَّةً]. فَقَالَ نَابُوتُ لِأَخَابَ: [حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ
أَعْطِيكَ مِيرَاثَ آبَائِي]. فَدَخَلَ أَخَابُ بَيْتَهُ مُكْتَتِباً مَغْمُوماً مِنْ أَجْلِ قَوْلِ نَابُوتِ
الْيَزْرَعِيلِيِّ: [لَا أَعْطِيكَ مِيرَاثَ آبَائِي]. وَاضْطَجَعَ عَلَى سَرِيرِهِ وَحَوْلَ وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْكُلْ
خُبْزاً. فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ إِيزَابِلُ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ: [لِمَذَا رُوحَكَ مُكْتَتِبَةً وَلَا تَأْكُلُ خُبْزاً؟] فَقَالَ
لَهَا: [لَأَنِّي قُلْتُ لِنَابُوتِ الْيَزْرَعِيلِيِّ: أَعْطِنِي كَرَمَكَ بِفِضَّةٍ وَإِذَا شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ كَرَمًا
عَوَضَهُ فَقَالَ: لَا أَعْطِيكَ كَرَمِي]. فَقَالَتْ لَهُ إِيزَابِلُ: [أَأَنْتِ الْآنَ تَحْكُمُ عَلَى إِسْرَائِيلَ!
فَمِ كُلِّ خُبْزاً وَلِيَطْبُقَ قَلْبُكَ. أَنَا أَعْطِيكَ كَرَمَ نَابُوتِ الْيَزْرَعِيلِيِّ]. ثُمَّ كَتَبَتْ رَسَائِلَ بِاسْمِ
أَخَابَ وَخَتَمَتْهَا بِخَاتِمِهِ، وَأَرْسَلَتْ الرِّسَائِلَ إِلَى الشُّيُوخِ وَالْأَشْرَافِ الَّذِينَ فِي مَدِينَتِهِ
السَّاكِنِينَ مَعَ نَابُوتِ. وَكَتَبَتْ فِي الرِّسَائِلِ تَقُولُ: [نَادُوا بِصَوْمٍ وَأَجْلِسُوا نَابُوتَ فِي
رَأْسِ الشَّعْبِ. وَأَجْلِسُوا رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي بَلِيْعَالٍ نَجَاهَهُ لِيَشْهَدَا قَائِلَيْنِ: قَدْ جَدَفْتُ عَلَى
اللَّهِ وَعَلَى الْمَلِكِ. ثُمَّ أَخْرِجُوهُ وَارْجُمُوهُ فَيَمُوتَ]. فَفَعَلَ رِجَالُ مَدِينَتِهِ الشُّيُوخُ وَالْأَشْرَافُ
السَّاكِنُونَ فِي مَدِينَتِهِ كَمَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ إِيزَابِلُ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الرِّسَائِلِ الَّتِي
أَرْسَلَتْهَا إِلَيْهِمْ. فَنَادُوا بِصَوْمٍ وَأَجْلَسُوا نَابُوتَ فِي رَأْسِ الشَّعْبِ. وَأَتَى رَجُلَانِ مِنْ بَنِي
بَلِيْعَالٍ وَجَلَسَا نَجَاهَهُ، وَشَهِدَا عَلَى نَابُوتِ أَمَامَ الشَّعْبِ: [قَدْ جَدَفَ نَابُوتُ عَلَى اللَّهِ
وَعَلَى الْمَلِكِ]. فَأَخْرِجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ فَمَاتَ. وَأَرْسَلُوا إِلَى إِيزَابِلَ
يَقُولُونَ: [قَدْ رُجِمَ نَابُوتُ وَمَاتَ]. وَلَمَّا سَمِعَتْ إِيزَابِلُ أَنَّ نَابُوتَ قَدْ رُجِمَ وَمَاتَ،
قَالَتْ لِأَخَابَ: [قُمْ رِثْ كَرَمَ نَابُوتِ الْيَزْرَعِيلِيِّ الَّذِي أَبِي أَنْ يُعْطِيكَ إِيَّاهُ بِفِضَّةٍ، لَأَنْ
نَابُوتَ لَيْسَ حَيًّا بَلْ هُوَ مَيِّتٌ]. وَلَمَّا سَمِعَ أَخَابُ أَنَّ نَابُوتَ قَدْ مَاتَ قَامَ لِيُنْزِلَ إِلَى
كَرَمِ نَابُوتِ الْيَزْرَعِيلِيِّ لِيَرِثَهُ.^١

نادت إيزابيل بصوم، ظاهرياً كانت الغاية منه إيهام الشعب بوجود حرام في
إسرائيل، أما فعلياً فكانت الغاية منه القضاء على نابوت اليزرعيلي.

قال الشعب قديماً للرب («لِمَاذَا صُمْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ ذَلَّلْنَا أَنْفُسَنَا وَلَمْ تَلَحِظْ؟»...) (أجاب الرب) هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ وَلِتَضْرِبُوا بِلَكُمْ الشَّرَّ (تتضاربوا بكلمات أثيمة)..... أَمِثْلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ اخْتَارُهُ؟^١

ب - الصوم بهدف التقرب إلى الله.

إن هذا المفهوم خطير جداً لأنه يطعن بكفاية عمل المسيح على الصليب، بل وينهيه، وأنا أتساءل لو كان الصوم يقرنا إلى الله ما الحاجة لعمل المسيح؟

قيل عن المسيح له المجد (وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ)^٢، أي أنه فتح بموته طريقاً لجميع الناس للاقترب إلى الله عندما محا الخطية التي كانت تحول بيننا وبين أن تكون لنا علاقة صحيحة مع الله، والآن فما الحاجة لعمل آخر.

وقيل للمؤمنين (فَإِذْ لَنَا أَيْهَا الْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الْأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ)^٣.

وقال يسوع (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِي)^٤.

ليؤكد لنا انه الطريق الوحيد، الذي فيه من السعة ما يكفي العالم كله للوصول إلى الله، هذا لو اختار العالم أن يقبله.

أما عن الطعام والشراب فيقول لنا الرسول بولس (وَلَكِنَّ الطَّعَامَ لَا يُقَدِّمُنَا إِلَى اللَّهِ لِأَنَّنَا إِنِ أَكَلْنَا لَا نَزِيدُ وَإِنْ لَمْ نَأْكُلْ لَا نَنْقُصُ).^٥

ت - الصوم بهدف غفران الخطية.

١ - اشعياء ٥٨: ٣-٥.

٢ - أفسس ٢: ١٣.

٣ - عبرانيين ١٠: ١٩. ثقة مبنية على الدم وليس على الصوم.

٤ - يوحنا ١٤: ٦.

٥ - ١ كورنثوس ٨: ٨.

الصوم هو عمل، ولا يوجد عمل في كل الحياة يستطيع أن يغفر خطية. الغفران يتم فقط بدم المسيح المسفوك على خشبة الصليب (وَدَمَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ)^١، (هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ)^٢، (وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ تَحَوَّ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ)^٣. الصوم عمل، والكتاب المقدس يقول (ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد)^٤.

ث - الصوم بهدف التقديس عن طريق قهر الجسد.

هذا نوع من التفكير الغنوصي الذي ينظر للجسد باعتباره شراً يقف في طريق قداستنا، وقد حاربت الكنيسة هذا التفكير منذ أيام الرسل الأولى. لذلك على العابد أن يدرك ان الرب لا يعلمنا قهر الجسد وإذلاله بل يدعونا للاهتمام به (فَإِنَّهُ لَمْ يُبَغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَفُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا الرَّبُّ أَيْضاً لِلْكَنِيسَةِ)^٥.

ج - الصوم بغاية الشهرة.

(وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمَرَانِيِّينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَأَدْهُمْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِماً...)^٦.

ح - الصوم كتقليد.

^١ - ١ يوحنا ١: ٧.

^٢ - ١ يوحنا ١: ٢٩.

^٣ - أفسس ٤: ٣٢.

^٤ - أفسس ٢: ٩.

^٥ - أفسس ٥: ٢٩. قارن أيضاً (فيلبي ١: ٢٠ + ١ كورنثوس ٦: ١٩)

^٦ - متى ٦: ١٦-١٨.

كان قادة الشعب العبراني قديماً قد رتبوا اصواماً بحسب استحسانهم، ففرضوا اصواماً في الشهر الخامس والشهر السابع من كل سنة باعتبار ان الشهر الخامس هو ذكرى حرق اورشليم والهيكل على يد نبوخذ نصر^١، وباعتبار ان الشهر السابع هو ذكرى مقتل جدليا بن اخيقام^٢.

وبقي الشعب العبراني يمارس هذه الأصوام طوال مدة السبي في بابل، ولكن مع ذلك لم يقبل الرب أصوامهم لأنها لم تكن وصيته (اسأل جميع شُعْبِ الأَرْضِ وَالْكَهَنَةِ: لَمَّا صُمُّتُمْ وَنُحْنِتُمْ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ وَالشَّهْرِ السَّابِعِ وَذَلِكَ هَذِهِ السَّبْعِينَ سَنَةً (سنوات السبي في بابل) فَهَلْ صُمُّتُمْ صَوْمًا لِي أَنَا؟ وَلَمَّا أَكَلْتُمْ وَلَمَّا شَرِبْتُمْ أَفَمَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْآكِلِينَ وَأَنْتُمْ الشَّارِبِينَ؟)^٣.

وفي العهد الجديد وبخ الرب يسوع المسيح الفريسيون الذين أضافوا المئات من قوانينهم إلى شرائع الله المقدسة، ثم اجبروا الناس على حفظها باعتبارها مساوية لوصايا الله فقال (وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ)^٤.

خ- إلزام الله بتحقيق أهدافنا.

١ - (وَفِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ فِي سَابِعِ الشَّهْرِ، وَهِيَ السَّنَةُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ نَبُوخَذْ نَصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ، جَاءَ نُبُوَزَرَادَانُ رَئِيسُ الشَّرْطِ عَبْدُ مَلِكِ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ. وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ وَجَمِيعَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ مُسْتَدِيرًا هَدَمَهَا كُلَّ جُيُوشِ الْكَلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ رَئِيسِ الشَّرْطِ) ٢ملوك ٢٥: ٨-١٠.

٢ - (وَفِي الشَّهْرِ السَّابِعِ جَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ تَنْثِيَا بْنِ أَلِيشَمَعَ مِنَ النَّسْلِ الْمَلِكِيِّ وَعَشْرَةُ رِجَالٍ مَعَهُ وَضَرَبُوا جَدَلِيَا فَمَاتَ، وَأَيْضًا الْيَهُودُ وَالْكَلدَانِيُّونَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْمِصْنَفَةِ) ٢ملوك ٢٥: ٢٥.

٣ - زكريا ٧: ٥-٦.

٤ - مرقس ٧: ٧.

ينبغي أن يدرك العابد دائماً أن الله يعطي بناءً على النعمة وليس على الاستحقاق. العطاء هبة، فإن أعطى الرب، أو لم يعطي، هو الرب. وليكن اسمه مباركاً إلى الأبد.

د - الصوم تشبهاً بالرب يسوع المسيح.

مكتوب عن الرب يسوع المسيح (فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَاعَ آخِيراً. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرَّبُ)^١، وهنا نجد المرة الوحيدة التي صامها الرب يسوع وكانت بغاية التجربة، أي أن صوم المسيح لم تكن غايته أن يخرج من التجربة منتصراً، بل أن يدخل التجربة في أضعف حالاته البشرية.

لذلك لا ينبغي علينا أن نقلد الرب في هذا الصيام، أو نصوم لئلا ندخل في تجربة، لأنه مكتوب (اسْهَرُوا وَصَلُّوا لِيَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجَرِبَةٍ)^٢، وليس (اسهروا وصوموا لئلا تدخلوا في تجربة)، فمفتاح الانتصار هو الصلاة وليس الصوم.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

^١ - متى ٤: ٢-٣.

^٢ - متى ٢٦: ٤١.

الفصل الثالث

التسبيح

قال المرنم (سَبِّحُوا الرَّبَّ لَأَنَّ التَّرَنُّمَ لِإِلَهِنَا صَالِحٌ. لِأَنَّهُ مُلَذٌّ. التَّسْبِيحُ لَأَثَقٌ).^١،
وأيضاً (ادْخُلُوا أَبْوَابَهُ بِحَمْدٍ دِيَارَهُ بِالتَّسْبِيحِ. اِحْمَدُوهُ بَارِكُوا اسْمَهُ)^٢ وقال الرب (أَنَا
الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لَا أُعْطِيهِ لآخَرَ وَلَا تَسْبِيحِي لِلْمُنْحَوَاتِ)^٣. وقال الرسول
بولس للكنيسة (مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِي رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ
وَمُرْتَلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ).^٤

الكتاب المقدس يدعونا في عبادتنا الفردية أو الجماعية أن نمارس التسبيح.
لأن التسبيح أمر صالح وهو مُلذٌّ للرب، بمعنى أن الرب يطلبه.

وعلى الأرجح أن العبارة أغاني روحية تشير إلى كونها أغاني من نتاج عمل
الروح القدس في حياة المؤمن. فهذه الأغاني التي يرددها المؤمن في أماكن العبادة
أو في خلوة مع الرب ليست إضافات أو شكلية لتجميل نمط العبادة، بل هي جزء
لا يتجزأ منها.

والكتاب المقدس زاخر بالترانيم التي ردها المؤمنون في كلا العهدين، فنحن
نقرأ مثلاً في العهد القديم عن موسى الذي خرج مع شعبه من أرض مصر (جِئْنِيذِ
رَتَمَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ التَّسْبِيحَةَ لِلرَّبِّ: «ارْتُمْ لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ نَعَّظَمَ. الْفَرَسَ
وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»).^٥، ونقرأ عن اللاويين الذين كانوا يخدمون في بيت

١ - مزمور ١٤٧: ١.

٢ - مزمور ١٠٠: ٤.

٣ - اشعيا ٤٢: ٨.

٤ - أفسس ٥: ١٩.

٥ - خروج ١٥: ١.

الرب أيام داود الملك (كُلَّ صَبَاحٍ لِحَمْدِ الرَّبِّ وَتَسْبِيحِهِ وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ)^١، وفي أيام سليمان الملك وعند تدشين الهيكل قيل (وَكَانَ لَمَّا صَوَّتَ الْمُبَوِّقُونَ وَالْمُغَنُّونَ كَوَاحِدٍ صَوْتًا وَاحِدًا لِتَسْبِيحِ الرَّبِّ وَحَمْدِهِ وَرَفَعُوا صَوْتًا بِالْأَبْوَاقِ وَالصُّنُوجِ وَالْآلَاتِ الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ لِلرَّبِّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ لَأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ أَنْ بَنَيْتَ الرَّبُّ أَمْتَلًا سَحَابًا)^٢.

وفي أيام الملك يهوشافاط جاء الموابيون والعمونيون كغزاة إلى يهوذا، فخرج إليهم يهوشافاط وفي مقدمة جيشه المغنين والمسبحين (وَلَمَّا ابْتَدَأُوا فِي الْغِنَاءِ وَالتَّسْبِيحِ جَعَلَ الرَّبُّ أَكْمَنَةً عَلَى بَنِي عَمُّونَ وَمُؤَابَ وَجَبَلَ سَاعِيرَ الْآتِينَ عَلَى يَهُوذَا فَانْكَسَرُوا)^٣

وقيل عن حزقيا الملك إنه أقام فرق الكهنة واللاويين (لِلْخِدْمَةِ وَالْحَمْدِ وَالتَّسْبِيحِ فِي أَبْوَابِ مَحَلَّاتِ الرَّبِّ)^٤، ولما أعيد بناء الهيكل ثانية في أيام زَرْبَابِلُ قيل (وَلَمَّا أَسَسَ الْبَانُونَ هَيْكَلَ الرَّبِّ أَقَامُوا الْكَهَنَةَ بِمَلَابِسِهِمْ بِأَبْوَاقٍ وَاللَّوِيِّينَ بَنِي آسَافَ بِالصُّنُوجِ لِتَسْبِيحِ الرَّبِّ عَلَى تَرْتِيبِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ)^٥.

ويبدو ان التطور الكبير الذي شهده التسبيح جاء أيام الملك داود، فهذا الرجل الذي أخذه الرب من خلف الغنم لم يكن نبيا وشاعرا ومرنما فقط، ولكن أيضاً مخترعاً للآلات الموسيقية وذلك بشهادة عاموس النبي (الْهَازِرُونَ مَعَ صَوْتِ الرَّبِّابِ الْمُخْتَرِعُونَ لِأَنفُسِهِمْ آلَاتِ الْغِنَاءِ كَدَاوُدَ)^٦، فداود هو الذي عمل آلات الغناء (لأجل

١ - أخبار ٢٣: ٣٠

٢ - أخبار الأيام ٥: ١٣

٣ - أخبار الأيام ٢٠: ٢٢

٤ - أخبار الأيام ٣١: ٢

٥ - عزرا ٣: ١٠

٦ - عاموس ٦: ٥

حمد الرب) ^١، وكتب المزامير التي كان يتغنى بها اللاويون في الهيكل ^٢، ورتب الخدمات للكهنة واللاويين وقسمهم إلى فرق تتناوب الخدمة ^٣، وهكذا في أيام داود نقرأ عن (أَرْبَعَةُ آلَافٍ مُسَبِّحُونَ لِلرَّبِّ بِالْآلَاتِ الَّتِي عُمِلَتْ لِلتَّسْبِيحِ). ^٤

وفي بعض الأحيان كان يترافق التسبيح مع التنبؤ، حيث يكشف الروح القدس الكثير للمسبح. وقد وجد أشخاص مُسَبِّحِينَ أُطْلِقَ عَلَيْهِمَ لِقَب (رائي الملك) ^٥ كانوا يتنبؤون بين يدي الملك أثناء فترة التسبيح، أمثال صموئيل، صادوق، جاد، يعدو، حناني، آساف.

ومن الملاحظ أن فرق الغناء كانت تمتلك قائداً مميزاً (لأنَّهُ فِي أَيَّام دَاوُدَ وَآسَافَ مُنْذُ الْقَدِيمِ كَانَ رُؤُوسُ مُغَنِّينَ وَغِنَاءُ تَسْبِيحٍ وَتَحْمِيدٍ لِلَّهِ). ^٦، (وَكُنْتُنَا رِئِيسُ اللَّاوِيِّينَ عَلَى الْحَمَلِ ^٧ (الموسيقى) مُرْشِدًا فِي الْحَمَلِ لِأَنَّهُ كَانَ خَبِيرًا) ^٨ وابتداءً من أيام زربابل (كَانَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ.... يُؤَدُّونَ أَنْصِبَةَ الْمُغَنِّينَ وَالْبَوَّابِينَ أَمْرَ كُلِّ يَوْمٍ فِي يَوْمِهِ) ^٩.

وفي العهد الجديد في أيام الرب يسوع المسيح استمر التسبيح كجزء من حياة العابد، فنحن نقرأ مثلاً عن الرعاة الذين سمعوا جمهوراً من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين بمناسبة ولادة المسيح (الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ

١ - ٢ أخبار الأيام ٧: ٦.

٢ - ٢ أخبار ٢٩: ٣.

٣ - ٢ أخبار ٨: ١١.

٤ - ١ أخبار الأيام ٢٣: ٥.

٥ - ١ أخبار الأيام ٢٥: ٥.

٦ - نحميا ١٢: ٤٦.

٧ - كلمة (حمل) في الأصل العبري (mas-saw) مشتقة من (naw-saw)، وهي تعني (قصيدة غنائية، نطق، يحمل، وحي الهي، شيء يقدم تعبيراً عن الاحترام).

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries H4853

٨ - ١ أخبار الأيام ١٥: ٢٢.

٩ - نحميا ١٢: ٤٧.

وَبِالنَّاسِ الْمَسْرُورَةِ^١، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الرِّعَاةَ رَجَعُوا (وَهُمْ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيَسْبِحُونَهُ)^٢.
وَالْمُبَارَكَةُ الْعِذْرَاءُ عِنْدَمَا زَارَتْ نَسِيبَتَهَا الْيَصَابَاتِ رَنَمَتْ قَائِلَةً (تُعْظَمُ نَفْسِي الرَّبَّ
وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي لِأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ اتِّضَاعَ أُمَّتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الْآنَ جَمِيعُ
الْأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي)^٣، كَمَا رَنَمَتْ قَبْلَهَا الْيَصَابَاتِ قَائِلَةً (مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ
وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ)^٤.

وعندما كان يسوع عند منحدر جبل الزيتون متوجهاً لمدينة أورشليم قيل إن
الناس فرشوا ثيابهم أمامه وسبحوا (الله بصوت عظيم)^٥، ونقرأ عن الأعرج الذي
شفي عند باب الهيكل أنه دخل الهيكل (وأبصره جميع الشعب وهو يمشي ويسبح
الله)^٦، ونقرأ عن بولس وسيلا المسجونين في فيلبي أنهما كانا (يصليان ويسبحان
الله)^٧.

وفي مطلع رسالة أفسس يُسَبِّحُ الرِّسُولُ بولس الله قائلاً (مُبَارَكُ اللهُ أَبُو رَبِّنَا
يَسُوعُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ كَمَا اخْتَارَنَا
فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا
لِلتَّبَعِيِّ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَقْسِيهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ)^٨. أما كاتب العبرانيين فيشجعنا

١ - لوقا ٢: ١٤.

٢ - لوقا ٢: ٢٠.

٣ - لوقا ١: ٤٦-٤٨.

٤ - لوقا ١: ٤٢.

٥ - لوقا ١٩: ٣٧.

٦ - أعمال ٣: ٩.

٧ - أعمال ١٦: ٢٥.

٨ - أفسس ١: ٣-٥. ويبدو أن موضوع التسبيح هنا هو ما عمله الله من خلال ابنه.

على التسبيح باعتباره ذبيحة تُسر الله قائلاً (فَلْتَقَدِّمَ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةً التَّسْبِيحِ، أَيَّ تَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ)¹.

أما الترنيمة الجديدة في سفر الرؤيا (٥ : ٩ ، ١٤ : ٣)، و(ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف)²، فهما الدليل على أن المؤمنين لن يكفوا في الأبدية عن الترنيمة للرب الذي فداهم.

☒ ملاحظه:

- (١) (اهْتَفُوا أَيُّهَا الصَّادِقُونَ بِالرَّبِّ. بِالْمُسْتَقِيمِينَ يَلِيقُ التَّسْبِيحُ)³، بما أن التسبيح أمر يليق بالمؤمن فينبغي على كل الكنائس التي لديها قادة ترنيمة أو فرق ترنيمة أن تستثني غير المؤمنين منهم.
- (٢) قال المرنم (أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي. أَحَدْتُ بِجَمِيعِ عَجَائِبِكَ، أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرْنِمُ لَاسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ)⁴.

فالتسبيح ليس إظهاراً لجمال الصوت بل إظهاراً لجمال القلب. والتسبيح ليس كلمات عن العلي، لكنه لاسمك أيها العلي. والتسبيح ليس ترددات كلمات للطرب، لكنه ترددات حقائق اختبرها من له شركة مع الرب. والتسبيح ليس لاصطناع الفرح، لكن للتعبير عن الفرح والبهجة بالرب، إذ أن الفرح مُنشئه⁵.

* ما هي علاقة الموسيقى بالتسبيح:

١ - عبرانيين ١٣ : ١٥ .

٢ - رؤيا ١٥ : ٣ .

٣ - مزمور ٣٣ : ١ .

٤ - مزمور ٩ : ١-٢ .

٥ - قارن (أَمْسُرُورٌ أَحَدٌ؟ فَلْيُرْتَلْ) يعقوب ٥ : ١٣ .

ليس غريباً أن يَستخدم الكتاب المقدس كلمة (حَمَل) للإشارة إلى الموسيقى، كون الموسيقى تُحَمَل الإنسان كمّاً كبيراً من المشاعر. لاحظ أيضاً ان الكلمة نفسها قد استُخدمت بمعنى (وحي)^١ أي مشاعر وكلمات تُقَل الإنسان بها.

إن خطورة الموسيقى كَفَنٌ يعمل في كيان الإنسان بطريقة خفية، هو قدرتها على استحضار عدد لا يحصى من الذكريات (الأحداث)، والمشاعر المرتبطة بها، والمدفونة في أعماق هذا الكيان منذ سنوات طويلة.

لكن الموسيقى لا تتوقف عند هذا الحد من الخطورة، إذ هي قادرة أيضاً ان تستحضر كمّاً كبيراً من المشاعر المدفونة في أعماقنا والمرتبطة بحدث ما، دون أن تستحضر هذا الحدث.

بمعنى ان الإنسان الذي يسمع نوعاً معيناً من الموسيقى قد يجد نفسه فجأة في حالة من البكاء دون أن يعلم لماذا، أو قد يجد نفسه في حالة من الفرح، أو الإثارة الجنسية، أو غير ذلك، دون ان يجد تعليلاً للأمر. والسبب بكل بساطة ان الموسيقى أحضرت المشاعر المدفونة في قلب السامع منذ سنوات طويلة، دون أن تستحضر الحدث المرتبط بها.

وهكذا قد تكون الموسيقى أحياناً مهدئة، وأحياناً مثيرة، وقد تسحب الناس إلى أحاسيس نقية، أو غير نقية. إنها باختصار تؤثر في أخلاقيات الناس وسلوكهم.

المشكلة الغربية في الموسيقى أن اللحن الواحد لا يثير نفس العواطف عند كل السامعين، مما يولد صعوبة في انتقاء اللحن المناسب لمجموعة من الناس، تبحث عن إثارة نوع معين من المشاعر.

أما خطورة الموسيقى الأشد فتبدأ مع الصوت المرتفع والإيقاع الصاخب، حيث في مثل هذه الأجواء يفقد الإنسان كل الدفاعات الموجودة في ذهنه، فيصير بعد

^١ - اشعيا ١٣: ١ (وَحْيٍ مِنْ جِهَةِ بَابِل).

سماع هذا النوع من الموسيقى المشبع بالصخب والانفعال، سهل الإيحاء. أي قابلاً كل ما يقدم له من أفكار خاطئة وساذجة، حتى لو كانت تتعارض مع أبسط المسلمات التي يعرفها.

والآن السؤال الذي يطرح نفسه كيف تعاملت، أو تتعامل الكنائس مع الموسيقى أثناء التسبيح في العبادة الجمهورية:

(١) البعض رفض الموسيقى، باعتبار انها امتداد للعبادة اليهودية^١ التي كانت موضوعة إلى وقت الإصلاح.

(٢) البعض رفض الموسيقى باعتبار انها تذكرنا بعالم الأوثان الذي منه خرجنا.

(٣) البعض رفض الموسيقى كونه لم يَرِدْ لها ذكر في العهد الجديد. وأما الإشارة الوحيدة الواردة في سفر الرؤيا عن قيثارات^٢ في السماء، فهي لا تشير إلى قيثارات حقيقية بل إلى صورة فرح، باعتبار ان السفر كله عبارة عن إعلان نبوي بصور رمزية.

(٤) البعض قبل الموسيقى بتحفظ (بعض أنواعها)، أي قبلها لضبط اللحن وقت التسبيح، وليس لهدم الوسائط الدفاعية عند الإنسان ليقبل رسالة الخلاص، أو ما يوحي به إليه أثناء الوعظ. والبعض الآخر قبلها بدون تحفظ.

(٥) البعض قبل بعض الآلات الموسيقية دون الأخرى، والبعض الآخر قبلها كلها بدون استثناء!!

^١ - عندما أخرج الرب الشعب من أرض مصر لم يطلب منهم أن يعبدوه بآلات موسيقية، لكن أعطاهم فقط بوقين من الفضة لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات (عدد ١٠: ١-١٠). هل في هذا قصد ما؟

^٢ - رؤيا ٥: ٨ + ١٤: ٢ + ١٥: ٢.

الفصل الرابع

قراءة كلمة الله للتعليم والبنیان

إن كلمة الله هي الوسيلة الوحيدة التي تساعد الشعب على معرفة كيفية عبادة^١ الله. لذلك قال الرب لشعبه في القديم من خلال نبيه موسى (.. اجْمَعْ لِي الشَّعْبَ فَأُسْمِعَهُمْ كَلَامِي لِيَتَعْلَمُوا أَن يَخَافُونِي كُلَّ الْأَيَّامِ الَّتِي هُمْ فِيهَا أَحْيَاءٌ عَلَى الْأَرْضِ وَيُعَلِّمُوا أَوْلَادَهُمْ)^٢، وأيضاً (وَعَلِّمُوها أَوْلَادَكُمْ مُتَكَلِّمِينَ بِهَا حِينَ تَجْلِسُونَ فِي بُيُوتِكُمْ وَحِينَ تَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُونَ وَحِينَ تَقُومُونَ).^٣

ومن بعد موسى قيل عن يشوع الذي كان يدرك أهمية تعليم كلمة الله (لَمْ تَكُنْ كَلِمَةً مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى لَمْ يَقْرَأْهَا يَشُوعُ قَدَامَ كُلِّ جَمَاعَةٍ إِسْرَائِيلَ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالْغَرِيبِ السَّائِرِ فِي وَسْطِهِمْ).^٤

لكن مع الأسف رغم أهمية التعليم للبنیان، فإن شعب إسرائيل بعد يشوع تجاهل الوصية كما هو مكتوب (وَقَامَ بَعْدَهُمْ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ وَلَا الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لِإِسْرَائِيلَ)^٥. وكانت النتيجة أنهم (تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبُغْلَ وَعَشْتَارُوثَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ).^٦

١ - تبدو أهمية هذا الأمر من خلال إعطاء الروح القدس لموهبة الوعظ والتعليم.

٢ - تثنية ٤: ١٠.

٣ - تثنية ١١: ١٩.

٤ - يشوع ٨: ٣٥.

٥ - قضاة ٢: ١٠.

٦ - قضاة ٢: ١٣+١٤.

وقد أدرك العبرانيون أهمية كلمة الله فيما بعد، فنحن نقرأ عن الشعب أيام عزرا الكاتب^١ أنهم اجتمعوا في الساحة كرجل واحد وطلبوا منه أن يأتي بسفر شريعة موسى، فأتى بالسفر وقرأ على منبر من الخشب من الصباح إلى نصف النهار أمام الرجال والنساء. بينما اللاويون كانوا يفسرون للشعب معاني الكلمات، وكانت النتيجة أن الشعب فرح فرحاً عظيماً لأنهم فهموا الكلام الذي علموهم إياه.

ويبدو أن المجامع التي أقيمت بعد السبي لتعليم الشعب كلمة الله، كان لها رئيس يشرف على الخدمات وأهمها تحديد الشخص الذي يدعى للقراءة من الناموس ثم الوعظ (أعمال ١٣: ١٥-١٦)، والكتاب المقدس يخبرنا عن الرب يسوع في العهد الجديد قائلاً (وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعِ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ.... ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ)^٢.

ويخبرنا الكتاب أنه كان لليهود مجمع في تسالونيكي دخل إليه الرسول بولس محاولاً ولمدة ثلاثة سبوت أن يقنع اليهود برسالة المسيح لكنهم قاموا عليه وطردوه، فذهب إلى بيرية وهناك دخل المجمع وقدم رسالته إليهم، ويقول الكتاب (وَكَانَ هَؤُلَاءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيكِي فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحْصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا)^٣.

ويبدو أن الكنيسة سارت على خطوات المجمع مؤكدة أهمية تعليم كلمة الله للشعب، ولأن (الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ وَالْخَبَرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ)^٤، يكتب الرسول بولس لتيموثاوس

١ - عزرا ٨.

٢ - لوقا ٤: ١٦-١٧، ٢٠.

٣ - أعمال ١٧: ١١.

٤ - رومية ١٠: ١٧.

(إِلَى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعظِ وَالنَّعْلِيمِ).^١، ويؤكد على أن (كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا، مُتَّهَبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ).^٢، ويكتب للمؤمنين في كولوسي (وَمَتَى قُرِئَتْ عِنْدَكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فَاجْعَلُوهَا تُقْرَأُ أَيْضًا فِي كَنِيسَةِ الْلاَوْدِيَّيْنَ، وَالَّتِي مِنْ لَوْدِيكِيَّةَ تَقْرَأُونَهَا أَنْتُمْ أَيْضًا).^٣،

وعندما استدعى قسوس الكنيسة في أفسس قال لهم قبل أن يغادروهم (وَالآنَ اسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ)^٤.

١ - ١ تيموثاوس ٤ : ١٣ .

٢ - ٢ تيموثاوس ٣ : ١٤-١٧ .

٣ - كولوسي ٤ : ١٦ .

٤ - أعمال ٢٠ : ٣٢ .

الفصل الخامس

العطاء (العشور والتقدمات)

إن العطاء في المسيحية يُفترض أنه يكتسب معنى جديداً، معنى يرتكز على فهم العابد وتقديره لعطية الله العظمى ابنه يسوع المسيح. العطية التي قال عنها الرسول بولس (فَشْكُراً لِلَّهِ عَلَى عَطِيَّتِهِ الَّتِي لَا يُعْبَرُ عَنْهَا)¹.

فإنَّه (الَّذِي لَمْ يُشْفَقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ)² كيف من جهتنا لا نُضْحِي أُمَامَهُ بِالزَّهِيدِ، أي بالعشور والتقدمات.

إن الحديث عن التقدمات يمس جيوب الجميع، بل هو يمس ذلك الصنم الجالس في قلوبنا، والناظر إلى انحناؤنا بابتسامته الساخرة.

ولأننا مع الأسف اعتدنا أن نأخذ أكثر من أن نعطي فقد انقسم المؤمنون بموقفهم من العشور، فمن قائل إنها وصية تخص الشعب القديم وقد انتهت الآن، إلى قائل بأن المؤمن ليس مُلْزَماً بهذه الوصية باعتبار أن كل ماله للرب وليس العشر فقط، إلى قائل إن العشور هي وصية ملزمة وهي الحد الأدنى للعطاء.

قال الرب يسوع المسيح (وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشَّبِثَ وَالْكُمُونَ وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ)³، وهذا يعني أن الرب يسوع قد صادق على استمرارية وصية العشور في العهد الجديد، باعتبارها طريق لنوال البركة، وأيضاً عون لنشر الإنجيل.

¹ - ٢كورنثوس ٩: ١٥.

² - رومية ٨: ٣٢.

³ - متى ٢٣: ٢٣.

إنَّ العُشور بتعريفها هي (١/١٠ من كل المورد)، وهي الحد الأدنى للعتاء مما نملك^١، وهي إقرار من المعطي أن كل شيء إنما هو ملك لله. أما التقدّمات فهي العطاء مما تبقى بعد اقتطاع العُشور.

عندما يدفع أحدهم أجار المنزل بشكل منتظم فإنه يُقر بأنه ليس المالك، وعندما يتوقف عن الدفع فإنه يسرق المؤجر ليتحول إلى مالك. وهكذا بالنسبة للعُشور فإن تقديمها للرب يعني أن كل شيء إنما هو ملك لله (لأنَّ مِنْكَ الْجَمِيعَ وَمِنْ يَدِكَ أُعْطِينَاكَ!)^٢. أما التوقف عن الدفع فهو إعلان صريح بأن الرب لا علاقة له بما نملك.

لذلك قال الرب لشعبه الذي امتنع عن دفع العُشور (أَيَسْلُبُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ؟ فَإِنَّكُمْ سَلَبْتُمُونِي. فَقُلْتُمْ: بِمَ سَلَبْنَاكَ؟ فِي الْعُشُورِ وَالتَّقْدِمَةِ)^٣. فأَيُّ تهاون في دفع العُشور، أو أَيُّ انتقاص من العُشور يعني أنك سارق للرب.

البعض يعتقد أنه يستطيع التصرف بالعشر كما يريد، فقد يعطيه لفقير، أو لمريض، أو لإرسالية الخ.. لكن الكتاب يحذرنّا من ذلك قائلاً (هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ)^٤. وبلغة العهد الجديد تعطى العُشور للكنيسة التي ينتمي إليها المؤمن ويمارس فيها كل نشاطاته، وهذه الكنيسة تتصرف بالعُشور حسب الحاجة وحسب رؤيتها لمستقبل الخدمة.

* كيف نُعشّر ونقدم:

١ - الثروة، والمقتنيات، والهدايا، والإرث، وفوائد الأرصدة في البنوك، الخ.. وحتى وقتك.

٢ - ١ أخبار الأيام ٢٩: ١٤.

٣ - ملاخي ٣: ٨.

٤ - ملاخي ٣: ١٠. قارن (فَالْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لِيَجْلِ اسْمُهُ فِيهِ تَحْمِلُونَ إِلَيْهِ كُلَّ مَا أَنَا أَوْصِيكُمْ بِهِ: مُحَرَّقَاتِكُمْ وَذَبَائِحِكُمْ وَعُشُورَكُمْ وَرَفَائِعَ أَيْدِيكُمْ وَكُلَّ خِيَارِ نُدُورِكُمْ الَّتِي تَنْذُرُونَهَا لِلرَّبِّ). تثنية ١٢: ١١ + ١ كورنثوس ١٦: ١-٤.

- ١- (المعطي فبسحاء) رومية ١٢ : ٨.
- ٢- (ليس عن حزن أو اضطرار) ٢كورنثوس ٩ : ٧.
- ٣- (وَأِنْ أَطَعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَا أُنْتَفِعُ شَيْئًا) ١كورنثوس ١٣ : ٣.
- ٤- (وَكُلُّ مَا عَمَلْتُمْ يَقُولُ أَوْ فِعْلٌ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللَّهَ وَالْآبَ بِهِ) كولوسي ٣ : ١٧.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب
الإشارة إلى موضع الاقتباس

الفصل السادس

المعمودية (βαπτίζω)^١

أمر الرب يسوع المسيح تلاميذه قبل الصعود قائلاً (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ...)^٢، وهذا بالضبط ما فعله التلاميذ^٣ بعد حلول الروح القدس، لدرجة أنه لا يوجد ذكر في كل العهد الجديد لمسيحي غير معتمد.

* معنى كلمة المعمودية

هذه الكلمة لم ترد مع كل مشتقاتها في العهد القديم، إنها مصطلح يختص فقط بالعهد الجديد، وهي مشتقة من (bap'-to، βάπτω) وتعني^٤ (يُبَلِّل، يَغْطَس، يَصْبِغُ بِالْغَمْرِ).

* أول ذكر للمعمودية في العهد الجديد ارتبط بيوحنا المعمدان (حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْأُرْدُنِّ وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الْأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ)^٥ وهذه المعمودية هي علامة فقط على التوبة من الخطية (معمودية التوبة)، والغاية منها كان إعداد الناس للدخول في ملكوت المسيح^٦.

ثم بعد ذلك نقرأ عن المعمودية مشابهة لمعمودية يوحنا المعمدان مارسها تلاميذ المسيح أثناء فترة وجود المسيح على الأرض (فَجَاءُوا إِلَيَّ يُوحَنَّا وَقَالُوا

^١ - تقرأ (bap-tid'-zo)

^٢ - متى ٢٨ : ١٩-٢٠.

^٣ - أعمال ٢ : ٤١ + ٨ : ١٢، ٣٨ + ٩ : ١٨ + ١٠ : ٤٨ + ١٦ : ١٥، ٣٣ + ١٨ : ٨.

^٤ - Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G907

^٥ - متى ٣ : ٥-٦ (إِذْ سَبَقَ يُوحَنَّا فَكَّرَ قَبْلَ مَجِيئِهِ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ)

أعمال ١٣ : ٢٤

^٦ - (يُوحَنَّا عَمَدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ قَائِلًا لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَيَّ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ)

أعمال ١٩ : ٤

لَهُ^١: «يَا مُعَلِّمُ هُوَذَا الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ الَّذِي أَنْتَ قَدْ شَهِدْتَ لَهُ هُوَ يُعَمِّدُ وَالْجَمِيعُ يَأْتُونَ إِلَيْهِ»^٢، (مَعَ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ بَلْ تَلَامِيذُهُ)^٣. هذه المعمودية لم تختلف في شكلها أو مضمونها عن معمودية يوحنا المعمدان كونها معمودية مؤقتة ارتبطت بفترة زمنية محددة من خدمة المسيح.

أما المعمودية المسيحية التي تشير إلى اتحاد المؤمن بالمسيح فقد أمر بها الرب يسوع بعد قيامته، وقبل صعوده إلى السماء (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ)^٤، (وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَابْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدْنِ»)^٥، وهذا ما فعله الرسل اعتباراً من يوم الخمسين وصاعداً (فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: «ثُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»)^٦، وكذلك بقية التلاميذ (فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ فَتَنْزِلًا كِلَاهُمَا إِلَى الْمَاءِ فَيُلْبَسُ وَالْخَصِيُّ فَعَمِّدَهُ)^٧

* أهمية المعمودية

^١ - ما قاله تلاميذ يوحنا المعمدان يؤكد أنه لا يوجد خلاف عقائدي بين معمديته ومعمودية تلاميذ المسيح. كان اعتراضهم فقط على العدد الكبير لمن يعتمد عند تلاميذ المسيح، والذي فاق ما يعتمد عند معلمهم يوحنا.

^٢ - يوحنا ٣: ٢٦.

^٣ - يوحنا ٤: ٢.

^٤ - متى ٢٨: ١٩-٢٠.

^٥ - مرقس ١٦: ١٥-١٦.

^٦ - لاحظ هنا التغيير في مفهوم المعمودية، فهي لم تعد مرتبطة بالتوبة، بل باسم المسيح، وهي تليها.

^٧ - أعمال ٢: ٣٨.

^٨ - بعد التوبة المرتبطة بإيمانه.

^٩ - أعمال ٨: ٣٨.

إن طقس المعمودية هو عمل طاعة، مرتبط بوصية الرب، وهو يرمز لاتحاد المؤمن بالمسيح في موته ودفنه وقيامته^١، ويتم بعد الإيمان (بعد موت الإنسان العتيق)^٢ وليس قبله، ولمرة واحدة فقط^٣.

وبالحقيقة فإن كل عمل حسب الكتاب المقدس ينبغي أن يُبنى على الإيمان المرتبط بوصية لينال العابد من خلاله بركة ما، وما هو خلاف ذلك لا قيمة له. وهذا ما يحصل في المعمودية.

* كيف تتم المعمودية

بحسب المعنى اللغوي للكلمة، وبحسب الرمز الموجود فيها، وبحسب معمودية الرب يسوع المسيح (قَلَمًا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِيدَ اللُّؤْفَتِ مِنَ الْمَاءِ)^٤، ينبغي أن تكون المعمودية بالغطس الذي يصور تماماً الموت والدفن والقيامة لجدة الحياة.

بينما بقية الطرق كالرش أو السكب تحرم طقس المعمودية من معناه. ولكن في حالة ندرة المياه، أو في بعض الضرورات والاعتبارات الخاصة، فإنه لا يمكن الاستغناء عن الطرق الأخرى.

* من هم الذين يعتمدون

هناك تعليمان بهذا الخصوص، الأول يقول بأن المعمودية فريضة يؤديها من آمن بالمسيح بغض النظر عن العمر، والثاني يقول إنها فريضة يؤديها من آمن بالمسيح مع أولاده.

١ - رومية ٦: ٣-٤ + ١٢ + ١ بطرس ٣: ٢١.

٢ - تشبه المعمودية بالدفن (قَدْفِنَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ) رومية ٦: ٤، والدفن يتم بعد الموت وليس قبله.

٣ - افسس ٤: ٥.

٤ - متى ٣: ١٦.

أولاً- من آمن بالمسيح بغض النظر عن العمر

وهذا الأمر يُقرّه الجميع، والكتاب المقدس يتحدث عنه بكثرة:

* (فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيْتُكُمْ بِهِ)¹، التلمذة قبل المعمودية.

* (وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَابْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَّصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنِّ).²

* (فَقَبِلُوا كَلَامَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمَدُوا وَانْضَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافٍ نَفْسٍ).³
* (وَلَكِنْ لَمَّا صَدَفُوا فِيلِبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً).⁴

* (وَفِيمَا هُمَا سَائِرَانِ فِي الطَّرِيقِ أَقْبَلَا عَلَى مَاءٍ فَقَالَ الْخَصِي: «هُوَذَا مَاءٌ. مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ؟» فَقَالَ فِيلِبُّسُ: «إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ». فَأَجَابَ: «أَنَا أُوْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ». فَأَمَرَ أَنْ تَقِفَ الْمَرْكَبَةُ فَنَزَلَا كِلَاهُمَا إِلَى الْمَاءِ فِيلِبُّسُ وَالْخَصِي فَعَمَّدَهُ).⁵

* (فَبَيْنَمَا بَطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ. فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ كُلِّ مَنْ جَاءَ مَعَ بَطْرُسَ لِأَنَّ مَوْهَبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدْ انْسَكَبَتْ عَلَى الْأُمَمِ أَيْضاً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانَةِ وَيُعْظَمُونَ اللَّهَ. حِينَئِذٍ قَالَ بَطْرُسُ: «أَنْتَرَى يَسْتَطِيعُ

¹ - متى ٢٨: ١٩-٢٠.

² - مرقس ١٦: ١٥-١٦.

³ - أعمال ٢: ٤١.

⁴ - أعمال ٨: ١٢ + (وَكَثِيرُونَ مِنَ الْكُورِنْثِيِّينَ إِذْ سَمِعُوا آمَنُوا وَاعْتَمَدُوا) أعمال ١٨: ٨.

⁵ - أعمال ٨: ٣٦-٣٨.

أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ
أَيْضاً؟» وَأَمَرَ أَنْ يَعْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ. حِينَئِذٍ سَأَلُوهُ أَنْ يَمَكْتُ أَيَّاماً.^١

* (أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ فَدُفِنَّا مَعَهُ
بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ
نَحْنُ أَيْضاً فِي جِذَّةِ الْحَيَاةِ. لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَهُ بِشِبْهِ مَوْتِهِ
نَصِيرُ أَيْضاً بِقِيَامَتِهِ)^٢

* (الَّذِي مِثْلُهُ يُخَلِّصُنَا نَحْنُ الْآنَ، أَيِ الْمَعْمُودِيَّةِ. لَا إِزَالَةَ وَسَخِ الْجَسَدِ، بَلْ
سُؤَالُ ضَمِيرٍ صَالِحٍ عَنِ اللَّهِ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ)^٣

ثانياً- من آمن بالمسيح مع أولاده

وإليك أهم الحجج الكتابية التي يستند عليها هؤلاء:

أ- الختان (تكوين ١٧: ٩ - ١٤)

في هذا النص نجد الرب يتكلم مع إبراهيم ويقيم عهداً معه قائلاً (هَذَا هُوَ
عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ (الجسدي) مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ
كُلُّ ذَكَرٍ (في اليوم الثامن) فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدِ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ.)، وقد رأى البعض أن ختان الأطفال الذين ينحدرون من نسل إبراهيم
الجسدي بغض النظر عن إيمانهم يدخلهم في علاقة عهد معه، وقالوا بالمقابل
إن المعمودية هي علامة الدخول في العهد الجديد!!

الرد:

*الختان في العهد القديم كان يتم للذكور فقط لكن المعمودية في العهد الجديد

١ - أعمال ١٠: ٤٤-٤٨.

٢ - رومية ٦: ٣-٥.

٣ - ١ بطرس ٣: ٢١.

تتم للذكور والإناث.

* المعمودية ليست بديلاً للختان فقد ختن الرسول بولس تيموثاوس رغم اعتماده من قبل كتلميذ للمسيح (أعمال ١٦: ٣).

* مفهوم الختان يختلف عن مفهوم المعمودية، فالختان يُدخل الأولاد في علاقة عهد مع الله مشروطاً بالطاعة، بغض النظر عن إيمان الأولاد أو إيمان أبويهم^١، و(الختان ينفع إن عملت بالناموس)^٢. أمّا المعمودية فهي طقس لا يُدخل المعتمد بعلاقة عهد، لكن يشير إلى أن المعتمد قد سبق ودخل في علاقة عهد مع الله، وهذه العلاقة بُنيت على إيمانه، والمعمودية تنفع من يحيا بالنعمة.

* (ابن ثمانية أيام يُختن منكم كل ذكر في أجيالكم: وَلْيَدُ النَّبِيتِ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنٍ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ.)^٣، فإن كان مقبولاً أن يُختن الخدم الغريباء مع أولاد البيت، فإنه من غير الطبيعي أن يعتمد الغريب مع المؤمن حتى لو كان يقطن في بيته.

* مع أن المسيح اختن في اليوم الثامن، لكنه عاد واعتمد من يوحنا المعمدان في بداية خدمته. فلماذا أجرى المسيح الفريضتان إن كانت الواحدة رمزا للأخرى.

* يؤكد الكتاب المقدس أن الختان هو رمز لختان القلب بالروح (رومية ٢: ٢٨-٢٩)، وليس للمعمودية، وهذا ما كان يحتاجه اليهود مع كونهم مختونين بالجسد، وقد وصفهم استفانوس بقوله (يَا قَسَاةَ الرِّقَابِ وَغَيْرَ الْمَخْنُونِينَ بِالْقُلُوبِ

١ - لذلك قيل عن هذا الشعب (لَكِنْ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يُسِرَّ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ طَرَحُوا فِي الْفَقْرِ) اكورنثوس ١٠: ٥. وأيضاً (وَلَمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ، إِلَّا لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا؟ فَتَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الْإِيمَانِ). عبرانيين ٣: ١٨-١٩.

٢ - رومية ٢: ٢٥.

٣ - تكوين ١٧: ١٢.

وَالْأَذَانُ^١

ب- دعوة المسيح للأطفال (متى ١٩ : ١٣ - ١٥)

قال البعض، إن كانت رغبة الرب مجيء الأولاد إليه، فما الذي يمنع الآن مجيئهم إليه بالمعمودية.

الرد:

* هذه الافتراضات في علم التفسير مرفوضة.

* القرينة لا تتحدث عن المعمودية، لكن عن أطفال جاؤوا للرب طلباً للبركة، ورغم أن التلاميذ قاموا بمنعهم لكن الرب دعاهم إليه ووضع يديه عليهم وباركهم. وهذا ما فعله عندما نكرس أولادنا في الكنيسة.

ت- قول الرب (يوحنا ٣: ٥-٦)

(..إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ)

قال البعض إن الماء هنا هو الماء الحرفي، وإن الرب يسوع تكلم هنا عن ضرورة المعمودية للخلاص، وبالتالي حتى يكون للأولاد خلاص عليهم أن يعتمدوا.

الرد:

(١) هذا التعليم يتناقض مع تعليم الكتاب المقدس الذي يشير بشكل صريح إلى أن الخلاص هو بالإيمان فقط، وأن ما فعله المسيح على خشبة الصليب لا يجب أن يُزاد عليه عمل آخر.

(٢) الرب لم يتكلم في كل هذا الإصحاح عن المعمودية. بل إنه لم يَسْأَلِ المعمودية كفريضة إلا بعد قيامته من القبر، وقبل صعوده للسماء بقليل.

^١ - أعمال ٧: ٥١.

(٣) إن كلمة الماء هنا تشير إلى كلمة الله، قارن (يُقَدَّسَهَا، مُطَهَّرًا إِيَّاهَا بِغَسَلِ 'λουτρόν' الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ)^٢. فالخلاص لا يمكن أن يكون بعيداً عن كلمة الله (مَوْلُودَيْنِ ثَانِيَّةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لَا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ)^٣، وأيضاً (شَاءَ فَوَلَدْنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلَاتِقِهِ)^٤.

(٤) الخلاص بعكس المعمودية، فهو ليس من أعمال كيلا يفتخر احد، وهو ليس من مشيئة رجل بل من الله.^٥

ث - قول الرسول بطرس (أعمال ٢: ٣٨-٤٠)

(فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: «تَوْبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدِ كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلَهَنَا»)

قال البعض إن المعمودية بحسب هذا النص هي للكبار وأولادهم (لِأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ).

الرد:

هذا النص يتحدث عن مفاعيل التوبة وهي:

^١ - تقرأ (loo-tron') وهي تعني (موضع الاستحمام، حوض الاستحمام(مرحضة))
Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G3067

وهكذا يمكن ترجمة الآية على الشكل التالي(مطهراً إياها بمرحضة الماء بالكلمة(أي بكلامه))

^٢ - أفسس ٥: ٢٦.

^٣ - ١بطرس ١: ٢٣.

^٤ - يعقوب ١: ١٨.

^٥ - أفسس ٢: ٨-٩.

^٦ - يوحنا ١: ١٣.

١- التائب تُغفر خطاياه بناءً على إيمانه بالرب يسوع المسيح كما قال الرسول بطرس في مكان آخر (لَهُ يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا)¹، وهو لا يمكن أن يناقض نفسه فينسب الغفران تارة للمعمودية وتارة للرب يسوع المسيح.

٢- التائب الذي غُفرت خطاياه يقبل عطية الروح القدس.

هذه المفاعيل هي الموعد المُقَدَّم لكل مؤمن، كل من يدعو الرب إلهنا، وبلا شك فإن الذين يدعوهم الرب إلهنا هم أشخاص قادرين على تلبية الدعوة. أما العبارة (لَأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلِأَوْلَادِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ) فهي تعني ببساطة (لكم وللأجيال اللاحقة).

أما المعمودية في هذا النص فهي ضرورة يقوم بها الشخص التائب الذي غُفرت خطاياه ونال عطية الروح القدس.

ج- أهل البيت

أولاً - (اعمال ١٦: ١٣-١٥)

(وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ خَرَجْنَا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ نَهْرٍ حَيْثُ جَرَتِ الْعَادَةُ أَنْ تَكُونَ صَلَاةٌ فَجَلَسْنَا وَكُنَّا نَكَلِّمُ النِّسَاءَ اللَّوَاتِي اجْتَمَعْنَ. فَكَانَتْ تَسْمَعُ امْرَأَةً اسْمُهَا لِيْدِيَّةُ بَيَّاعَةُ أَرْجَوَانٍ مِنْ مَدِينَةِ ثِيَاتِيرَا مُتَعَبِّدَةً لِلَّهِ فَفَتَحَ الرَّبُّ قَلْبَهَا لِتُصْغِيَ إِلَى مَا كَانَ يَقُولُهُ بُولُسُ. فَلَمَّا اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا طَلَبَتْ قَائِلَةً: «إِنْ كُنْتُمْ قَدْ حَكَمْتُمْ أَنِّي مُؤْمِنَةٌ بِالرَّبِّ فَادْخُلُوا بَيْتِي وَامْكُنُوا». فَأَلْزَمْتُنَا.)

قال البعض إن هذا النص يحتمل أن يكون في بيت ليديا أطفال، وبما أنها اعتمدت مع أهل بيتها فما المانع أن نُعمد أطفالنا.

الرد:

١ - اعمال ١٠: ٤٣.

* (أهل بيتها) عبارة احتمالية، وهي تفترض ولا ترجح وجود أطفال بنسبة (٥٠/٠)، وفي علم التفسير لا يمكن أن تُبنى عقيدة على عبارة احتمالية.

* عبارة (أهل بيتها) بحسب النص اليوناني (οἶκος) (oy'-kos) تحمل معنى عائلة يرتبط أفرادها بعلاقة قريبة أو بعيدة، وذلك بشكل حرفي أو مجازي^١، وهذا قد يعني إمّا ليديا وزوجها وأولادها، أو ليديا وأقرباؤها، أو ليديا وعبيدها وجواربها، أو كل هؤلاء.

* المعمودية حصلت خارج البيت، بل خارج المدينة، ومن يستطيع أن يؤكد أن ليديا قد اصطحبت معها أطفالها للعبادة.

* بعد أن خرج بولس وسيلا من السجن في فيلبي يقول الكتاب عنهم في ذات الإصحاح (فَخَرَجَا مِنَ السَّجْنِ وَدَخَلَا عِنْدَ لَيْدِيَّةَ فَأَبْصَرَا الْإِخْوَةَ وَعَزَّيَاهُمْ ثُمَّ خَرَجَا)^٢، ومن المعلوم بحسب هذا الإصحاح أن ليديا أول من آمن في فيلبي وبعدها سجان فيلبي والذين له، وبالتالي كلمة إخوة تحتل عدة معانٍ:

١- أهل بيت ليدية فقط، لأنه لا يوجد في المدينة مسيحيون غيرهم. وبالتالي لا يمكن أن يكون أهل بيتها أطفال.

٢- أهل بيت ليديا مع تيموثاوس ولوقا، وهو أمر مرجح. وبكل الأحوال التعزية لا يمكن أن تشمل أطفال.

ثانياً - (أعمال ١٦: ٢٥ - ٣٤)

(فَأَخَذَهُمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَغَسَّلَهُمَا مِنَ الْجِرَاحَاتِ وَاعْتَمَدَ فِي الْحَالِ هُوَ وَالَّذِينَ لَهُ أَجْمَعُونَ).

قال البعض إن عبارة (الذين له) تحتل وجود أطفال. وبالتالي ما المانع أن نُعمّد أطفالنا!

^١ - Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G3624

^٢ - أعمال ١٦: ٤٠.

الرد:

* (الذين له) عبارة احتمالية، هي تفترض ولا ترجح وجود أطفال بنسبة (٥٠/٥٠). وفي علم التفسير لا يمكن أن تُبنى عقيدة على عبارة احتمالية.
* (وَكَلَّمَاهُ وَجَمِيعَ مَنْ فِي بَيْتِهِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ). ومن الطبيعي أن هذه العبارة لا تتضمن أطفال.

* (فَأَخَذَهُمَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَغَسَّلَهُمَا مِنَ الْجِرَاحَاتِ وَاعْتَمَدَ فِي الْحَالِ هُوَ وَالَّذِينَ لَهُ أَجْمَعُونَ).، هذا يعني أن المعمودية حدثت بعد منتصف الليل، وحدثت في السجن. لأنه قيل بعد ذلك (وَلَمَّا أَصْعَدَهُمَا (من السجن) إِلَى بَيْتِهِ قَدَّمَ لَهُمَا مَائِدَةً وَتَهَلَّلَ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ إِذْ كَانَ (في السجن) قَدْ آمَنَ بِاللَّهِ)، وبالتأكيد لا يمكن لحافظ السجن أن يأتي بأطفاله ليسهروا معه في السجن حتى ما بعد منتصف الليل، ثم يأتي بهم إلى بولس ليسمعوا منه كلمة الرب ثم يعتمدوا.

* (وَلَمَّا أَصْعَدَهُمَا (من السجن) إِلَى بَيْتِهِ قَدَّمَ لَهُمَا مَائِدَةً وَتَهَلَّلَ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ إِذْ كَانَ (في السجن) قَدْ آمَنَ بِاللَّهِ)، بلا شك إن هذا الفرح لم يشمل أطفال السجن، لكن أولاده الكبار أو ربما أقرباءه أو عبيده الخ..

ثالثاً - (١كورنثوس ١ : ١٦)

(وَعَمَدْتُ أَيْضاً بَيْتَ اسْتِفَانُوسَ. عَدَا ذَلِكَ لَسْتُ أَعْلَمُ هَلْ عَمَدْتُ أَحَدًا آخَرَ)

قال البعض إن عبارة بيت استفانوس تحتمل وجود أطفال. وبالتالي ما المانع أن نُعمد أطفالنا!

الرد:

إضافة لما قلناه عن أهل البيت، فإن الرسول بولس في ختام رسالته يكتب هذه الكلمات (وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ بَيْتَ اسْتِفَانُوسَ أَنَّهُمْ بَاكُورَةُ

أَخَانِيَّةً وَقَدْ رَبَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِيُخْدَمَةَ الْقُدِّيسِينَ كَيْ تَخْضَعُوا أَنْتُمْ أَيْضاً لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ
وَكُلُّ مَنْ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيَتَعَبُ.^١، وبلا شك فإن الرسول بولس لا يطلب من
المؤمنين الخضوع لأطفال، ولا الأطفال بقادرين على خدمة القديسين.

* ماهو مصير غير المعتمدين

(مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَّصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنِّ).^٢، المعمودية لا تحدد مصير
العابد من جهة نواله للحياة الأبدية، كون الحياة الأبدية مرتبطة بعمل المسيح وليس
بأي عمل من أعمال المؤمن.

لكن المعمودية باعتبارها عمل مبني على إيمان العابد، فلا شك أن لممارستها
بركة، كما كل عمل مرتبط بوصية، وعدم ممارستها هو خسارة لهذه البركة ليس
أكثر ولا أقل. وكمثال على ذلك وصية المسامحة، أو المحبة، عندما يمارسها
العابد مع الآخرين ينال بركة، وعندما يكسرها (أي يرفض ممارستها مخالفاً بذلك
وصية الرب) يخسر البركات المرتبطة بها دون أن يخسر حياته الأبدية.

* هل من بديل للمعمودية:

يعتقد البعض أن المعمودية بالروح القدس تلغي المعمودية بالماء، لكن هذا
الرأي مع شيوخه ليس كتابياً، فمعمودية الماء شيء، ومعمودية الروح القدس شيء
آخر.

إضافة لكون معمودية الماء هي فريضة لازمة لمن اعتمد بالروح القدس أي
للمؤمن. وسفر أعمال الرسل يخبرنا أن الذين اعتمدوا بالروح القدس اعتمدوا بالماء
أيضاً.

١ - ١ كورنثوس ١٦: ١٥-١٦.

٢ - مرقس ١٦: ١٦.

الفصل السابع

عشاء الرب

(وَأَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي». وَكَذَلِكَ الْكَاسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعِشَاءِ قَائِلاً: «هَذِهِ الْكَاسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ».^١

بينما فريضة المعمودية تجري مرة واحدة في حياة المؤمن فإن فريضة العشاء الرباني هي ممارسة مستمرة لهذا المؤمن.

أولاً - من أسس هذه الفريضة.

نقرأ في إنجيل (متى ٢٦ + مرقس ١٤ + لوقا ٢٢) أن الرب يسوع المسيح أسس هذه الفريضة وأمر أتباعه قائلاً (اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي)، ونجد بولس الرسول يكتب لكنيسة كورنثوس عن هذه الفريضة مؤكداً حقيقة تأسيس المسيح لها قائلاً (لَأَنِّي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً)^٢.

ثانياً - معنى هذه الفريضة

أ- هي تذكار للمسيح (١ كورنثوس ١١: ٢٤)

(اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي)، فاشترك المؤمنون في هذه الفريضة يُذكرهم أن يسوع حي إلى الأبد وكائن معهم لانقضاء الدهر.

ب- هي تذكار لمغفرة الخطايا (متى ٢٦: ٢٨)

(لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا)، اشترك المؤمنون في هذه الفريضة يُذكرهم بالغفران العظيم الذي

^١ - لوقا ٢٢: ١٩-٢٠.

^٢ - ١ كورنثوس ١١: ٢٣.

صنعه الرب لأجلهم على خشبة الصليب، وبالتالي هي مناسبة لشكر الرب من أجل رحمته التي شملت أناساً نظيرهم.

ت- هي حث على الكرازة (١كورنثوس ١١ : ٢٦)

(فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَيَّ أَنْ يَجِيءَ)، اشتراك المؤمنين في هذه الفريضة يُذكّرهم بمسؤوليتهم تجاه الآخرين الذين مازالوا يعيشون في ظلام هذا العالم الدامس، ولو أن المؤمنين أدّوا رسالتهم بالشكل الصحيح أما كانت ممالك العالم الآن لدينا ومسيحه.

ث- هي نبوة عن مجيء المسيح ثانية (١كورنثوس ١١ : ٢٦)

(فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَيَّ أَنْ يَجِيءَ)، اشتراك المؤمنين في هذه الفريضة يُذكّرهم بأنهم غرباء عن هذا العالم الحاضر الشرير الذي يعيشون فيه، ويذكّرهم بأن ألام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فيهم عندما يأتي المسيح ثانية ليأخذهم على سحاب المجد، ليكونوا معه كل حين وإلى الأبد. فيغمّهم الفرح، وتنطق شفاههم بترانيم الهللويا.

ج- هي تعبير عن وحدة الكنيسة (١كورنثوس ١٠ : ١٧)

(فَإِنَّا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ وَاحِدٌ لِأَنَّنَا جَمِيعًا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ)، اشتراك المؤمنين في هذه الفريضة يُذكّرهم بالوحدة المسيحية، فهم خبز واحد جسد واحد. إنهم واحد في الإيمان، واحد في الطهارة، واحد في القداسة الخ.. وفي هذا تنبيه لهم لئلا يبغض أحدهم الآخر، وتحذير بألا يقيموا هذه الفريضة مع غير المؤمنين الذين ليسوا من الجسد الواحد.

ثالثاً - من يحق له الاشتراك في هذه الفريضة

المؤمن المتجدد الذي يعيش حياة الطاعة. وغني عن التعريف أن المعمودية فريضة يقوم بها المؤمن طاعة لوصية الرب.

وعلى كل مؤمن يشترك في هذه الفريضة أن يمتحن نفسه (وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنِ^١ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلُ مِنَ الْخُبْزِ وَيَشْرَبُ مِنَ الْكَاسِ).^٢ لنلا يقع تحت تأديب الرب.

أما المؤمن أل (مَدْعُو أَخًا زَانِيًا أَوْ طَمَاعًا أَوْ عَابِدَ وَثْنٍ أَوْ شَتَامًا أَوْ سَكِيرًا أَوْ خَاطِفًا) وصية الرب للكنيسة بشأنه (أَنْ لَا تَخَالِطُوا وَلَا تَوَاطِلُوا مِثْلَ هَذَا).^٣ وأيضاً وصية الرب للكنيسة (أَنْ تُلَاحِظُوا الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الشَّقَاقَاتِ وَالْعَثَرَاتِ^٤ خِلَافًا لِلتَّعْلِيمِ الَّذِي تَعَلَّمْتُمُوهُ وَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ).^٥

^١ - هذا العبارة تؤكد أن الأطفال، والكبار المعاقين عقلياً، لا يحق لهم الاشتراك في هذه الفريضة، باعتبار أنهم غير قادرين على امتحان أنفسهم. قارن أيضاً (فَإِنْكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَاسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ).^١ كورنثوس ١١ : ٢٦.

^٢ - ١ كورنثوس ١١ : ٢٨.

^٣ - ١ كورنثوس ٥ : ١١.

^٤ - الشقاقات والعثرات مرتبطة بما هو خلاف التعليم، فكل من يُعلم الاستهانة بوصية أو يسلك قدام الجماعة مستهيناً بوصية (العشور، وضع غطاء الرأس، ارتداء ثياب الحشمة..الخ) هؤلاء اعرضوا عنهم.

^٥ - رومية ١٦ : ١٧.

يضاف إلى هذه القائمة الأخوة الذين يتقدمون بغير استحقاق، أي يستهينون^١ بكنيسة الله. إذاً المائدة بحسب التعبير الكتابي ليست مفتوحة بالمطلق لأن هذا يجعلها رخيصة، وهي ليست مقفلة أيضاً بالمطلق لأن هذا يجعلنا نأخذ مكان الله في تمييز المؤمنين من جهة الاستحقاق. لكن بكل الأحوال هي مائدة مؤمنين، وعلى من يقدم المائدة أن يصلي لله طالباً منه الحكمة في إجرائها.

رابعاً - من يقيم هذه الفريضة

كترتيب الأخ المتقدم روحياً، والمفترض أن يكون راعي الكنيسة أو احد شيوخها.

خامساً - متى تقام هذه الفريضة

إن الكتاب المقدس لا يشير بوضوح إلى اليوم الذي ينبغي أن تقام فيه هذه الفريضة، فبينما نجد في الأناجيل الثلاثة الأولى أن الرب يسوع المسيح أقام هذه الفريضة يوم الخميس، نجد في سفر الأعمال أن التلاميذ (كَانُوا يُوَاظِبُونَ عَلَى

^١ ١-كورنثوس ١١: ٢٢. يبدو أنه في الأيام الباكّة للكنيسة كان المؤمنون يحتفلون بوليمة المحبة قبل تناول فريضة العشاء الرباني. وهذه الوليمة كانت بمثابة وجبة طعام يشترك فيها الجميع بروح المحبة. ويبدو أن هذه الوليمة في كنيسة كورنثوس قد فقدت معناها الحقيقي حيث انفرد الأغنياء عن الفقراء وأكلوا ما أتوا به من الأطعمة الوفرة وتركوا إخوانهم الفقراء في جوع وخجل. بل إن البعض منهم كانوا يشربون حتى يسكرون، ثم يتقدمون من مائدة الرب وهم سكارى. وبهذه الطريقة كانوا يعلنون أن عشاء الرب ليس أكثر من مائدة لسد جوعهم. إن هذا سلوكاً معيباً، يُكسب صاحبه صفة مجرم في جسد الرب. يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه.

والرسول بولس في هذا الإصحاح يوضح كنيسة كورنثوس باعتبارها تجتمع (ليس للأفضل بل للأردأ)، ثم يشرح لهم معنى العشاء الرباني فيقول إنه ليس عشاءً عادياً، وإن تناوله بطريقة غير لائقة هو استهانة بجسد المسيح ودمه، وإن من يفعل ذلك يقع تحت دينونة الله (١-كورنثوس ١١: ١٧-٣٤).

تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ^١ وَالصَّلَوَاتِ^٢، وبالمقارنة مع العدد ٤٦ (وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُوَظُّونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يتبين لنا أن هذه الممارسة كانت تتم إما كل يوم، أو كلما اجتمع التلاميذ للعبادة.

وفيما بعد يقول الكتاب المقدس عن التلاميذ (وَفِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلَامِيذُ مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا خُبْزًا^٣....^٤). إن أول الأسبوع هو (يوم الأحد) وباستبدال الكلمات تصوير الآية (وَفِي يَوْمِ الْأَحَدِ إِذْ كَانَ التَّلَامِيذُ...^٥)، وهذا يرجح ولا يؤكد أن التلاميذ بدؤوا بممارسة هذه الفريضة يوم الأحد، ولكن أي يوم أحد، قد يكون كل أحد، وقد لا يكون.

على كل حال لو أراد الرب أن يحسم العبارة لقال لنا بوضوح (كل أول أسبوع، أو كل يوم أحد) كما قال ذلك عن جمع التبرعات (العطايا) (وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْجَمْعِ لِأَجْلِ الْقَدِيسِينَ فَكَمَا أَوْصَيْتُ كَنَائِسَ غَلَاطِيَّةَ هَكَذَا افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا. فِي كُلِّ أَوَّلِ أُسْبُوعٍ لِيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عِنْدَهُ خَازِنًا مَا تَيْسَّرَ حَتَّى إِذَا جِئْتُ لَا يَكُونُ جَمْعٌ حِينْتِ^٥).

لكن بمتابعة النص سنجد أن الفريضة لم تتم يوم الأحد، فالكتاب يقول إن الرسول بولس خاطب التلاميذ (وَأَطَالَ الْكَلَامَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ (يوم الاثنين))^٦، وأثناء

١ - أحياناً تشير العبارة (كسر الخبز) لعشاء الرب كما في هذا المقطع، وأحياناً تشير إلى تناول الطعام، قارن (وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُوَظُّونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ) أعمال ٢: ٤٦.

٢ - أعمال ٢: ٤٢. هذه العبارة لا تشير ليوم معين، لكنها تشير لنهج يسير عليه المؤمنون طيلة أيام حياتهم، فهم يداومون ما أمكن على تعليم الرسل، وهم يتشاركون في تسديد الإعواز كلما ظهرت الحاجة لذلك، وهم يصلون كلما أمكنهم الاجتماع مع بعضهم، وكذلك يكسرون الخبز بمواظبة وليس بالضرورة كل أحد.

٣ - بافتراض أن كسر الخبز هنا يشير على عشاء الرب.

٤ - أعمال ٢٠: ٧.

٥ - ١كورنثوس ١٦: ١-٢.

٦ - أعمال ٢٠: ٧.

هذا الكلام الطويل مات أَفْتِيخُوسُ، ثم صلت الكنيسة مع بولس لأجله وبعد ذلك (صَعِدَ وَكَسَرَ خُبْزاً وَأَكَلَ وَتَكَلَّمَ كَثِيراً إِلَى الْفَجْرِ) ^١، وهذا يعني أن كسر الخبز لم يكن في يوم الأحد بل في يوم الاثنين (بافتراض التقويم الروماني).

فماذا إذاً، بما أن الكتاب المقدس قد ترك لنا الأمر مفتوحاً فأعتقد أنه من اللائق ترك كل كنيسة تختار الوقت المناسب لها. وبما أن الكنائس منذ القديم درجت على ممارسة هذه الفريضة يوم الأحد ^٢ يكون من المستحب إقامتها يوم الأحد بدون تحديد أي أحد (قد يكون كل أسبوع أو كل شهر ^٣ أو كل سنة..).

سادساً- ما هي المواد المستخدمة في هذه الفريضة

يؤكد الكتاب المقدس أن المواد المستخدمة في هذه الفريضة هي الخبز والكأس، ومع ذلك فقد انقسمت الكنائس بشأن هذه المواد.

الخبز: هل هو مختمر أم غير مختمر (فطير). وإن كان غير مختمر، فلماذا لم يذكر الكتاب المقدس ذلك صراحة فيقول (فطير).

إن كلمة فطير في الأصل اليوناني هي (ἄζυμος) (ad'-zoo-mos)، أمّا كلمة خبز أو رغيف فهي (ἄρτος) (ar'-tos)، والكتاب المقدس يستخدم كلمة (ar'-tos) أي خبز في كل مكان له علاقة بعشاء الرب، بينما لا يستخدم على الإطلاق الكلمة (ad'-zoo-mos) أي فطير. لذلك وبحسب الكتاب ينبغي أن نستخدم الخبز في عشاء الرب وليس الفطير.

^١ - أعمال ٢٠: ١١.

^٢ - تقول دائرة المعارف الكتابية (أستمر الاحتفال بعشاء الرب في الكنيسة، بعد عصر الرسل، في يوم الرب، أي في اليوم الأول من الأسبوع)
دائرة المعارف الكتابية، باب (الراء، رب، عشاء الرب).

^٣ - بعض الكنائس يزيد عدد أعضائها على الألف عضو، والبعض الآخر على العشرة آلاف عضو، وهؤلاء يجدون صعوبة بالغة في إقامة عشاء الرب كل أحد لما يتطلبه ذلك من وقت طويل للتحضير لهذه الفريضة.

لكن يبقى التساؤل مشروحاً، كيف يمكن للرب أن يقيم فريضة الفصح باستخدام الخبز مع العلم أنه في ذلك اليوم لا يوجد في بيوت العبرانيين بحسب الوصية سوى الفطير؟

قد يبدو هذا الأمر بحسب الظاهر مشكلة، ولكن دعونا نعود للأحداث التي رسمها لنا الكتاب المقدس عن اليوم الذي صنع فيه الرب يسوع هذه الفريضة.

يخبرنا الكتاب المقدس أن الرب عندما رسم طقس الفصح قال للشعب قبل أن يغادروا أرض مصر (تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنُ سَنَةٍ تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْخَرْفَانِ أَوْ مِنَ الْمَوَاعِزِ. وَيَكُونُ عِنْدَكُمْ تَحْتَ الْحِفْظِ إِلَى الْيَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ^١. ثُمَّ يَذْبَحُهُ كُلُّ جُمُهورٍ جَمَاعَةً إِسْرَائِيلَ فِي الْعِشِيِّ^٢. وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعُتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا. وَيَأْكُلُونَ اللَّحْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ

^١ - اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري يبدأ فعلياً بعد غروب الشمس من اليوم الثالث عشر، وليس كما هو متعارف لدينا بعد الساعة الثانية عشر من منتصف ليل الثالث عشر.

^٢ - العشيّة عند اليهود، هي تقريباً الفترة الممتدة من الساعة الثالثة ظهراً وحتى غروب الشمس، أي حتى بداية اليوم التالي (تثنية ١٦ : ٦). وفي نفس هذه الفترة مات الرب يسوع المسيح على خشبة الصليب، أي في نفس الساعة التي يذبح فيها خروف الفصح في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري.

(وكان نحو السّاعة السادسة (الثانية عشر ظهراً). فكانت ظلمة على الأرض كلّها إلى السّاعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر). وأظلمت الشّمسُ وانشقَّ حجاب الهيكل من وسطه. ونادى يسوع بصوتٍ عظيم وقال يا أبتاه في يديك أستودعُ روحي. ولمّا قال هذا أسلمَ الرّوح) لوقا ٢٣ :

٤٤-٤٦

وهذه الساعة أيضاً، هي نفس ميعاد خروج الشعب العبري من أرض مصر (تثنية ١٦ : ٦). ومن الجدير ذكره أن موت المسيح أيضاً يوصف بالخروج (لوقا ٩ : ٣١)، لكن مع الفارق، أن ذاك الخروج خلّص من عبودية مصر، أما هذا الخروج فيُخلّص من عبودية الخطية. قال يسوع لتلاميذه (..لأنّني أن يَمِّ جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير). لوقا ٢٤ : ٤٤.

(أي يوم ١٥ نيسان العبري أول أيام الفطير حيث تخبى البيوت من الخمير) مَشْوِيًا بِالنَّارِ مَعَ فَطِيرٍ (خبز غير مختمر)...)^١

كان عيد الفطير يعقب عيد الفصح مباشرة، أي في يوم ١٥ نيسان العبري، والذي يبدأ فعلياً من ليلة ١٤ نيسان العبري. وكان هذا العيد يمتد لسبعة أيام أي من (١٥ - ٢١ نيسان العبري).

في هذه الأيام السبعة توصي كلمة الرب (في الشَّهْرِ الأوَّلِ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ مَسَاءً (أي يوم ١٥ نيسان العبري أول أيام الفطير) تَأْكُلُونَ فَطِيرًا إِلَى اليَوْمِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ مَسَاءً. سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَا يُوْجَدُ خَمِيرٌ فِي بُيُوتِكُمْ. فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ مُحْتَمِرًا تُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ الْغَرِيبُ مَعَ مَوْلُودِ الْأَرْضِ. لَا تَأْكُلُوا شَيْئًا مُحْتَمِرًا. فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا)^٢.

والآن، بما أن يسوع كانت لديه رغبة قوية في أكل الفصح لم يخفها عن تلاميذه (وَقَالَ لَهُمْ: شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ)^٣، وكان أيضاً عالماً بساعة موته، أي قبل الوقت المحدد لأكل الفصح، لذلك فقد قام بصنعه سراً قبل الميعاد بيوم واحد، أي في يوم الخميس، وهذا ما تؤكده الأمور التالية:

١- عدم وجود أي ذكر للحمل الذي ينبغي ذبحه في الهيكل من قبل الكهنة في يوم ١٤ نيسان العبري أي في يوم الجمعة^٤.

١ - خروج ١٢: ٥ - ٨.

٢ - خروج ١٢: ١٨: ٢٠.

٣ - لوقا ٢٢: ١٥.

٤ - لا نعول على غير المكتوب لكن نستأنس به.

٢- (ثُمَّ جَاءُوا بِيَسُوعَ مِنْ عِنْدِ قَيْفَا إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ وَكَانَ صُبْحٌ (صباح يوم الجمعة ١٤ نيسان العبري). وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ إِلَى دَارِ الْوَلَايَةِ لِكَيْ لَا يَتَنَجَّسُوا فَيَأْكُلُونَ الْفِصْحَ^١. (لأن الفصح لم يكونوا قد أكلوه بعد بينما يسوع والتلاميذ قد أكلوه بخلاف موعده)^٢.

٣- (وَكَانَ الْوَالِي مُعْتَادًا فِي الْعِيدِ (الفصح، يوم الجمعة) أَنْ يُطْلَقَ لِلْجَمْعِ أَسِيرًا وَاحِدًا مِنْ أَرَادُوهُ)^٣.

٤- (وَقَالَ لَهُمْ شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ)، لاحظ هنا رغبة يسوع القوية في أكل الفصح قبل موته، باعتباره يعلم أن ساعته قد جاءت، وفيها لا يمكن أكل الفصح مع التلاميذ وإنباؤهم بالعهد الجديد.

٥- (أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ..... فَحِينَ كَانَ الْعِشَاءُ... قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ وَخَلَعَ ثِيَابَهُ وَأَخَذَ مِثْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا ..)^٤

٦- (وَكَانَ اسْتِعْدَادُ الْفِصْحِ وَنَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ. فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «هُؤُذَا مَلِكُكُمْ». فَصَرَخُوا: «خُذْهُ! خُذْهُ اصْلُبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «أَأَصْلُبُ مَلِكُكُمْ؟» أَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ: «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرٌ». فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصَلَّبَ. فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ)^٥

١ - الفصح يذبح ويُعدُّ يوم الجمعة، ويؤكل في الليل (بعد الغروب) حيث يكون السبت قد دخل، وهو أول أيام الفطير الذي فيه تخبى البيوت من الخمير.

٢ - يوحنا ١٨: ٢٨.

٣ - متى ٢٧: ١٥.

٤ - لوقا ٢٢: ١٥.

٥ - يوحنا ١٣: ١-٥.

٦ - يوحنا ١٩: ١٤-١٦.

٧- (لأنَّ فَصْحَنَا أَيْضاً الْمَسِيحُ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا)^١، إشارة قوية لتطابق الرمز مع المرموز إليه، وبالتالي موت المسيح ساعة ذبح الخروف وليس بعده.

٨- شراء الكهنة بالثلاثين من الفضة حقل الفخاري مقبرة للغرباء (متى ٢٧: ٧)، وشراء يوسف الكتان لتكفين المسيح (مر ١٥: ٤٦)، وظن التلاميذ أن المسيح قال ليهوذا الذي دخله الشيطان أثناء العشاء (اشتر ما نحتاج إليه للعيد أو أن يُعطي شيئاً للفقراء)^٢ فغادر المكان. كل هذه الأمور لا يمكن أن تتم بعد أكل الفصح، أي في أيام الفطير (خروج ١٢: ١٦)

٩- تصميم اليهود على قتل المسيح، أو صلبه قبل العيد (متى ٢٦: ٥)

١٠- طبقاً للحسابات الفلكية^٣ فإن ١٥ نيسان العبري لا يمكن أن يقع يوم جمعة بين (٢٧ - ٣٤ م)

فيسوع إذاً أعدّ الفصح في ١٣ نيسان العبري (الخميس)، وأكله مع التلاميذ ليلة ١٣ نيسان العبري أي فعلياً يوم ١٤ نيسان العبري (الجمعة). بينما كان ينبغي أن يُعدّ الفصح في ١٤ نيسان العبري (الجمعة)، ويأكله مع تلاميذه ليلة ١٤ نيسان العبري، أي فعلياً يوم ١٥ نيسان العبري (السبت) أول أيام الفطير.

وبما أن البيوت تُخلّى من الفطير اعتباراً من ليلة ١٤ نيسان العبري (السبت) وما بعد، يكون المسيح الذي لم يتقيد بطقس الفصح قد أكل مع التلاميذ بدل الفطير خبزاً مختمراً، أي ما كان متواجداً في البيوت ذلك الوقت (مساء الخميس أي يوم الجمعة)، وهذا ما أكدته الكلمة في أصولها اللغوية.

١ - ١ كورنثوس ٥: ٧.

٢ - يوحنا ١٣: ٢٩.

٣ - ر.ت. فرانس، التفسير الحديث، إنجيل متى، ص ٤٠٦.

ومع ذلك تبقى لدينا مشكلة يصعب حلها وهي قول متى ((وَفِي أَوَّلِ(πρωτη) بروتي) أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «أَيُّنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟»))^١، وقول مرقس ((وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ(πρωτη) بروتي) مِنَ الْفَطِيرِ. حِينَ كَانُوا يَذْبَحُونَ الْفِصْحَ قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «أَيُّنَ تُرِيدُ أَنْ نَمْضِيَ وَنُعِدَّ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟»))^٢.

البعض قال إن كلمة (πρωτη) بروتي) تعني (الأول) وتعني أيضاً (قبل) كما جاءت في إنجيل يوحنا(هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي(πρωτος)^٣)، وباستبدال الكلمة (أول) بالكلمة (قبل) يمكن حل المشكلة في متى ومرقس.

لكن هذا الأمر لا تقبله اللغة اليونانية على الإطلاق حيث أن كلمة (πρωτη) بروتي) المترجمة (قبل) للغة العربية ليست واضحة تماماً. أما في الأصل اليوناني فالأمر مختلف إذ انها تعني^٤ [الأول في (الوقت - المكان - المرتبة - التصنيف، الأهمية) وتعني أيضاً (الأصل، البدء، الأفضل، الرئيس، أول من كل شيء، سابق كل شيء)]. وهذا يعني انه في الترجمة العربية ينبغي أن تفهم الكلمة (قبلي زماناً أو مكاناً، أو تصنيفاً أو أهمية) أو (سابقاً لي، أو الأول) لتعطي المعنى الصحيح.

أما العبارة التي تعني في اللغة اليونانية (قبل عيد الفطير) والتي لو وردت كانت تعطي هذا المعنى فهي (Pro των αζυμων)^٥ وليس العبارة الواردة في النص الكتابي (Πρωτη των αζυμων)^٦. لذلك أعتقد أن المشكلة ستبقى قائمة

^١ - مت ٢٦: ١٧.

^٢ - مرقس ١٤: ١٢.

^٣ - يوحنا ١: ١٥.

^٤ - Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G4413

^٥ - تُقْرَأُ فِي الْعَرَبِيَّةِ (برو تون اذومون)

^٦ - تُقْرَأُ فِي الْعَرَبِيَّةِ (بروتي تون اذومون)

إلى حين العثور على مخطوطة تكون أقرب للنص الأصلي زمنياً وتحوي كلمة (Pro) بدلاً من (Πρωτη)!!

الكأس: هل هي كأسٌ مملوءة بعصارة الزبيب المصنوع بنقع الزبيب طوال الليل في الماء، ثم استخلاص العصارة في اليوم التالي لاستخدامها في وليمة الفصح، باعتبار أنه لا يمكن استخدام أي شيء مختمر في عيد الفطير^١. أم هي كأسٌ مملوءة بخمر مُمددة بالماء. أم هي كأسٌ مملوءة بخمر مركزة، وبالتالي كم هي نسبة الكحول فيها.

الأمر الملفت للانتباه أن الكتاب المقدس يستخدم كلمة (كأس) في كل الأماكن التي لها علاقة بفريضة (عشاء الرب)، ولا يستخدم على الإطلاق كلمة خمر أو أية كلمة أخرى تشير لمحتوى هذه الكأس، باستثناء أنها من نتاج الكرمة.

(وَأَخَذَ الْكَاسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ لَأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نَتَاجِ الْكُرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي») متى ٢٦: ٢٧-٢٩.

في بعض الأحيان يُشار للكأس بأنها كأس البركة (١كورنثوس ١٠: ١٦)، أو كأس الرب (١كورنثوس ١٠: ٢١)، أو كأس العهد الجديد (١كورنثوس ١١: ٢٥)، ولكن في كل هذه الإشارات يبقى محتوى الكأس مجهولاً.

فماذا إذاً، بما أن (الكنيسة المسيحية استخدمت - منذ البداية تقريباً - الخمر الحمراء المختمرة، سواء ممزوجة أو خالصة، في ممارسة عشاء الرب)^٢، فمن الأفضل أن نستخدم الآن كل الكنائس خمرًا، دون البحث في ماهية هذا الخمر.

سابعاً - كيفية ممارسة عشاء الرب

^١ - خروج ١٢: ١٨: ٢٠.

^٢ - دائرة المعارف الكتابية - باب (ع) - عشاء الرب

- ١ - تناول الخبز (١كورنثوس ١١: ٢٣-٢٤)، يُفضل مع الصلاة.
- ٢- تناول الكأس (١كورنثوس ١١: ٢٥)، يُفضل مع الصلاة.
- ٣- يجب أن يتناول المؤمن عشاء الرب من موقف التوبة (١كورنثوس ١١: ٢٦)
- ٤- يجب أن يتناول المؤمن عشاء الرب بعد أن يفحص ذاته (١كورنثوس ١١: ٢٨)
- ٥- يجب أن يعرف المؤمن ما فعله المسيح لأجله (١كورنثوس ١١: ٢٩)
- ٦- يجب أن ينتظر المؤمن حضور جميع إخوته (١كورنثوس ١١: ٣٣).

**ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب
الإشارة إلى موضع الاقتباس**

الباب السادس

شكل العبادة في الكنيسة

قلنا سابقاً إن الشكل الخارجي للعابد لم يعد جزءاً من العبادة، فالثياب الكهنوتية في عهد الناموس أسقطت مع كل الرموز والطقوس التي كانت ترافق تلك العبادة. ولكن هذا لا يعني أن شكل العبادة مرتبط بشكل العابد (الثياب الكهنوتية). بحيث أن إسقاط شكل العابد يعني إسقاط شكل العبادة وإعطاء الحرية لكل جماعة من المؤمنين لكي تمارس عبادتها بالطريقة التي تترتبها. فكما كان للعبادة في العهد القديم شكل أو تنظيم، هكذا نجد الأمر مكرراً في العهد الجديد، لأن الله الذي يُعبد واحد، ويتميز بكونه إله ترتيب.

وسنحاول في هذا الباب أن نُسلط الضوء على شكل العبادة في العهد الجديد كما ورد في كلمة الله، لنخلص بنعمة المسيح من كل شائبة في عبادتنا، فنعبد الرب بصورة ترضيه، بكل احترام ومخافة، متذكّرين أن (إِلَهًا نَارٌ آكِلَةٌ)^١.

^١ - عبرانيين ١٢ : ٢٩.

الفصل الأول

غطاء الرأس

(وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللَّهُ. كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ. وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطَّى فَنَتَشِينُ رَأْسَهَا لِأَنَّهَا وَالْمَخْلُوقَةَ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَعَيْنِهِ. إِذِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ لَا تَتَغَطَّى فَلْيَقْصَّ شَعْرُهَا^١. وَإِنْ كَانَ قَبِيحاً بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقْصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ. فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ لِكَوْنِهِ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ. وَلَئِنْ الرَّجُلُ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ. لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلَائِكَةِ. غَيْرَ أَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ وَلَا الْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ الرَّجُلِ فِي الرَّبِّ. لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ بِالْمَرْأَةِ. وَلَكِنْ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ هِيَ مِنَ اللَّهِ. احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟ أَمْ لَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ نَفْسُهَا تَعْلَمُكُمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ يُرْخِي شَعْرَهُ فَهُوَ عَيْبٌ لَهُ؟ وَأَمَّا الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ تُرْخِي شَعْرَهَا فَهُوَ مَجْدٌ لَهَا لِأَنَّ الشَّعْرَ قَدْ أُعْطِيَ لَهَا عِوَضَ بُرْقُعٍ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظْهَرُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخِصَامَ فَلَيْسَ لَنَا نَحْنُ عَادَةً مِثْلُ هَذِهِ وَلَا لِكُنَائِسِ اللَّهِ.)^٢

من المفيد أن نذكر هذه الحقيقة (كل مجتمع منظم يقوم على أمرين، السلطة والخضوع)، ولا بأس أن نذكر أيضاً أن هذه الحقيقة تعكس أرادة الله المعلنة لنا في الكتاب المقدس.

^١ - البعض من النساء يلجأن في سبيل الهرب من وضع غطاء الرأس إلى قص الشعر، متناسيات أن هذا الأمر في نظر الله يدعى (قبيحاً).

^٢ - ١ كورنثوس ١١: ٣ - ١٦.

إن السلطان أمر معطى من الله، وكذلك الخضوع أيضاً، وعلى المرء أن يدرك بشكل دائم متى ينبغي عليه أن يكون متسلطاً ومتى ينبغي عليه أن يكون خاضعاً. وأي تبديل لدوره يعني تبديل لدور الله، وأي تبديل لدور الله يعني فقدان السلام واستمرار مشاكل لا حصر لها.

إن هذه الثنائية (خضوع، سلطة) حقيقة يمارسها الناس في كل مكان وزمان مبتدئين من دائرة العائلة الصغيرة، ومنتهين في دائرة المجتمع الكبيرة. حيث كل واحد يخضع للآخر بحسب القانون الذي يحكم العلاقات البشرية أي علاقات الناس بالناس.

وهذه الثنائية لا تعني بأي حال من الأحوال الانتقاص من كرامة البعض على حساب البعض الآخر. كل ما في الأمر أن هذا ترتيب وظيفي وليس ترتيب مقام، الغاية منه أن تسير أمور الناس بأقل قدر من المتاعب والمشاكل، فالشخص الذي يخضع ليس أقل مكاناً في عيني الله من الشخص الذي يتسلط لأنه هو قد خلق كليهما وأعدّ كل واحد منهما لدور معين في هذه الحياة وعليه أن يعيش دوره ليحقق هدف الله.

إن كان ترتيب الله ليس مقبولاً عند كل الناس بسبب طبيعتهم المتمردة، فينبغي على الأقل أن يكون مقبولاً و مرضياً عند كل المؤمنين.

صحيح أن الناس لا يفهمون مشيئة الله للعمل بها، لكن الكنيسة التي تفهم مشيئة الله ما عذرها إن عملت ضدها.

يقول الكتاب المقدس شارحاً هذه الحقيقة (وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللَّهُ)، فالمسيح أي ابن الإنسان، من جهة يمارس خضوعه لله باعتبار الله رأسه، ومن جهة أخرى يمارس سلطانه على الرجل باعتباره رأسه. والرجل يمارس خضوعه للمسيح باعتبار المسيح رأسه، بينما يمارس سلطانه على المرأة باعتباره رأسها.

وهذا يعني أن المرأة تخضع للرجل ضمن دائرة الكنيسة باعتباره رأسها أي تقبل بدوره القيادي. وهو يخضع للمسيح باعتباره رأسه أي يقبل دوره القيادي. والمسيح يخضع للآب باعتباره رأسه أي يقبل دوره القيادي.

إن خضوع المرأة للرجل يعني بشكل غير مباشر خضوعها للمسيح الذي هو رأس الرجل، بينما تمردها على الرجل يعني تمردها على المسيح.

أما الطريقة التي تُعبّر بها المرأة عن قبولها لهذا الترتيب هو استخدامها لغطاء الرأس (كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ. وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًى فَتَشِينُ رَأْسَهَا)، فغطاء الرأس للمرأة هو بمثابة العلامة الخارجية التي تشير لحالتها القلبية القانعة والموافقة على ترتيب الله. وبالمقابل فإن الرجل عليه أن لا يضع أي غطاء على رأسه لنلا يشين رأسه، أي لنلا يعلن تمرده على المسيح.

ولنلا يظن البعض أن الغطاء قصة، لها علاقة بمجتمع كورنثوس أو ببعض التقاليد السائدة^١، هاهو الرسول بولس يقدم لنا ثلاثة أسباب عقائدية لضرورة وضع الغطاء:

(١) لنلا تشين رأسها (٤-٥)

(كُلُّ رَجُلٍ يُصَلِّي أَوْ يَتَنَبَّأُ وَلَهُ عَلَى رَأْسِهِ شَيْءٌ يَشِينُ رَأْسَهُ. وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَنَبَّأُ وَرَأْسُهَا غَيْرُ مُغَطًى فَتَشِينُ رَأْسَهَا لِأَنَّهَا وَالْمَخْلُوقَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَعَيْنِهِ)

١ - قارن (إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لِأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ، لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بَوْرَقٍ وَحَبْرٍ، لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ آتِي إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّمَ فَمَّا لَفِمٍ، لِكَيْ يَكُونَ فَرْحُنَا كَامِلًا) ٢ يوحنا: ١٢. ما كُتِبَ في هذه الرسالة من تعليم هو لكل المؤمنين في كل زمان ومكان، لكن ما قاله يوحنا (إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لِأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ)، هذا يخص كيرية المختارة وأولادها أي لمجموعة من الناس في زمان معين ومكان محدد. وهذا ينسحب على بقية الرسائل في العهد الجديد.

عندما خلق الله الإنسان قال (نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ)^١. فالإنسان مخلوق على صورة الله، وهذه الصورة هي التسلط أو السيادة، وقد تمتع بها آدم وحواء سوياً.

لكن بعد السقوط تشوهت الصورة، وخسر كليهما مع نسلهما مفهوم السيادة على سمك البحر وطيير السماء وبهائم الأرض.

وكان من إحدى نتائج السقوط أن جعل الرب آدم سيداً على حواء (وَالَى رَجُلِكَ يَكُونُ اشْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ)^٢ بمعنى (المرأة تشتاق للسيادة على الرجل لكن ينبغي على الرجل أن يسود)^٣ فالترتيب الجديد للخلقة بعد السقوط هو سيادة الرجل على المرأة بمقابل خضوعها له.

الآن، إن قبل الرجل ترتيب الله عليه أن يعلن ذلك بعدم وضع أي غطاء على رأسه عندما يصلي أو يتنبأ في الكنيسة (فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ لِكُونِهِ صُورَةَ اللَّهِ) سيد، متسلط (وَمَجْدَهُ)، أما إن فعل العكس فهذا يعني أنه يطلب ترتيباً مختلفاً، فيه يريد أن يكون ليس كالرجال لكن كالنساء، ليس متسلطاً لكن خاضعاً. ومن يأخذ دور المرأة، فإنه كرجل يهين نفسه ويزدري بخالقه.

أما المرأة فهي مجد الرجل، بمعنى أنها تُبرز سلطان الرجل، وتقبل بالتالي أن تكون خاضعة له. وهذا الأمر يتطلب منها في الكنيسة أن تضع الغطاء على رأسها كعلامة صامته لموافقتها على ترتيب الله لحياتها.

١ - تكوين ١: ٢٦.

٢ - تكوين ٣: ١٦.

٣ - قارن (وَأَنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ وَالْيَكِ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتِ تَسُودُ عَلَيْهَا) أو كما جاءت في الترجمة التفسيرية (إن لم تحسن التصرف فعند الباب خطيئة تنتظرك، تشوق أن تتسلط عليك، لكن يجب أن تتحكم فيها) (تسلط عليها) (تكوين ٤: ٧).

أما إن رفضت وضع الغطاء على رأسها فإنها تعلن عدم قبولها لترتيب الله، وأنها تطلب ترتيباً مختلفاً، أي تريد أن تكون متسلطة كالرجال (إلى رجلك يكون اشتياقك)، والتي تأخذ دور الرجال فإنها كامراً تهين نفسها وأيضاً رأسها. ومع الأسف مازلنا حتى يومنا هذا نلاحظ سعي المرأة الحثيث واشتياقها لتبديل دورها مع الرجل إن كان خارج الكنيسة أو داخلها.

(٢) لأنها خلقت من أجل الرجل (٨-٩)

(لَأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ وَلَئِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ).

وهذه القصة نجدها في سفر التكوين (وَقَالَ الرَّبُّ الْإِلَهُ: «لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَاصْنَعْ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ». فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الْإِلَهُ سُبَاتَا عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَآخَذَ وَاحِدَةً مِنْ اضْلاَعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْماً. وَبَنَى الرَّبُّ الْإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَخْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لَأَنَّهَا مِنْ امْرِئٍ اخِذْتُ»^١).

إذاً آدم خلق أولاً وبعد ذلك خلقت حواء، فالرجل هو أصل المرأة لأنها منه خلقت. وهذه الأسبقية تعزز مبدأ رئاسته وسلطانه عليها (لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا) ويتجلى ذلك بشكل عملي بوضع الغطاء أثناء العبادة.

(٣) من أجل الملائكة (١٠)

(لِهَذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ أَجْلِ الْمَلَائِكَةِ (الأبرار))

^١ - تكوين ٢: ١٨، ٢١-٢٣.

قال الرسول بولس عن علاقة المؤمنين بهؤلاء الملائكة (لأننا صِرْنَا مَنظَرًا
لِلْعَالَمِ لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ)^١، وهذا يعني أن حياة المسيحي وسلوكه تُلاحظ من قبل
الناس والملائكة، وبالطبع من قبل الله.

إن هؤلاء الملائكة بلا شك يُسرون عندما يجدون المؤمن يتمثل بكلمة الله
ويخضع لها، فإن كانوا يفرحون بتوبة الخاطئ كما قال الرب يسوع (هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ
يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ)^٢، فكم بالحري يفرحون بأمانة
المؤمن واستقامته.

لقد شاهد الملائكة قصة الإنسان منذ الخلق وهم مازالوا يتابعون هذه القصة،
ففي بداية الخليقة شاهدوا كيف أن حواء اتخذت القرار بالأكل من الشجرة المحرمة
فسقطت، ودفعت زوجها ليتبع قرارها فأسقطته، وهذا المشهد بلاشك أحزن الملائكة
الأبرار.

والآن هاهم الملائكة الأبرار ينظرون إلى الكنيسة، وهم يتوقعون منها عدم
تكرار ما فعلته حواء مع زوجها آدم. وكم سيكونون مسرورين عندما يجدون المرأة
قد أدركت دورها في الحياة الكنسية وضمن الأسرة إن كان في الخضوع لزوجها، أو
بالقبول بدور الرجل القيادي في الكنيسة. إنها تعبر عن ذلك الدور بوضع الغطاء
على رأسها.

أعود وأكرر مرة ثانية أن خضوع المرأة لا يعني بأي حال من الأحوال أنها
أقل قيمة من الرجل، فالرَّجُلَ (لَيْسَ مِنْ دُونِ الْمَرْأَةِ وَلَا الْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ الرَّجُلِ فِي
الرَّبِّ)، بمعنى أن الرجل لا يقدر أن يستغني عن المرأة ولا المرأة عن الرجل، وهذه

^١ - ١كورنثوس ٤ : ٩.

^٢ - لوقا ١٥ : ١٠.

العلاقة بحد ذاتها تمنع تصغير المرأة بسبب خضوعها وتمنع افتخار الرجل بسبب سلطانه.

ويؤكد الرسول بولس هذه الحقيقة بشكل آخر عندما يقول (لَأَنَّ كَمَا أَنَّ الْمَرْأَةَ هِيَ مِنَ الرَّجُلِ هَكَذَا الرَّجُلُ أَيْضاً هُوَ بِالْمَرْأَةِ)، بما معناه، كما أن المرأة مصنوعة من الرجل، هكذا أيضاً الرجل بالمرأة، أي مولوداً منها، فالمرأة تلد الطفل الذي سيكون الرجل فيما بعد. وبذلك لا يمكن للطرف الواحد أن يوجد بدون الآخر مما ينفي فخر الرجل على المرأة.

والكتاب المقدس يؤكد لنا أن هذا هو ترتيب الله، وأن ما كُتب لم يكتب بسبب ظروف اجتماعية تخص كنيسة ما، لكن كل ما كُتب كُتب لإذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور، وأن الذين كتبوا كتبوا مسوقين ليس بأحداث اجتماعية لكن من الروح القدس.

فمن لا يحب أن يطيع وصايا الروح القدس هو شخص يحب الخصام، أما نحن المؤمنون فليس لنا عادة مثل هذه ولا لكنائس الله. إننا لا نحب الخصام ولا الجدل في أمور هي بالأصل تعاليم ووصايا الرب.

وأخيراً فإن غطاء الرأس الذي هو علامة خارجية لقناعة داخلية، يفقد قيمته تماماً عندما لا تعيش المرأة وصايا الرب، فقد تضع الغطاء على رأسها ولا تكون في الحقيقة خاضعة لرجلها، ولا قانعة بترتيب الله في الكنيسة، وفي مثل هذه الحالة لا يكون لغطاء الرأس أية قيمة، بل على العكس سيكون شاهداً على غشها وخداعها، وهذا أسوأ من عدم وضعها للغطاء.

الفصل الثاني

لباقة وترتيب

(وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَبْطِئُ فَلِكَيْ تَعْلَمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي بَيْتِ اللَّهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللَّهِ الْحَيِّ، عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ)¹.

(لَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ إِلَهَ تَشْوِيشٍ بَلْ إِلَهُ سَلَامٍ كَمَا فِي جَمِيعِ كَنَائِسِ الْقِدِّيسِينَ.²
لِتَصْنُمْتُ³ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَأْدُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ⁴ أَيْضًا. وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ γυνή ('goo-nay')⁵ فِي الْبَيْتِ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمْنَ (السَّيِّئَةُ) فِي كَنِيسَةٍ. أَمْ مِنْكُمْ خَرَجَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ؟ أَمْ إِلَيْكُمْ وَخَدَّكُمْ انْتَهَتْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْسِبُ نَفْسَهُ نَبِيًّا أَوْ رُوحِيًّا فَلْيَعْلَمْ مَا أَكْتُبُهُ إِلَيْكُمْ أَنَّهُ وَصَايَا الرَّبِّ. وَلَكِنْ إِنْ يَجْهَلُ أَحَدٌ فَلْيَجْهَلْ! إِذَا أَتَيْهَا الْإِخْوَةُ جِدُّوا لِلتَّنَبُّؤِ وَلَا تَمْنَعُوا التَّكَلَّمَ بِالسَّنَةِ.⁶)

¹ - ١ تيموثاوس ٣: ١٥.

² - كما قلنا سابقاً، الأرجح أن الآية ٣٤ تبدأ من منتصف الآية ٣٣ أي (كما في جميع كنائس القديسين لتصمت نساءكم في الكنائس لأنه ليس مأدونا لهن أن يتكلمن ..)

³ - كما قلنا سابقاً، الصمت هنا ليس بمعناه المطلق، لكنه يتعلق بأمرين:

١ - التكلّم بالسنة

٢ - التنبؤ أو الوعظ الذي هو التعليم.

والصمت هنا مرهون بالاجتماعات التي يحضرها الرجال والنساء، أي الاجتماعات العامة.

⁴ - هذا الأمر ليس مقصوداً على كنيسة كورنثوس فقط بل على جميع كنائس القديسين.

⁵ - تكوين ٣: ١٦ (وَالْيَ رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيفَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ)

⁶ - يبدوا أن الاستفسار عن بعض الأمور يتم خارج الكنيسة، وليس بالضرورة أن يكون المجيب هو الزوج، قد يكون الأخ أو أحد الأنساء، أو ربما أحد المتقدمين في الكنيسة. حيث أن كلمة رجالهن قد تعني (رجل، متى ٧: ٢٤، مرقس ٦: ٤٤) أو (زوج، يوحنا ٤: ١٧).

الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية، القس غسان خلف

⁷ - ١ كورنثوس ١٤: ٣٣-٣٩.

(لِتَتَعَلَّمَ الْمَرْأَةُ سَكُوتًا^١ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. وَلَكِنْ لَسْتُ آذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَعْلَمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سَكُوتٍ، لِأَنَّ آدَمَ جَبَلَ أَوَّلًا ثُمَّ حَوَاءُ، وَآدَمُ لَمْ يُغَوَّ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي)^٢

(كَذَلِكَ الْعَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيْقُ بِالْقَدَاسَةِ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الْكَثِيرِ، مُعَلَّمَاتٍ الصَّلَاحِ، لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحَبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحِبِّبْنَ أَوْلَادَهُنَّ،)^٣

يبدو من نصوص الكتاب المقدس أن التعليم (وعظ أو درس كتاب) في الكنيسة ليس من اختصاص النساء فعليها أن لا تأخذ هذا الدور، أي ترتئي فوق ما ينبغي أن ترتئي. لكنها بالمقابل ليست محرومة من ممارسة هذا الأمر مع الحدّثات في الكنيسة، أو ممارسته مع الآخرين رجالاً ونساءً في الطريق أو المنزل^٤.

أما الحديث عن بعض النساء في العهد القديم كدبورة القاضية، أو مريم أخت هارون النبيه، فينبغي أن يؤخذ في سياقه التاريخي، وتُدرس أفعال هذه الشخصيات

١ - عندما تشترك المرأة في العبادة الجمهورية فإن دورها ينحصر في التعلّم.

دونالد جوثري، التفسير الحديث، الرسائل الرعوية، ص ٨٨.

٢ - ١١-١٤. لاحظ أن الرسول بولس يدعم ما يقوله بأمور عقائدية لا تتغير بمرور الزمن. بتعبير آخر لا يستند لوضع المرأة الاجتماعي في تلك الحقبة من الزمن، وإلا كان ما يقوله قابلاً للتغير.

٣ - تيطس ٢: ٣-٤.

٤ - مُنعت النساء من التعليم في العبادة الجمهورية، في الكنيسة، لكنها لم تُمنع من هذا الأمر في الطريق أو البيت. قارن (ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى أَفْسُسَ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبْلُوسُ إِسْكَنْدرِيّ الْجَنْسِ رَجُلٌ فَصِيحٌ مُفْتَدِرٌ فِي الْكُتُبِ. كَانَ هَذَا خَبِيرًا فِي طَرِيقِ الرَّبِّ. وَكَانَ وَهُوَ حَارًّا بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ وَيُعَلِّمُ بِتَدْقِيقٍ مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ. عَارِفًا مَعْمُودِيَّةً يُوْحَنَّا فَقَطً. وَابْتَدَأَ هَذَا يَجَاهِرُ فِي الْمَجْمَعِ. فَلَمَّا سَمِعَهُ أَكِيَلَا وَبَرِيَسْكَلا أَخَذَاهُ إِلَيْهِمَا وَشَرَحَا لَهُ طَرِيقَ الرَّبِّ بِأَكْثَرِ تَدْقِيقٍ) أعمال ١٨: ٢٤-٢٦.

وتصرفاتها من خلال الإجابة عن السؤال (هل هذا التصرف تم بأمر من الرب أم هو اجتهادٌ شخصيٌّ)، وهل دورهم كان داخل خيمة الاجتماع أم خارجها. وبكل الأحوال تصرفات رجال أو نساء الكتاب المقدس ليست ملزمة لنا ولا تؤخذ كعقيدة. العقائد تؤخذ من نصوص واضحة تعليمية، أو تؤخذ من عبارات مطلعها مثلاً (هكذا يقول الرب).

**ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب
الإشارة إلى موضع الاقتباس**

الفصل الثالث

الوقار(تصفيق، رقص)

درجت العادة عند بعض المؤمنين أن يرقصوا^١، أو يُصَفِّقوا في الكنائس أثناء الترنيم، واعتُبرت هذه التصرفات من الحقائق التي مورست في الكتاب المقدس والتي تعطي بعداً أجمل للعبادة، أو ربما شركة أعمق مع الله.

فما هو تعليم الكتاب المقدس من جهة هذا الأمر، هل حقاً يشجع على التصفيق والرقص باعتبار أن هذا الأمر لا يتناقض مع هيبة الله، أم أن للكتاب المقدس وجهة أخرى!

أن نعرف كيف يُعبد الرب أمر يشجعك على إرضائه، وبالتالي نوال بركاته. أما أن تعبد بطريقتة لم يأمر بها، أي بطريقة تتوقع أن تكون مرضية أمامه، هذا يجعل عبادتك صنجاناً يطن أو نحاساً يرن حتى لو كانت من أعماق قلبك.

ولتبيان وجهة نظر الكتاب المقدس دعونا نتوقف أمام الحالتين:

١. الرقص أثناء العبادة.

وردت كلمة رقص مع مشتقاتها في العهد القديم(٢٢) مرة، وهي في العهد القديم وسيلة التعبير عن الفرح^٢، كما أن افتراش الأرض، وذر التراب والرماد على الرأس، ولبس المسوح، هم وسيلة التعبير عن الحزن^٣.

• قيل عن الشعب قديماً عندما خرج من مصر وعبر البحر الأحمر (فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ بِيَدِهَا وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ

١ - يختلف الرقص باختلاف البيئة التي ينتمي إليها المؤمن.

٢ - قارن مزمو ٣٠: ١١ + ارميا ٣١: ١٣.

٣ - تكوين ٣٧: ٣٤ + ٢ صموئيل ٣: ٣١.

وَرَأَاهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَأَجَابَتْهُم مَرْيَمُ: «رَبُّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ! الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ»^١.

هنا نرى مريم النبية تقود الشعب بالترنيم والرقص، ولكن السؤال هل كان هذا التصرف بأمر من الرب أم هو بشكل شخصي.

دعونا نتذكر أن مريم وكل الشعب قد خرجوا من مصر بعد عبودية استمرت حوالي (٤٠٠) عاماً، وخلال كل تلك الفترة لم يكن لدى الشعب أي ناموس أو تعليم عن الرب أكثر من التعليم الذي أخذه من يعقوب جدهم، وما أشح هذا التعليم. لدرجة أن موسى عندما تقابل مع الله وقال له الرب (أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ)^٢ أجابه موسى (هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلَهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟)^٣. فإن كان هذا الشعب لا يعرف على الأقل اسم الله الذي يعبدته فكيف يستطيع أن يعبدته، وبأية طريقة.

وما حصل مع مريم لا يعدو كونه تقليداً لعبادة كان يمارسها المصريون لآلهتهم، لقد ظننت أن هذه هي الطريقة التي يُكرم فيها الله، فأخرجت الدف من بيتها كما فعلت بقية النساء ورقصن كما يفعل المصريون.

• (وَكَانَ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِنَّهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ وَالرَّقْصَ. فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى وَطَرَحَ اللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَرَهُمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ)^٤

١ - خروج ١٥: ٢٠-٢١.

٢ - خروج ٣: ٦.

٣ - خروج ٣: ١٣.

٤ - الرجاء العودة إلى الباب الأول والفصل الأول.

٥ - خروج ٣٢: ١٩.

لاحظ هنا أن الشعب عندما تأخر موسى بالمجيء إليه صنع لنفسه إلهاً عاجلاً، وعبدته راقصاً. من الذي علمهم هذا الأمر، بدون أدنى شك كانوا المصريين^١.

• (وَكَانَ دَاوُدُ يَرْقُصُ^٢ بِكُلِّ قُوَّتِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. وَكَانَ دَاوُدُ مُتَنَطِّقًا بِأَفُودٍ مِنْ كَتَّانٍ.)^٣

أولاً- كان داود يرقص وراء التابوت في الطريق وليس في خيمة الاجتماع (أي في مكان العبادة).

ثانياً - لم يكن أحدٌ من الكهنة أو من الشعب مشتركاً مع داود في رقصه، مما يؤكد أن تصرفه كان شخصياً.

ثالثاً- سلوكية رجال أو نساء الكتاب المقدس ليست دائماً مرضية لدى الرب، وبالتالي ليست قدوة لنا. فمريم مع كونها نبيه أخطأت فضربها الله بالبرص، وداود مع كونه نبياً سقط في خطية الزنى والكذب والقتل وضربه الله عقاباً على خطاياها. فقد تخطيء مريم وقد تصيب وقد يخطي داود وقد يصيب، إنهما في كل الأحوال ليسا مثالين لنا.

• (فَأَخَذُوا الثَّوْرَ الَّذِي أُعْطِيَ لَهُمْ وَقَرَّبُوهُ، وَدَعَوْا بِاسْمِ الْبَعْلِ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الظُّهْرِ: [يَا بَعْلُ أَجِئْنَا]. فَلَمْ يَكُنْ صَوْتُ وَلَا مُجِيبٌ. وَكَانُوا يَرْقُصُونَ حَوْلَ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَ.)^٤

^١ - الرجاء العودة إلى الباب الأول والفصل الأول

^٢ - الرجاء العودة إلى الباب الأول والفصل الأول.

^٣ - ٢ صموئيل ٦ : ١٤.

^٤ - ١ ملوك ١٨ : ٢٦.

هنا نجد موقعة تحدّ بين إيليا وأنبياء البعل^١، فبينما أنبياء البعل يصرخون ويرقصون ويجرحون أنفسهم في عبادة البعل، نجد إيليا يعبد الرب بهدوء وسكون دون ضجيج ولا رقص. ولو كان الرقص جزءاً من عبادة الله لفعل إيليا ذلك، كون العبادة الناقصة لا تستجب.

• (لِيَسْبَحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرْتَمُوا لَهُ.)^٢

(سَبِّحُوهُ بِدُفٍّ وَرَقْصٍ. سَبِّحُوهُ بِأَوْتَارٍ وَمِزْمَارٍ.)^٣

عندما نقرأ المزامير ينبغي أن ندرك قبل كل شيء أنها قصائد شعرية، وفي القصائد يوجد صور متنوعة ومبالغات، الغاية منها التعبير عن أمر ما.

لذلك لا يمكن أن نفسر المزامير كما نفسر الرسائل في العهد الجديد، أو كما نفسر أقوال الرب يسوع المسيح، لا نستطيع أن نقف أمام كل كلمة وكل حرف إلا إذا كان النص نبوياً، ودون ذلك نفتش عن المعنى العام. وكمثال ما ورد في المزمور ١٤٩، ١٥٠.

في المزمور ١٤٩: ٣ يقول المرنم (لِيَسْبَحُوا اسْمَهُ بِرَقْصٍ. بِدُفٍّ وَعُودٍ لِيُرْتَمُوا لَهُ.) بينما في العدد ٦ يتابع المرنم ويقول (تَتَوِيهَاتُ اللَّهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ)^٤. فلو أخذنا المعنى الحرفي للكلمات وهو أمر مرفوض، فهذا يعني أننا يجب أن نسبح الله بالرقص وبحمل السيوف ذات الحدين. وكدليل على رفض التفسير

^١ - الرجاء العودة إلى الباب الأول والفصل الأول.

^٢ - مزمور ١٤٩: ٣.

^٣ - مزمور ١٥٠: ٤.

^٤ - وردت في الترجمة التفسيرية كالتالي (ليهتفوا مسبحين الرب ملء أفواههم وليتقلدوا بسيف ذي حدين في أيديهم)

الحرفي للمزامير لاحظ مثلاً في المزمور ١٤٨ أن المرنم يطلب من الملائكة أن تسبح الرب وهذا أمر مفهوم لكنه بعد ذلك يطلب من الشمس والقمر والتنانين والنار والبرد والثلج والضباب والريح العاصفة والجبال وكل الآكام والوحوش وكل البهائم والطيور الخ.. أن تسبح الرب.

فلو أردنا أن نفسر المزمور بشكل حرفي لوقعنا في مشكلة. أما لو فسرناه كقصيدة فسيكون الأمر بسيطاً ومفهوماً. وإليك التفسير الصحيح:

إن المزمور ١٤٨ موضوعه أن الرب قد تعالى اسمه وحده فوق الأرض والسماوات، لذلك على الجميع أن يقرؤا بهذه الحقيقة فيشتركوا بالتسبيح للرب. أما استخدام الأشياء غير العاقلة بالتسبيح فليس أكثر من صورة من صور المبالغة الشعرية التي تحت العاقل من خلال غير العاقل على عدم التواني عن تمجيد الله.

أما الرقص الوارد في المزمور ١٤٩، ١٥٠، فهو صورة عن الفرح. هكذا الشعب قديماً عندما يفرح يرقص، وعندما يرقص يقول أنا فرحان. وما الإكثار من الأدوات الموسيقية في المزمور ١٥٠ إلا للتعبير عن الفرح الشديد الذي يعتري المرنم عندما يذكر عظمة الله الفائقة.

وكنتيجة نقول لم تكن غاية المرنم أن يعدد لنا الأدوات الموسيقية أو الحرية التي ينبغي أن نستخدمها في العبادة، بل ببساطة كانت حثنا على العبادة أي التسبيح بفرح للرب.

الأمر الملفت للانتباه في العبادة هو تغاضي الرب عن الرقص كوصية للعابد، فلو كان رقص العابد مما يسر الله فلماذا لم يقله

بشكل صريح، في حين أن الرب عندما تكلم عن الكهنوت وثياب الكاهن وخيمة الاجتماع تكلم عن أبسط الأشياء وباستفاضة.

والأمر الآخر الملفت للانتباه ما حصل مع رئيس الكهنة هارون عندما ضُرب الرب ولديه ناداب وابيهو اللذين وضعاً في مجمرتيهما ناراً غير مقدسة فماتا (وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ وَالْعَازَّارَ وَإِيثَامَارَ ابْنَيْهِ: «لَا تَكْشِفُوا رُؤُوسَكُمْ وَلَا تَشْقُوا ثِيَابَكُمْ لئَلَّا تَمُوتُوا وَيُسْحَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ كُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فَيَكُونُونَ عَلَى الْحَرِيقِ الَّذِي أَحْرَقَهُ الرَّبُّ»)^١.

لاحظ معي، ولدا هارون يموتان، والرب يمنعه ليس من الحزن عليهما، بل من ممارسة الطريقة التي يُعبر بها عن الحزن، أي كشف الرأس وشق الثياب داخل خيمة الاجتماع. بينما بنو إسرائيل يسمح لهم الرب بممارسة حزنهم على ولدي هارون، لكن خارج الخيمة^٢.

والسؤال الذي يطرح نفسه، إن كان الله يمنع الحزين وهو صادق في كل الأوقات من ممارسة الطريقة التي يُعبر بها عن حزنه في خيمة الاجتماع، فكم بالحري يمنع الفرحان وهو ليس صادقاً في كل الأوقات، من ممارسة الطريقة التي يعبر بها عن فرحه في خيمة الاجتماع.

^١ - لاويين ١٠: ٦.

^٢ - قارن (فَمَزَّقَ يَشُوعُ ثِيَابَهُ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى الْمَسَاءِ، هُوَ وَشَبُوحُ إِسْرَائِيلَ، وَوَضَعُوا تَرَاباً عَلَى رُؤُوسِهِمْ) يشوع ٧: ٦ لم يعترض الرب على هذا التصرف كونه تم خارج الخيمة، في العراء.

باختصار، الله لا يريد أن نشق ثيابنا في مكان العبادة عندما نحزن،
كما انه لا يريد أن نرقص في مكان العبادة عندما نفرح، ولو أراد غير
ذلك لقالها لنا صراحة.

أما في العهد الجديد فقد وردت كلمة (رقص مع مشتقاتها) خمس مرات وفي
كل هذه المرات كانت وسيلة التعبير عن الفرح، دون أن يكون لها أية علاقة
بالعبادة.

- (وَيَقُولُونَ: زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا! نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَلْطَمُوا!)^١
- (ثُمَّ لَمَّا صَارَ مَوْلِدُ هِيرُودُسَ رَقَصَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا فِي الْوَسْطِ فَسَرَّتْ
هِيرُودُسَ).^٢
- (دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَكِنِينَ مَعَهُ. فَقَالَ
الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: «مَهْمَا أَرَدْتَ اطْلُبِي مِنِّي فَأَعْطِيكِ».)^٣
- (يُشَبِّهُونَ أَوْلَادًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ:
زَمَرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا).^٤
- (وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرَّبَ مِنَ الْبَيْتِ سَمِعَ صَوْتَ
آلَاتِ طَرَبٍ وَرَقَصًا)^٥

والسؤال إن كان الرقص جزءاً مهماً في العبادة فلماذا لم يتكلم عنه العهد
الجديد ولو تلميحاً.

^١ - متى ١١ : ١٧ .

^٢ - متى ١٤ : ٦ .

^٣ - مرقس ٦ : ٢٢ .

^٤ - لوقا ٧ : ٣٢ .

^٥ - لوقا ١٥ : ٢٥ .

٢. التصفيق.

وردت هذه الكلمة في العهد القديم ١٩ مرة، وهي ذات دلالات مختلفة بحسب ورودها في النص، أما الأماكن التي وردت فيها مرتبطة بالعبادة فهي مرة واحدة فقط.

(لِإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِنَبِيِّ فُورَحَ. مَزْمُورٌ يَا جَمِيعَ الْأُمَمِ صَفِّقُوا بِالْأَيْدِي. اهْتَفُوا لِلَّهِ بِصَوْتِ الْإِبْتِهَاجِ)^١.

كما قلت، أعود وأكرر، هذه قصيدة والكلمات فيها لا تؤخذ أثناء التفسير بشكل حرفي، قارن مثلاً (الأنهار لتُصفقُ بالأيادي الجبال لترنم معاً)^٢.

أما في العهد الجديد فهذه الكلمة مع مشتقاتها غير موجودة أبداً. والسؤال إن كان التصفيق جزءاً مهماً في العبادة فلماذا التغاضي عنه إلى هذه الدرجة؟

يدعي البعض أن التصفيق أو الرقص أمران لا يتناقضان مع هيبة الله، وإن كان الناس يصفقون أو يرقصون لذوي السلطة والمراكز تكريماً لهم، فكم بالحري نفعل هذا للرب.

بالعودة للكتاب المقدس سنجد أن كل لقاءات البشر مع الملائكة، أو مع الرب يسوع المسيح بعد القيامة انتهت بطريقة واحدة التهيّب، وأحياناً الرعب الذي يصل لحد الموت، وبينما لا يذكر لنا الكتاب المقدس أبداً أن هناك من صفق أو رقص فرحاً أو تبجيلاً، يذكر لنا أن الكثيرين قد سقطوا على وجوههم سجوداً وخوفاً.

لاحظ مثلاً في جزيرة بطمس عندما تقابل يوحنا التلميذ الحبيب مع الرب يسوع يقول يوحنا (فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَقَطْتُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ كَمَيِّتٍ)^٣.

١ - مزمو ٤٧: ١.

٢ - مزمو ٩٨: ٨.

٣ - رؤيا ١: ١٧.

ولما تقابلت المريمات عند قبر يسوع مع الملاك (فَقَالَ الْمَلَاكُ لِلْمَرَاتَيْنِ: «لَا تَخَافَا أَنْتُمَا فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ»)^١.

ولما تقابل الرعاة مع الملائكة يقول الكتاب (وَإِذَا مَلَاكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجَّدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا)^٢.

ولما تقابل دانيال مع الملاك قيل (فَجَاءَ إِلَى حَيْثُ وَقَفْتُ. وَلَمَّا جَاءَ خِفْتُ وَخَرَرْتُ عَلَى وَجْهِ)^٣.

أما اشعيا فقد رأى الرب في رؤيا فقال (وَيَلُّ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسٌ الشَّفَتَيْنِ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسٍ الشَّفَتَيْنِ لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ)^٤.

أما داود وشيوخ إسرائيل فقبل عنهم (وَرَفَعَ دَاوُدُ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَلَاكَ الرَّبِّ وَاقِفًا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسَيْفُهُ مَسْلُوبٌ بِيَدِهِ وَمَمْدُودٌ عَلَى أُورُشَلِيمَ. فَسَقَطَ دَاوُدُ وَالشُّيُوخُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُكْتَئِسِينَ بِالْمُسُوحِ)^٥.

أما منوح وزوجته فقبل عنهما (فَكَانَ عِنْدَ صُعُودِ اللَّهَيْبِ عَنِ الْمَذْبَحِ نَحْوَ السَّمَاءِ أَنَّ مَلَاكَ الرَّبِّ صَعِدَ فِي لَهَيْبِ الْمَذْبَحِ وَمَنُوحٌ وَامْرَأَتُهُ يَنْظُرَانِ. فَسَقَطَا عَلَى وَجْهِهِمَا إِلَى الْأَرْضِ)^٦.

^١ - متى ٢٨ : ٥ .

^٢ - لوقا ٢ : ٩ .

^٣ - دانيال ٨ : ١٧ .

^٤ - اشعيا ٦ : ٥ .

^٥ - أخبار الأيام ٢١ : ١٦ .

^٦ - قضاة ١٣ : ٢٠ .

وعند جبل سيناء قيل عن موسى (وَكَانَ الْمَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفًا حَتَّى قَالَ مُوسَى:
«أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ!»)^١.

فإن كان كل هؤلاء قد سقطوا على وجوههم من الخوف والتهيب فلماذا نختلف
عنهم في محضر الرب، ونحن لسنا أكثر قداسة منهم.

^١ - عبرانيين ١٢ : ٢١.

الفصل الرابع

الروح والحق

كانت العبادة في العهد القديم مرتبطة بالرموز، فثياب رئيس الكهنة كل قطعة فيها تشير لأمر معين، وخيمة الاجتماع^١ بشكلها وبابها وسورها وأغطيته والرسومات أو المطرزات على الحجاب، إضافة لمذبح النحاس والبخور والمرحضة ومائدة الوجوه وخبز التقدمة والمنارة كلها تحمل معاني يدركها العابد، وبدونها لا يستطيع أن يمارس عبادته.

وعلى ما يبدو أن الشعب في العهد القديم كان يحتاج أثناء العبادة بسبب مستواه الفكري البسيط إلى المجسمات والصور والروائح، فهو يرى الذبيحة ولمسها، يشتم رائحة البخور في المجرة، يرى الطقس الذي يجريه رئيس الكهنة أثناء الدخول للقدس، ويمتع عينيه بجمال ثيابه، الخ... كل هذا كان يعطيه نوع من الرهبة، والخوف من شخص الله، أي ما يكفي ليبتعد عن الخطية ويعيش في جو القداسة.

لكن لأن الإنسان سرعان ما يعتاد الأشياء بتكرارها، فإن هذه الرموز فقدت أهميتها بالنسبة للعابد مع مرور الوقت، بينما مضمونها النبوي الذي يشير لشخص المسيح بقي فيها.

وعندما جاء المرموز إليه الرب يسوع المسيح فإن كل الرموز القديمة سقطت، ولم يعد هناك من داع لممارستها.

^١ - لمزيد من المعرفة اقرأ كتاب (هل حقاً يسكن الله في خيمة)، للكاتب. إصدار دار الثقافة، مصر.

قال الرب يسوع المسيح لتوما (لَأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا)^١، فمن الآن فصاعداً يكفي الإيمان. وقال الرسول بولس مؤكداً ذات الحقيقة (إِذَا نَحْنُ مِنَ الْآنَ لَا نَعْرِفُ أَحَدًا حَسَبَ الْجَسَدِ. وَإِنْ كُنَّا قَدْ عَرَفْنَا الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَكِنْ الْآنَ لَا نَعْرِفُهُ بَعْدُ)^٢. وقال كاتب العبرانيين (فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَتَقَ الْأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاحَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْإِضْمِحَالِ)^٣.

إذاً كل الطقوس والرموز المتمثلة في عبادة العهد القديم قد انتهت، إننا في عهد جديد فيه يُعبد الله بالروح والحق، كما قال الرب للسامرية (وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لِأَنَّ الْآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلَاءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. أَلَلَهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا)^٤.

وهذا يعني أننا لسنا بحاجة لهيكل أو صور أو روائح صاعدة من المباخر، أو ثياب خاصة نرتديها ليكتمل شكل عبادتنا، وكذلك الأبنية التي نعبد فيها الرب فليس من الضروري أن يكون لها شكل معين أو اتجاه محدد.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس

١ - يوحنا ٢٠: ٢٩.

٢ - ٢ كورنثوس ٥: ١٦.

٣ - عبرانيين ٨: ١٣.

٤ - يوحنا ٤: ٢٣-٢٤.

الباب السابع

التأديب (التقويم) الكنسي

بما أن الكنيسة هي جماعة من المؤمنين الذين يتعايشون في ظروف متنوعة، وهم عرضة لمضايقات الشيطان ومغريات العالم ورغبات الجسد، فبلا شك ستكون تحت تأثير أمور مختلفة كالتطرف أو الانحراف أو التحزب أو الانشقاق أو التعاليم المضلة، وكل هذه الأمور تحتاج للمعالجة لئلا تتفكك الجماعة أو تصاب بالتشردم.

لذلك، ومن أجل تصحيح الأوضاع الخاطئة في الكنيسة والعودة بها إلى الحالة الروحية الصحيحة، فقد ترك لنا الروح القدس في الكتاب المقدس جملة من الأحكام التي تناسب أو تتماشى مع درجات الضرر التي تلحق بالكنيسة. وهذه الأحكام لم توضع للقراءة فقط لكن للتطبيق، فهي ككل علاج مع مرارته ينبغي استخدامه.

ومع أن الحديث عن التأديب أمر لا يُحب الكثيرين سماعه، لأنه باعتقادهم علامة الحقد والمرارة والكره، وهو مستوى متدنٍ روحياً لا ينبغي أن تصل إليه الكنيسة، لكن هذا الاعتقاد مع شيوعه خاطئ. فالتأديب بحسب تعليم الكتاب المقدس ليس علامة الحقد، لكن علامة المحبة التي تفقد للحياة الفضلى.

تقول كلمة الرب (وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ) كَبَنِينَ: «يَا ابْنِي لَا تَحْتَقِرْ (لاترفض) تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلَا تَحْزِنْ إِذَا وَبَّخَكَ. لِأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمْ اللَّهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لَا يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلَا تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ (الذي يشترك فيه جميع أبناء الله)، فَأَنْتُمْ تُعَوِّلُ (أبناء غير شرعيين) لَا بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلَا نَخْضَعُ بِالْأُولَى جِدًّا لِأَبِي الْأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا (حياة فضلى)؟

لَأَنَّ أَوْلَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا (الله) فَلَأَجَلِ الْمُنْفَعَةِ (يُؤدِّبُنَا)، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لَا يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطَى الَّذِينَ يَتَذَرُّونَ بِهِ ثَمَرَ بَرٍّ لِلسَّلَامِ. لِذَلِكَ قُومُوا الْيَدَيَّ الْمُسْتَرْخِيَّةَ وَالرُّكْبَ الْمُخَلَّعَةَ، وَاصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لَا يَعْتَسِفَ (لا ينحرف عن مساره) الْأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى.^١

فإن كان الأب يؤدب ابنه، وإن كان الله يؤدب شعبه، فكم بالبحري تقوم الكنيسة بممارسة هذا الدور على المتمردين الخاطئة من أفرادها!!

إن الكنيسة التي تتراخى في إجراءات التأديب بحق المخطئين والمسيئين فيها، هي كنيسة تسمح للخطية أن تستقطبها وتشل حركتها وتطفئ نور المسيح فيها. بينما الكنيسة التي تمارس سلطانها في التأديب إنما هي كنيسة تشدد على قداسها وطهارتها في وسط عالم يفتقد للقداسة والطهارة.

ولئلا نتطرف في التأديب، ولئلا يتحول التأديب إلى سلطة لتنفيذ غايات شخصية، يقدم لنا الكتاب المقدس عدة أساليب أو خطوات للتعامل مع الخاطئ. لكن قبل التوقف عند هذه الخطوات دعونا نتذكر أن هناك نوعين من الخطايا: الأولى خطايا شخصية، وهي التي تكون بين فردين وليس لها تأثير على سمعة الكنيسة.

الثانية خطايا عامة، وهي التي يمارسها البعض فتأتي بنتائج سلبية على الكنيسة.

^١ - عبرانيين ١٢: ٥-١٣.

الفصل الأول

الخطايا الشخصية

(وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ) خطية شخصية في حقك وليس في حق الكنيسة) فَادْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا^١. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رِيحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَخُذْ مَعَكَ أَيْضاً وَاحِداً أَوْ اثْنَيْنِ لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ^٢. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَتْنِيِّ وَالْعَشَارِ^٣.

في حالة حدوثها علينا القيام بالخطوات التالية:

- أ- تذكر أن الهدف من التأديب هو مساعدة المؤمنين لا أذيتهم.
- ب- اعمل بوصية الرب مع الشخص المخطئ إليك وذلك من خلال الخطوات التالية:

*الخطوة الأولى اغفر له في قلبك (وَكُونُوا لَطْفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللَّهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ)^٤ دون أن تعلن هذا أمامه.

*الخطوة الثانية اذهب لمعاتبته وتوبيخه في المحبة، وهذا عكس منطق العالم، إنه منطق الإيمان^٥. فإن اقتنع واعتذر تائباً عن خطيئته أخبره بأنك غفرت له (وَإِنْ

١ - قارن(لا تُبْغِضْ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ. إِذَا تَنَذَرُ صَاحِبَكَ وَلَا تَحْمِلْ لِأَجْلِهِ خَطِيئَةً).

٢ - الحديث يتم قبل تأسيس الكنيسة، لذلك كلمة كنيسة تفهم هنا بالدائرة اليهودية، أي أنها تعني الجماعة المحلية أو المجمع. لكن هذا لا يعني أنه فيما بعد لا يمكن تطبيق هذا المبدأ على كنيسة المسيح.

٣ - متى ١٨: ١٥-١٧.

٤ - أفسس ٤: ٣٢.

٥ - قارن ما فعل إبراهيم الكبير عمراً وإيماناً مع ابن أخيه لوط عندما ذهب لمصالحته (تكوين ١٣: ٨).

أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبَّخَهُ وَإِنْ تَابَ فَآغْفِرْ لَهُ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَآغْفِرْ لَهُ^١، وهكذا تكون قد رحت أخاك.

*الخطوة الثالثة تتم في حالة فشل الخطوة الثانية، أي تتحول المشكلة إلى الكنيسة ولا تعود محصورة بين أثنين، فالمُساء إليه يصطحب معه واحداً أو اثنين من الأخوة لإقناع المسيء بإساءته، وحثه على الاعتذار، فإن نجح ربح أخاه وإن فشل، يتحول الأمر للجماعة.

*الخطوة الرابعة وتتم في حالة فشل الخطوة الثالثة، وهنا تقوم الكنيسة المحلية لا المحكمة المدنية في حسم الخلاف بين الأخوة، لأنه من غير الجائز لمؤمن مسيحي أن يذهب لمحكمة عالمية لمقاضاة أخيه. فإن قبل الأخ المسيء حكم الكنيسة انتهى الأمر، وإن رفض يصبح كالوثني والعشار أي يعامل معاملة الخطاة (يعزل أو يهمل) وكأنه خارج دائرة الكنيسة.

الفصل الثاني

الخطايا العامة

في هذا النوع من الخطايا يظهر بوضوح دور راعي الكنيسة وشيوخها، ومقدار حكمتهم وحسن رعايتهم. ولأجل ربح الأخ الخاطئ عليهم أن يتدرجوا في العقوبات كما علمتها كلمة الرب وأن لا يحابوا، أو يؤخذوا بالوجه.

(١) كراع أو شيخ كن نزيهاً في التعامل مع المشكلة (..لَا تَعْمَلْ شَيْئاً بِمَحَابَاةٍ)¹، لاحظ كيف يتكلم الرسول بولس عن نزاهته ونزاهة من معه (مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ) (إننا نحرص على النزاهة)، لَيْسَ قُدَّامَ الرَّبِّ فَقَطً، بَلْ قُدَّامَ النَّاسِ أَيْضاً)²، وهذا يعني أنه عليك كمسؤول في الكنيسة أن تدقق في المشكلة لئلا يكون هناك سوء فهم، أي تأكد من مصداقية القصة.

(٢) كن جريئاً في توبيخ الخاطئ المستمر في خطيئته (الَّذِينَ يُخْطِئُونَ وَبَخْهُمُ أَمَامَ الْجَمِيعِ لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ خَوْفٌ) واطلب منه أن يندم على فعلته مذكراً إياه بقول الكتاب (اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ. لِيَنْتَرِكَ الشَّرِيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلُ الْإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلِيَنْتَبِ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ)³.

(٣) تدعى الكنيسة لمقاطعة هذا الأخ المستمر في خطيئته (وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُطِيعُ كَلَامَنَا بِالرَّسَالَةِ، فَسِمُوا هَذَا وَلَا تُخَالِطُوهُ (ميزوه ولا تتعاملوا معه) لِكَيْ يَخْجَلَ، وَلَكِنْ لَا تَحْسِبُوهُ كَعَدُوٍّ، بَلْ أَنْذِرُوهُ كَأَخٍ).

١ - ١ تيموثاوس ٥ : ٢١.

٢ - ٢ كورنثوس ٨ : ٢١.

٣ - اشعيا ٥٥ : ٦-٧.

هذه الدرجة من التأديب لا تعني فرز المسيء من الكنيسة، فهذا مازال يُنظر إليه بصفته أخاً، لكن تعني أن التعامل معه يتم وكأنه غائب وذلك بدون مرارة أو عداوة.

وبما أن للعزلة تأثيراً قوياً على الخاطئ فربما يدفعه ذلك للتوبة، فإن حصل هذا الأمر تذكّر أن الرحمة تفتخر على الحكم، وبالتالي على الكنيسة أن تنهي المقاطعة.

إن هذه المقاطعة أو العزلة التي تجريها الكنيسة بحق الأخ المسيء ينبغي أن تكون محدودة بزمان ما، لأن الغاية منها إجراء تصحيح في حياة الأخ المسيء، فإن فشل هذا الأمر لن تبقى الكنيسة إلى مالا نهاية في هذا النوع من التأديب الذي لا يجدي نفعاً، بل ستتدرج مرتقية في تأديب أشد.

(٤) استبعاده من الشركة وتسليمه للشيطان. وهنا لابد من التوقف عند مثالين كتابيين، الأول مسلكي والثاني عقائدي.

المثال الأول مسلكي: (يُسْمَعُ مُطْلَقاً أَنْ بَيَّنْتُكُمْ زَنَى! وَزَنَى هَكَذَا لَا يُسَمَّى بَيْنَ الْأُمَمِ حَتَّى أَنْ تَكُونَ لِلْإِنْسَانِ امْرَأَةً أَبِيهِ. أَفَأَنْتُمْ مُنْتَفِحُونَ وَبِالْحَرِيِّ لَمْ تَتَوَخَّوْا حَتَّى يُرْفَعَ مِنْ وَسْطِكُمْ الَّذِي فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ؟ فَإِنِّي أَنَا كَأَنِّي غَائِبٌ بِالْجَسَدِ وَلَكِنْ حَاضِرٌ بِالرُّوحِ قَدْ حَكَمْتُ كَأَنِّي حَاضِرٌ فِي الَّذِي فَعَلَ هَذَا هَكَذَا بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ الْجَسَدِ لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. لَيْسَ افْتِخَارُكُمْ حَسَنًا. أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةَ صَغِيرَةً تَحْمُرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟ إِذَا نَقَّوْا مِنْكُمْ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لِأَنَّ فَصَحْنَا أَيْضاً الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا. إِذَا لِنُعَيِّدَ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ وَلَا بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الْإِخْلَاصِ وَالْحَقِّ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لَا تَخَالِطُوا الزُّنَاةَ. وَلَيْسَ مُطْلَقاً زُنَاةَ هَذَا الْعَالَمِ

أَوِ الطَّمَّاعِينَ أَوْ الْخَاطِفِينَ أَوْ عِبَدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَفِيلَرْمُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ
الْعَالَمِ. وَأَمَّا الْآنَ فَكَتَبْتُ إِلَيْكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ مَدْعُوًّا أَخًا زَانِيًا أَوْ طَمَّاعًا أَوْ
عَابِدَ وَثْنٍ أَوْ شَتَّامًا أَوْ سَكِيرًا أَوْ خَاطِفًا أَنْ لَا تُخَالِطُوا وَلَا تُؤَاكِلُوا مِثْلَ
هَذَا. لِأَنَّهُ مَاذَا لِي أَنْ أَدِينَ الَّذِينَ مِنْ خَارِجِ أَلْسِنَتُمْ أَنْتُمْ تَدِينُونَ الَّذِينَ مِنْ
دَاخِلٍ. أَمَّا الَّذِينَ مِنْ خَارِجِ فَاللَّهُ يَدِينُهُمْ. فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ^١

هنا يتناول الرسول بولس مسألة الإجراءات التأديبية التي يجب على
الكنيسة أن تلجأ إليها عندما يرتكب أحد المؤمنين خطية خطيرة ذات تأثير
علمي على الجميع، وغايته أن يؤكد على التأديب كمبدأ لعدم التسامح مع
الخطية التي تُعرض سلامة الكنيسة الروحية للخطر.

وأثناء تناوله لمسألة التأديب، يتحدث عن أحد المنتمين إلى شركة الكنيسة
قائلاً إنه قد ارتكب خطية لا أخلاقية إذ زنى بامرأة أبيه، وأنه ينبغي على
الكنيسة اتخاذ إجراء بحقه.

يقول الرسول بولس إن الأخبار قد شاعت أنه بينكم خطية زنى من النوع
الذي يَخلُج حتى الوثنيون أن يفعلوها، إنها خطية رجل قد زنى بامرأة
أبيه، أي مع امرأة هي بمقام والدته. وهذه المرأة على الأرجح غير مؤمنة
لأن الرسول لم يذكر أي إجراء تأديبي بخصوصها. وهذا يتماشى مع كون
الكنيسة بلا سلطان على الذين هم من خارج.

الأمر العجيب كان موقف الكنيسة من هذا الحدث، فبدل أن تتوح وتبكي
حتى يرفع الرب هذه الخطية من وسطها انتفخت وتباهت!!

^١ - ١ كورنثوس: ٥.

ربما تباغت بسبب وفرة المواهب الروحية فيها إلى حد أنها لم تأبه لهذه الخطية. أو أنها كانت تهتم بالعدد أكثر من النوع فتباغت بالكم الموجود لديها ولو أنه على حساب قداستها. بكل الأحوال الخطية لم تهزها.

على الكنيسة أن تفهم دائماً أن مجدها ليس في كثرة المواهب الموجودة لديها، ولا في بلاغة واعظيها، ولا في عدد أعضائها، لكن في نقاوة وقداسة أعضائها.

وبما أن الخطية إذا تُركت دون رادع يمكن أن تنتشر في كل الكنيسة مفسدة شهادتها، يأمر الرسول بولس أن تجتمع الكنيسة باسم الرب يسوع وتتخذ حكماً تأديبياً بحق المؤمن المخطئ فيها.

أما الحكم الصادر بحق هذا الزاني في كنيسة كورنثوس فكان (أَنْ يُسَلَّمَ مِثْلُ هَذَا لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ (ὁ ἁγίος) ^١ الجسد)، وطبعاً ليس المعنى هنا أن تجتمع الكنيسة وتصلّي للرب لكي يُفسح المجال للشيطان بالانقضاض عليه، لكن بكل بساطة أن يُعزل هذا الخاطئ المستمر في خطيئته والذي حَكَمَ على نفسه أنه منحرف عن طريق الإيمان القويم من شركة الكنيسة، ليجد نفسه تلقائياً تحت سطوة الشيطان الذي سينقض على جسده بالمرض والألم فيعطبه^٢.

^١ - تُقرأ (ol'-eth-ros) وهي تعني في الأصل اليوناني (خراب، هدم، عطب)

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G3639

^٢ - قارن ما قاله الرب عن شعبه في العهد القديم عندما شبهه بالكرمة التي حظيت بمحبة صاحبها (مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضاً لِكِرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَبَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنْباً صَنَعَ عِنْباً رَدِيئاً؟ فَالآنَ أَعْرِفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكِرْمِي) بسبب استمرار الشعب في الخطية. أَنْزَعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُذْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ (اشعيا ٥: ٤-٥).

ولأن (مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ كُفَّ عَنِ الْخَطِيئَةِ)^١ يستخدم الله المرض والألم لكسر قوة الشهوات والعادات الشريرة في حياة المؤمن لاقتياده للندم والتوبة، وبالتالي العودة لشركة الكنيسة. فإن عاد على الأخوة أن يمكننا له المحبة لنلا يُبتلع من الحزن المفرط.

في رسالة يعقوب نقرأ عن شخص وقع تحت المرض بسبب خطية، وهذه الخطية من النوع الذي ترك أثراً سلبياً في حياة الكنيسة، ويبدو في النهاية أن الأخ المخطئ قد تاب، فيطلب منه يعقوب أن يستدعي شيوخ الكنيسة للصلاة من أجله لكي يرفع الرب قصاصه عنه.

(أَمْرِيضُ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتِ بَرِيَّةٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلَاةُ الْإِيمَانِ تَشْفِي^٢ الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيئَةً تُغْفَرُ لَهُ)^٣.

ويبدو أن هذا التأديب فعال جداً إذ يقود الخاطئ لواحد من أمرين، الأول التوبة بعد مرض شديد، الثاني الموت نتيجة الإصرار على الخطية (مِنْ أَجْلِ هَذَا فَيَكُمُ كَثِيرُونَ ضَعَفَاءُ وَمَرْضَى وَكَثِيرُونَ يَرْقُدُونَ)^٤.

المثال الثاني عقائدي: (الرَّجُلُ الْمُبْتَدِعُ بَعْدَ الْإِنْذَارِ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ أَعْرِضْ عَنْهُ. عَالِمًا أَنَّ مِثْلَ هَذَا قَدْ انْحَرَفَ، وَهُوَ يُخْطِئُ مَحْكُومًا عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ)^٥.

١ - ١ بطرس ٤: ١.

٢ - إن إرادة الله لا تقتضي الشفاء بشكل دائم حتى مع توفر عنصر الإيمان (٢ تيموثاوس ٤: ٢٠ + ٢ كورنثوس ١٢: ٧-١٠ + ٣ يوحنا ٢)، لذلك وجب علينا أن نفهم الشفاء هنا كحالة خاصة من مرض مرتبط بالخطية لنلا نخرج عن روح الكتاب.

٣ - يعقوب ٥: ١٤-١٥.

٤ - ١ كورنثوس ١١: ٣٠.

٥ - تيطس ٣: ١٠-١١.

(اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ لِلَّهِ مُرَكَّبًا، عَامِلًا لَا يُخْزِي، مُفَصَّلًا كَلِمَةً الْحَقِّ
بِالِاسْتِقَامَةِ. وَأَمَّا الْأَقْوَالُ الْبَاطِلَةُ الدَّنَسَةُ فَاجْتَنِبْهَا، لِأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَكْثَرِ
فُجُورٍ، وَكَلِمَتُهُمْ تَرَعَى كَأَكْلَةٍ، الَّذِينَ مِنْهُمْ هِمِينَايُسُ وَفِيلِيئُسُ، الَّذِينَ زَاغَا
عَنِ الْحَقِّ، قَائِلِينَ: «إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ صَارَتْ» فَيَقْلِبَانِ إِيمَانَ قَوْمٍ)¹.

(وَلَكِ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ، الَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ انْكَسَرَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ مِنْ
جِهَةِ الْإِيمَانِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ هِمِينَايُسُ وَالْإِسْكَندَرُ، الَّذِينَ أَسْلَمَتْهُمَا
لِلشَّيْطَانِ لِكَيْ يُؤَدَّبَا حَتَّى لَا يُجَدَّفَا)².

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

¹ - ٢ تيموثاوس ٢: ١٥-١٨.

² - ١ تيموثاوس ١: ١٩-٢٠.

الباب الثامن

مسؤوليات الكنيسة

لقد اختار الله في مشيئته الأزلية أن تبقى الكنيسة في العالم لفترة من الزمن، وهذا ما أكدّه الرب يسوع المسيح في صلاته الشفاعية (لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ)^١.

وبلا شك فإن بقاء الكنيسة في عالم فاسد شرير، ولو لفترة مؤقتة هو مؤلم لها، لكن يبدو أن هذا البقاء ضروري لأنّ على الكنيسة مسؤولية عظيمة تتعلق بخلاص النفوس الهالكة، وبنیان النفوس المخلّصة. ولا بد للكنيسة أن تقوم بهذه المسؤولية.

عندما نتكلم عن مسؤوليات الكنيسة لا نقصد مسؤوليات الراعي، لكن نقصد مسؤولية الجماعة ككل، من أقدم الأعضاء إيماناً إلى أحدثهم، ومن أكبر الأعضاء عمراً إلى أصغرهم.

لذلك على الكنيسة أن تفهم إن مسؤوليتها في العالم هي امتياز، وليست فرض أو واجب ثقيل تسعى للتخلص منه بأسرع وقت. لقد ائتمنها الله على أمر لم يأت من عليه الملائكة، فعليها أن تفرح لأنه حسبها أهلاً لهذا الأمر، فتخدم بكل المحبة والنشاط، مدفوعة برغبة عارمة لإكرام الذي أحبها وبذل نفسه لأجلها.

^١ - يوحنا ١٧: ١٥.

الفصل الأول

النبشِير (خلاص النفوس)

(فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ.. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيَتْكُمْ بِهِ)¹

(وَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَابْعَثُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا)²

(وَأَمَّا هُمْ فَخَرَجُوا وَكَرَرُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالرَّبُّ يَعْمَلُ مَعَهُمْ وَيُثَبِّتُ الْكَلَامَ بِالْآيَاتِ التَّابِعَةِ. آمِينَ)³.

إن البشارة شأن قديم، فقبل أن يبدأها الإنسان بدأها الله مع الإنسان فقد قيل عن الله إنه (سَبَقَ فَبَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ فِيكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ الْأُمَمِ)⁴.

وعلى صفحات الكتاب المقدس في عهده القديم، نقرأ عن رجال الله الذين بشروا بشتى الأخبار التي حملوها من الله لأجل خلاص شعبهم.

أما في العهد الجديد فنقرأ عن الرب يسوع أنه (كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ)⁵، وقيل عنه بروح النبوة (رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ)⁶، ونقرأ عن الرسول بولس إن الرب قد أرسله ليبشر به بين الأمم⁷، وإنه قال عن نفسه (إِنَّ الضَّرُورَةَ مَوْضُوعَةً عَلَيَّ قَوْلِي لِي إِنْ كُنْتُ لَا أُبَشِّرُ)⁸.

¹ - متى ٢٨ : ١٩ - ٢٠.

² - مرقس ١٦ : ١٥.

³ - مرقس ١٦ : ٢٠.

⁴ - غلاطية ٣ : ٨.

⁵ - لوقا ٢٠ : ١.

⁶ - لوقا ٤ : ١٨.

⁷ - غلاطية ١ : ١٦.

⁸ - ١ كورنثوس ٩ : ١٦.

كما نقرأ عن المؤمنين في الكنيسة الأولى (فَالَّذِينَ تَشَتَّنُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ)^١.

إن البشارة السارة لا يجب أن تُحتبس في القلب وإلا فقدت أهميتها، وهذا ما أدركته الكنيسة، فحملت من الرب أجمل الأخبار لكل الشعوب.

ومع أن البشارة يجب أن تنطلق بشكل ذاتي من الإنسان لكنها بالحققة وبسبب تكاسله واعتياده على تمييع الأمور وإضاعة مغزاها، جاءت الأوامر من الرب داعية إياه لحمل الخبر الطيب إلى المحتاجين اليائسين.

لذلك دعيت هذه البشارة التي حملتها الكنيسة من الرب إلى كل الشعوب بالمأمورية العظمى. وهذه المأمورية ليست للرسول فقط لكنها للجميع، وعلى كل كنيسة أن تجد الطريقة المناسبة لتنفيذها.

البعض من الكنائس يعتقد أن وجود مكان للعبادة كافٍ لجذب الناس الخاطئة، بينما الوعظ فيما بعد يتكفل بتغيير حياتهم.

والبعض الآخر يعتقد أنه لا داعٍ للبشارة، لأن الله يعلم الذين له، ولا بد أنهم سيخلصون بطريق أو بآخر، وبالتالي لا داعٍ أن تُتعب الكنيسة نفسها بالبحث عن الخراف الضالة.

والبعض الآخر أخذ الأمر على محمل الجد، فشمر عن سواعده وخرج إلى الشوارع والأزقة باحثاً عن العميان والجدع والعرج والزناة والفجار. باحثاً عن اليائسين الذين يصارعون مع الظروف وآلام الحياة دون طائل. باحثاً عن كل من ليس له رجاء بحياة أفضل لكي يقدم لهم رسالة المسيح السارة، ولسان حالهم لو كنا جميعاً مشغولين بالنفوس الهالكة التي مات المسيح لأجلها وعملنا بكل جد واجتهاد لربحها، أما كانت الآن ممالك العالم لربنا ومسيحه.

^١ - أعمال ٨: ٤.

إن الكتاب المقدس يحتوي مثلاً صارخاً عن ضرورة الذهاب إلى العالم، وعدم التفاعس في نشر رسالة المسيح، أو إيجاد المبررات لنومنا على رسالة استلمناها من أناس خاطروا بحياتهم لدرجة الموت ليكون لنا حياة ويكون لنا أفضل.

هذا المثال هو الرسول بولس أعظم مبشر في زمانه بعد الرب يسوع المسيح. رجل لم يترك مناسبة إلا واستغلها ليقدم الرسالة للآخرين. في المجامع تكلم، في الشوارع تكلم، في المعابد الوثنية تكلم. حتى وهو في القيود والسلاسل أمام الحراس والولاة تكلم.

أعطيت له الفرصة مراراً ليدافع عن نفسه لكنه قال (لَسْتُ أَحْتَسِبُ لَشَيْءٍ وَلَا نَفْسِي ثَمِينَةً عِنْدِي حَتَّى أَتَمَّ بِفَرْحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ)¹. كل وقت بالنسبة له ليس وقتاً للراحة أو المنفعة الشخصية، لكنه وقت مقبول للكراسة والحديث عن الخلاص العتيد.

كان يكلم الآخرين بقوة لدرجة يظنون فيها أن مصيرهم الأبدي سيتقرر الآن. أغريباس الوالي أنصت له مندهشاً ثم قال (بَقَلِيلٍ تُفْنِعُنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا)².

فيلكس الأمير الطماع استدعاه ليأخذ منه رشوة³ ويطلق سراحه لكنه لم يدافع عن نفسه لنوال البراءة بل تكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون فأرعب الأمير وهو أمامه مقيداً بالسلاسل.

إنه رجل كسيده لا يعرف المواربة ولا المهادنة، رجل يدرك أن الفرص لا تتكرر، ووقته ليس بطويل، والمطلوب منه أن يعمل مادام نهار. وتحت هذه

١ - أعمال ٢٠: ٢٤.

٢ - أعمال ٢٦: ٢٨.

٣ - أعمال ٢٤: ٢٦.

القنطرة قطع آلاف الكيلومترات من أورشليم إلى روما، عاكفاً على الكرازة في وقت مناسب وغير مناسب.

تكلم عن نفسه واصفاً الآلام التي قاساها من أجل البشارة وخدمة الإنجيل فقال (مِنْ الْيَهُودِ خَمْسَ مَرَّاتٍ قَبِلْتُ أَرْبَعِينَ جَلْدَةً إِلَّا وَاحِدَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ضُرِيتُ بِالْعَصِيِّ. مَرَّةً رُجِمْتُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ انْكَسَرَتْ بِي السَّفِينَةُ. لَيْلاً وَنَهَاراً قَصَيْتُ فِي الْعُمُقِ. بِأَسْفَارٍ مَرَّاراً كَثِيرَةً. بِأَخْطَارٍ سُيُولٍ. بِأَخْطَارٍ لُصُوصٍ. بِأَخْطَارٍ مِنْ جِنْسِي. بِأَخْطَارٍ مِنَ الْأُمَمِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْمَدِينَةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. بِأَخْطَارٍ فِي الْبَحْرِ. بِأَخْطَارٍ مِنْ إِخْوَةٍ كَذَبَةٍ. فِي تَعَبٍ وَكَدٍّ. فِي أَسْهَارٍ مَرَّاراً كَثِيرَةً. فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ. فِي أَصْوَابٍ مَرَّاراً كَثِيرَةً. فِي بَرْدٍ وَغُرْيٍ. عَدَا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ: التَّراكُمُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. الْإِهْتِمَامُ بِجَمِيعِ الْكَنَائِسِ. مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لَا أَضْعُفُ؟ مَنْ يَغْتَرُّ وَأَنَا لَا أَلْتَهَبُ؟)¹، إنه كالطود الشامخ يقبل كل شيء بروح التحدي ولسان حاله (أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي)².

بولس مثال حي، كغيره من رجال الله الذين وضعوا عيونهم على الهدف وساروا في الطريق دون أن يوقفهم شيء، حتى لو كان هذا الشيء هو الموت، لأنه (وَأِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ).

إن الكتاب المقدس يحث كل كنيسة لتكون مرسلّة ويضع أمامها ثلاثة طرق للتبشير:

(١) بالاختبار: تكلم ببساطة وبدون أية إضافات أو تصنع، قل ماذا فعل الرب معك واترك الباقي لروح الله.

(٢) بالسلوك: عش بأمانة، فقط كما يحق لإنجيل المسيح.

١ - ٢ كورنثوس ١١: ٢٤ - ٢٩.

٢ - فيلبي ٤: ١٣.

(٣) بالإرشاد إلى الكنيسة: عندما التقى فيلبس بنثنائيل لم يعرف ماذا يقول له، كيف يكلمه، فقال له ببساطة (تعال وانظر)^١، ثم أخذه إلى حيث يوجد الرب.

وكل هذه الطرق تتم بالذهاب إلى الآخرين، وليس بانتظارهم للمجيء، لأن:

(١) هذا أمر الرب^٢

(٢) لأنه مطلوب أن يشهد كل فرد من الكنيسة عن عمل الرب في حياته^٣

(٣) لكي تغلب الكنيسة العالم، ورئيس هذا العالم^٤.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

^١ - يوحنا ١: ٤٦.

^٢ - متى ٢٨: ١٩-٢٠.

^٣ - ١ كورنثوس ٩: ١٦.

^٤ - رؤيا ١٢: ١١.

الفصل الثاني

التعليم (النمو في الإيمان والمعرفة)

(بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ:
الْمَسِيحُ)^١

(مُنْذِرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُخْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ
كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ)^٢.

(وَلَكِنْ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخْلِصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ)^٣
(يَتَّبِعُنِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ كَمَا يَحِقُّ، لِأَنَّ
إِيمَانَكُمْ يَنْمُو كَثِيرًا)^٤

(وَكَاظِفَالِ مَوْلُودِينَ الْآنَ اسْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشَّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ)^٥
إن كانت الكرازة مسؤولية الكنيسة تجاه الخطاة بغاية اقتيادهم للمسيح، فإن
التعليم يكون مسؤوليتها تجاه المُخلصين لبنيانهم في النعمة ومعرفة ابن الله.

وبينما نتحدث عن التعليم لابد أن نتذكر قبل كل شيء، إن الله هو المعلم
الصالح الذي ليس له مثيل، والذي تستقي منه الكنيسة تعليمها. إنه الذي (يعلم

١ - أفسس ٤: ١٥.

٢ - كولوسي ١: ٢٨.

٣ - ٢ بطرس ٣: ١٨.

٤ - ٢ تسالونيكي ١: ٣.

٥ - ١ بطرس ٢: ٢.

معرفة)، بل هو (الْمُؤَدَّبُ الْأَمَم... الْمُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ مَعْرِفَةً)^١، وقد قال عنه المرنم (طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي تُؤَدِّبُهُ يَا رَبُّ وَتُعَلِّمُهُ مِنْ شَرِيعَتِكَ)^٢.

هذه الحقيقة أكدها الرسول بولس عندما قال إنه يتكلم (لَا بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةً إِنْسَانِيَّةً بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ)^٣، وأكدها الرب يسوع المسيح عندما قال لتلاميذه عن الروح القدس إنه (يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ)^٤.

في العهد القديم وبعد أن أخذ موسى الشريعة من الرب علمها للشعب، وهكذا فعل الكهنة واللاويون، وكذلك الآباء إذ بدورهم علموا الأبناء على مدى الأيام.

بينما في العهد الجديد نجد الرسل الذين أخذوا تعليمهم من الرب يسوع المسيح، يواصلون الكرازة بعد يوم الخمسين (كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي الْبُيُوتِ مُعَلِّمِينَ وَمُبَشِّرِينَ بِيسُوعَ الْمَسِيحِ)^٥.

إن تعليم كلمة الله أمر إلهي ينبغي أن تسير عليه كنيسة المسيح في كل زمان ومكان إذ هو حاجتها للنمو، وللتخلص بذات الوقت من كل التقاليد الاجتماعية الموروثة والمناقضة لكلمة الله. وهذا التعليم يبدو أنه يختلف من كنيسة لكنيسة بحسب القدم، فبينما الكنيسة الحديثة العهد تحتاج أن تُقدم لأبنائها ألف باء الإيمان، أي اللبن العقلي العديم الغش المناسب لأطفالها، تحتاج الكنائس القديمة العهد، أن تقدم الطعام الدسم للبالغين من أعضائها.

ولأن التعليم المنظم من كلمة الله، والمُقَدَّم للخطاة المتجددين حديثاً، يستطيع على الأرجح خلال ستة أشهر أن يرفع الأعضاء من مستوى الأطفال لمستوى البالغين، على الكنيسة أن ترفع من مستوى تعليمها بمرور الوقت، وهي تدرك

١ - مزمو ٩٤: ١٠.

٢ - مزمو ٩٤: ١٢.

٣ - ١ كورنثوس ٢: ١٣.

٤ - يوحنا ١٤: ٢٦.

٥ - أعمال ٥: ٤٢.

باستمرار أن هذا التعليم مع كونه أعلى من مستوى الرعاية لكن يجب ألا يفصلها عنهم.

من أجل ذلك ينبغي على كل كنيسة أن تتفهم احتياجات رعيته التعليمية، ليضع شيوخها الخطط والبرامج التي تغطي هذه الحاجة.

أما الشيوخ الذين يُعلّمون كلمة الرب فعليهم أن يتذكروا أمرين:

أولاً- إن المعلم ينبغي أن يكون في مستوى تعليمي أرفع من التلميذ، مما يرتب عليهم دراسة الكلمة والبقاء بجوارها لئلا يفقدوا احترام الرعاية.

ثانياً- عليهم أن يدركوا بأن الرعاية وإن كانت تحتاج للتعليم، لكنها تحتاج بشكل أكبر للمثال، مما يرتب عليهم مسؤولية كبرى، مسؤولية التدقيق في حياتهم، والعيش كسيدهم الذي قيل فيه (جَمِيعُ مَا ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَفْعَلُهُ وَيُعَلِّمُ بِهِ)^١.

إن الكتاب المقدس يضع التحديات أمام الجميع معلمين ومتعلمين، عندما يدعونا للنمو في النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح، أي يدعونا للارتقاء من حالة إلى حالة.

إنه يقدم التعاليم التي ترفع الإنسان إلى مستوى عالٍ جداً، بحيث أنه إن نظر إلى نفسه من هذا المستوى، أدرك أن كل آماله ورغباته في العالم لم تكن أكثر من نفاية، وأنه الآن مدعو لتغيير كل قناعاته القديمة التي حسبها نفاية ليخسرها ويربح المسيح، ويعيش في طريقه.

(لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرِيحَ الْمَسِيحِ)^٢

١ - أعمال ١: ١.

٢ - فيلبي ٣: ٧-٨.

إن الكتاب المقدس هو كتاب أهداف، والهدف الأعظم فيه أن يجعل المؤمن على صورة المسيح، لذلك هو يحث المؤمن بشكل متكرر للنمو نحو تلك الصورة. والكنيسة التي لا تفهم هذه الحقيقة وتُعلمها، هي كنيسة معاقة في نموها، إنها تنمو في صفات وتتقزم في أخرى لتقدم في النهاية صورة مشوهة عن المسيح. إذاً ليس كل نمو هو نمو طبيعي، النمو الطبيعي هو الذي يُظهر فينا صورة طبيعية للمسيح الكامل في القداسة، الكامل في المحبة، الكامل في التواضع، الكامل في العطاء، بل الكامل في كل شيء.

فالتعاليم المنقوصة تجعل الكنيسة مقتربة في إحدى الصفات من صورة المسيح ومبتعدة في الأخرى. في القداسة مثلاً نراها متشبّهة بالمسيح بينما في العطاء ما أشحها، في اللطف والمحبة ما أروعها بينما في العفة ما أتعسها. كل كنيسة لا تنمو، أي لا تعيش حياة المثابرة والاجتهاد هي كنيسة كسولة، لأن الكتاب المقدس يمنعنا من التوقف حيث نحن، بل يلح علينا لنتقدم يوماً بعد آخر في طريق مشابهة المسيح.

تقول أنا بار لتجد لنفسك العذر للكسل ولكن كلمة الله تقول (مَنْ هُوَ بَارٌ فَلْيَتَبَرَّرْ بَعْدُ)^١ تقول أنا مُقَدَّس لتجد عذراً لكسلك ولكن الكلمة تقول (مَنْ هُوَ مُقَدَّسٌ فَلْيَتَقَدَّسْ بَعْدُ)^٢.

بولس الرسول يكتب لنا اختباره في هذا المجال فيقول (لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطِنُ وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلَكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ).^٣، إنه نمو متكامل (نَنُمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ

١ - رؤيا ٢٢: ١١.

٢ - رؤيا ٢٢: ١١.

٣ - ١ كورنثوس ١٣: ١١.

المسيح^١. (إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان
كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح)^٢.

إن التعليم من كلمة الله هو رسالة الكنيسة ومسؤوليتها أمام الخطاة والمؤمنين،
فبينما الكلمة تقود الخاطئ إلى المسيح، نراها تقود المؤمن إلى التشبه به. إنها
باختصار المقياس الذي يجعل الإنسان يدرك أين هو من المسيح.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

١ - أفسس ٤: ١٥.

٢ - أفسس ٤: ١٣.

الفصل الثالث

الشركة (قبول الآخر)

(الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضاً شَرِكَةً مَعَنَا)¹.

(أَمِينٌ هُوَ اللَّهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا)².

الشركة هي قبول الآخر والاشتراك معه بشيء. وشركة المسيحي هي أولاً مع الله³، ثم مع غيره من المؤمنين⁴.

وتتجلى شركة المؤمن مع غيره من المؤمنين بعدة أمور أهمها:

١. عشاء الرب

٢. العضوية في الكنيسة

٣. العطاء

٤. الأفراح والآلام (إِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ.

وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكْرَمُ فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ)⁵

٥. الاحتياجات (وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ

مُشْتَرَكاً)⁶. (إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ مُحْتَاجاً لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ كَانُوا أَصْحَابَ

¹ - ١ يوحنا ١: ٣.

² - ١ كورنثوس ١: ٩.

³ - ١ يوحنا ١: ٦.

⁴ - ١ يوحنا ١: ٧.

⁵ - ١ كورنثوس ١٢: ٢٦.

⁶ - أعمال ٢: ٤٤.

حُقُولٍ أَوْ بُيُوتٍ كَانُوا يَبِيعُونَهَا^١ وَيَأْتُونَ بِأَثْمَانِ الْمَبِيعَاتِ وَيَضَعُونَهَا عِنْدَ
أَرْجْلِ الرُّسُلِ فَكَانَ يُوزَعُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ كَمَا يَكُونُ لَهُ احْتِيَاجٌ^٢.

أَنْ تَقْبَلَ الْآخِرَ هَذَا لَيْسَ أَمْرًا سَهْلًا، فَنَحْنُ قَدْ وَرَثْنَا كَمَا كَبِيرًا مِنَ التَّعَارِيفِ
وَالْعَقَائِدِ الْمُرْتَبِطَةِ بِأَخْلَاقِيَّاتِ مَجْتَمَعَاتِنَا، وَهَذِهِ التَّعَارِيفُ هِيَ الَّتِي تَحَدِّدُ لَنَا مِنْ هُوَ
الْمَقْبُولِ وَمِنْ هُوَ الْمَرْفُوضِ. وَمِنَ الْمُؤَسَفِ أَنْ قِسْمًا كَبِيرًا مِنْ هَذِهِ التَّعَارِيفِ لَا
تَخْضَعُ لِلْمَنْطِقِ، وَفِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ قَدْ تَوَثَّرَ سَلْبًا عَلَى أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ الْوَاحِدَةِ إِذْ تَفْرُقُ
الْأَشْقَاءُ وَتَزْرَعُ الْعَدَاوَةَ وَالْخُصُومَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ.

إِضَافَةً إِلَى الْمَوْرُوثِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ يَبْقَى هُنَاكَ التَّبَايُنُ الْفِكْرِيُّ، وَهُوَ الْأَشَدُّ عَلَى
صَعِيدِ رَفْضِ الْآخِرِ. فَبَيْنَمَا يُفْتَرَضُ أَنْ نَخْتَلِفَ دُونَ خِلَافٍ، نَجِدُ أَنَّ كُلَّ اخْتِلَافٍ
فِكْرِيٍّ يَقُودُ إِلَى خِلَافٍ.

لَوْ حَاوَلْنَا أَنْ نَعْدِدَ الْاِخْتِلَافَاتِ الْمَوْجُودَةَ بَيْنَ النَّاسِ لَمَا اسْتَطَعْنَا حَصْرَهَا،
وَالْمُؤَسَفُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَكْفِي لِإِقَامَةِ حَالَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الْعَدَاءِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ الَّتِي تَقِيمُ حَالَةَ عَدَاءٍ وَخُصُومَةٍ بَيْنَ النَّاسِ، إِضَافَةً
لِلتَّبَايُنِ الْفِكْرِيِّ، هُنَاكَ الْفَرْقُ الْعِرْقِيُّ، وَالِدِينِيُّ، وَالطَّبَقِيُّ، وَاللَّوْنُ، وَالثَّقَافَةُ الْخ.

وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ الْحُلُولِ لِحِزْمٍ مِنْ هَذِهِ الْفُرُوقَاتِ لَكِنْ يَبْقَى الْجِزْمُ الْأَكْبَرُ
مِنْهَا دُونَ حُلٍّ، وَكَمْثَالٍ عَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ الْحُلَّ لِلْخِلَافَاتِ الْفِكْرِيَّةِ يَتِمُّ إِمَّا بِتَخْلِيٍّ أَحَدٍ

^١ - لَا يَوْجَدُ وَصِيَّةٌ بِهَذَا الشَّأْنِ، وَعَلَى الْأَرْجَحِ أَنَّ مَا فَعَلُوهُ كَانَ يَعْكُسُ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الَّتِي
انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِهِمْ تَجَاهَ إِخْوَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ رَفَضُوا مِنَ الْعَائِلَةِ وَالْمَجْمَعِ وَالْمَجْتَمَعِ،
وَصَارُوا فِي ضَائِقَةٍ مَادِيَّةٍ كَبِيرَةٍ. قَارِنِ قَوْلَ بَطْرُسَ لِيُوحَنَّا الَّذِي بَاعَ حَقْلَهُ (فَقَالَ بَطْرُسُ:
يَا حَنَانِيًّا لِمَاذَا مَلَأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟
أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَنْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بَاعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ)

^٢ - أَعْمَالُ ٤: ٣٤-٣٥.

الطرفين عن فكره وتبني فكر الآخر أو بتخلي الطرفين عن أفكارهما وتبني فكراً ثالثاً مشتركاً.

أما الحل للخلافات العرقية التي تولد التمييز العنصري، فهو يكاد يكون مستحيلاً، ناهيك عن كونه يحتاج لعشرات الأجيال، أي لمئات السنين من المعالجة، وفي النهاية قد ينجح وقد لا ينجح.

إن رفض الآخر يتجلى بعدة أمور منها:

(١) الاحتقار.

(٢) رفض تقديم العون في وقت الضيق.

(٣) قطع مورد الرزق.

(٤) الطرد من دائرة العائلة.

وبلا شك فإن هذا الرفض يقود المرفوض إلى الوحدة، والشعور بصغر النفس (الدونية)، وإلى الكآبة المرتبطة بالحزن، وفي النهاية تتولد الكراهية التي تقود إلى البغض أو إلى القتل.

إن الكتاب المقدس هو البشارة السارة التي تقدم الحل لكل المختلفين، إذ خبرنا إنه مهما كانت حالة العداء بين الناس فإن صليب المسيح هو الطريقة الوحيدة والناجحة لمعالجة هذا الرفض والعداء، واستبداله بالمحبة والسلام.

(وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، أَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ صِرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ هُوَ سَلَامُنَا، الَّذِي جَعَلَ الْإِثْنَيْنِ (يهوداً وأمماً) وَاحِداً، وَنَقَضَ حَائِطَ السِّيَاحِ الْمُتَوَسَّطَ (ما يفصل بينهما) أَيْ الْعَدَاوَةَ. مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضِ (الناموس الطقسي الذي فرق اليهودي عن الأممي)^١، لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ

^١ - قارن (أعمال ١٠: ٩-١٧، ٢٨).

إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا، صَانِعًا سَلَامًا، وَيُصَالِحَ الْإِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ
بِالصَّلَيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ بِهِ. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلَامٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ. لِأَنَّ بِهِ لَنَا
كَلِمَةً قَدُومًا فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الْآبِ. فَلَسْتُمْ إِذَا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ
الْقَدِيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللَّهِ^١

في هذا المقطع نجد اليهودي والأممي في حالة عداء مطلقة، فالواحد لا يقبل
الآخر. لكن إيمان كليهما في المسيح جعلهما واحداً، مزيلاً العداءة ومعطياً إياهم
القبول والشركة.

إن هذه الوحدة لا تعني أن اليهودي صار أممياً، أو الأممي صار يهودياً، لكن
تعني أن كليهما صارا مسيحيين، أي أعضاء في كنيسة المسيح التي هي جسده.
إنهم الآن جميعاً أهل بيت الله ورعية مع القديسين، (إِذَا إِنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي
الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ
جَدِيدًا).^٢

وهكذا انتفى التباين الفكري الذي يقود للعداء، وحل مكانه فكراً جديداً هو فكر
المسيح الذي يرفع الإنسان من الأرضيات للسماويات. وانتفى التباين الطبقي إذ
صار الجميع أهل بيت الله. وانتفى التباين العنصري، إذ أدرك الجميع أن لهم
أصلاً واحداً الآن هو الأصل السماوي. وانتفى التباين الديني، إذ تَخَلَّصَ الجميع
من الطقوس التي تُفَرِّقُ، ليشتركوا بالحياة التي تَجْمَعُ، أي بالمسيح (باعتبار
المسيحية حياة وليست دين).

وكمثال على ذلك يكتب الرسول بولس رسالة إلى فيلمون وهو رجل غني يملك
عبداً اسمه أنسيمس، كان قد هرب من سيده والتقى ببولس في السجن، فما كان

١ - أفسس ٢: ١٣-١٩.

٢ - ٢كورنثوس ٥: ١٧.

من هذا الأخير إلا أن بشره بالمسح قبله، يقول بولس لفيلمون إثر ذلك (أطلبُ إِلَيْكَ لِأَجْلِ ابْنِي أَنْسِيمَسَ، الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قَيْودِي، الَّذِي كَانَ قَبْلًا غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي، الَّذِي رَدَدْتُهُ. فَاقْبَلْهُ، الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ لِي.... لِأَنَّهُ رُبَّمَا لِأَجْلِ هَذَا افْتَرَقَ عَنْكَ إِلَى سَاعَةٍ، لَكِي يَكُونَ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ، لَا كَعَبْدٍ فِي مَا بَعْدُ، بَلْ أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ: أَخًا مَحْبُوبًا، وَلَا سَيِّمًا إِلَيَّ. فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِلَيْكَ فِي الْجَسَدِ وَالرَّبِّ جَمِيعًا! فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكًا فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي).^١

ما أعظم هذه النعمة التي أذابت كل التباينات، وجعلت من العبد أخًا للسيد، ومن اليهودي أخًا للأُممي. حقاً كما هو مكتوب (شَاكِرِينَ الْآبَ الَّذِي أَهْلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقَدِيسِينَ فِي النُّورِ).^٢

في سفر الأعمال نقرأ أمراً مهماً عن الكنيسة في أنطاكية حيث يُذكر فيها أسماء أنبياء ومعلمون (بَرْنَابَا وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِجَرَ (Níger)^٣ وَلُوكْيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ وَمَنَّاوِيْنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ وَشَاوُلُ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدُمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: «أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ». فَصَامُوا حِينَئِذٍ وَصَلُّوا وَوَضَعُوا عَلَيْهِمَا الْيَدَيَّ ثُمَّ أَطْلَقُوهُمَا).^٤

لاحظ هنا كيف يحتل سمعان الزنجي مكانة رئيسية ومنزلة مكرّمة بين (الأنبياء والمعلمين)، ولاحظ أنه قد وضع يديه على بولس وبرنابا لما انطلقا للكراسة بالإنجيل إلى أوربا. ولاحظ أنه ذكر قبل (مناين) الذي تربى مع هيرودس، أي الشخص الذي كان أخاً للملك هيرودس بالتربية. أليس هذا أمراً عجباً عاشته

^١ - فيلمون

^٢ - كولوسي ١: ١٢.

^٣ - تقرأ (Niger)، وتعني في الأصل اليوناني (الأسود، الزنجي).

Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G3526

^٤ - أعمال ١٣: ١-٣.

الكنيسة منذ بداية انطلاقتها حيث لم تميز بين الأبيض والأسود (عنصرياً) أو بين العال والدون (طبقياً)، كون الجميع قد اشتراهم المسيح بذات الثمن.

إن إعطاء سمعان الزنجي هذه المكانة العالية بين الأنبياء والمعلمين، لم يكن من اختراع الأخوة في كنيسة أنطاكية، بل كان أولاً نتاج عمل روح الرب الذي أمر فيلبس^١ أن يلحق بمركبة رجل حبشي ناقلاً إليه الأخبار السارة ليصير عضواً في كنيسة المسيح.

لقد أدركت الكنيسة مسؤوليتها أمام الناس، فبشرتهم بالمسيح الذي يجعل المتخاصمين واحداً باعتبارهم الآن خليفة جديدة في المسيح، أي أهل بيت الله، وذلك بغض النظر عن كل الفروقات القديمة بينهم.

ثم قدمت لهم النموذج الذي ينبغي أن يعيشوه، مُظهرة به السلام والقبول الذي يجمع المؤمنين بالمسيح. (وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عَنْدهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَالْأَمْلاكُ وَالْمُقْتَنِيَّاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احتِياجٌ^٢. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الخُبْزَ فِي النُّبُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةٍ قَلْبٍ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ)^٣.

١ - أعمال ٨: ٢٧.

٢ - قارن (فَحَتَمَ التَّلَامِيذُ حَسْبَمَا تيسَّرَ لِكُلِّ مِنْهُمْ أَنْ يُرْسَلَ كُلُّ وَاحِدٍ شَيْئاً خِدْمَةً إِلَى الإِخْوَةِ السَّاكِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ) أعمال ١١: ٢٩. يبدو أنه لم يكن هناك من حدود بين الماديات والروحيات، فالحياة بنظر المؤمنين كانت واحدة، لذلك اشتروا في كل شيء.

٣ - أعمال ٢: ٤٤-٤٧.

الفصل الرابع

الشفاعة

(مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلْبَةٍ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بَعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَظَّاتَةٍ وَطَلْبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِّيسِينَ)^١.

إن الشفاعة^٢ هي الصلاة من أجل الآخرين، وتعني ضمناً التوسل أو التضرع لأجلهم، وهي تأتي من شخص ذو أهلية أي لديه استحقاق ما.

وعادة ما يكون الشفيع مدركاً حاجة الآخر إلى صلاته، فيصلي بعواطف قوية، ساكباً قلبه أمام الرب وكأن مشكلة الآخر مشكلته.

لقد صلى إبراهيم من أجل سدوم شافعاً فيها، ورغم أنه صلى بعواطف قوية بسبب وجود لوط فيها، لكن صلاته لم تستجب^٣. بينما عندما صلى من أجل أبيمالك شافعاً فيه أجيبَت صلاته.

ولقد صلى موسى من أجل شعبه الذي ضرب بنار الرب التي اشتعلت في طرف المحلة، فاستجاب^٤ الرب شفاعته وأوقف ناره. لكن عندما صلى شافعاً بأخته مريم لم تستجب صلاته^٥.

ولقد صلى أرميا من أجل شعبه شافعاً فيهم، لكن الرب قال له (لَا تُصَلِّ لِأَجْلِ هَذَا الشَّعْبِ لِلْخَيْرِ)^٦.

ونقرأ في العهد الجديد بعداً أعمق للصلاة الشفاعية، فهي هو الرب يسوع

^١ - أفسس ٦: ١٨.

^٢ - هذا التعريف لا ينطبق على شفاعة المسيح، أو شفاعة الروح القدس بالمؤمنين.

^٣ - تكوين ١٨: ٢٣-٣٣.

^٤ - عدد ١١: ٢-٣.

^٥ - عدد ١٢: ١٤.

^٦ - أرميا ١٤: ١١.

المسيح يُعَلِّم تلاميذه أن يصلوا (لأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ)^١. فإن كان هذا حالهم مع المسيئين، فكم بالحري يكون مع الأحباء.

وهذا ما فعلته الكنيسة على مر الأيام، فاستفانوس يشفع بقاتليه طالباً الصفح عنهم^٢. والكنيسة تصلي بلجاجة شافعة ببطرس فتستجب^٣ صلاتها، بينما صلت بلا شك من أجل يعقوب الرسول لكن دون استجابة إذ قُتِل في سجنه^٤.

والكتاب المقدس يخبرنا عن صلوات كثيرة رفعها الرسل من أجل الكنائس^٥، أو من أجل الأفراد^٦، أو من أجل بني جنسهم^٧. بل بالحري يخبرنا أن المؤمنين عليهم أن يصلوا (لأَجْلِ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ)^٨، و (لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ)^٩.

إن ما يجب ملاحظته في كل هذه الصلوات الشفاعية المرفوعة للآب السماوي أمرين:

(١) هي صلوات أحياء من أجل الأحياء.

(٢) هي صلوات ذات أغراض متنوعة (إنقاذ، شفاء)، وليس بالضرورة أن تُستجاب جميعها.

١ - متى ٥ : ٤٤.

٢ - أعمال ٧ : ٦٠.

٣ - أعمال ١٢ : ٥.

٤ - أعمال ١٢ : ٢.

٥ - رومية ١ : ٩ + أفسس ١ : ١٦ + ١ تسالونيكي ١ : ٢..الخ.

٦ - ٢ تيموثاوس ١ : ٣ + فيلمون ٤.

٧ - رومية ١٠ : ١.

٨ - أفسس ٦ : ١٨.

٩ - ١ تيموثاوس ٢ : ٢.

الفصل الخامس

كسر القيود (طرد الأرواح الشريرة)

(إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ... فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْإِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أحراراً)^١

(...حَلَلْتُ فَيُودِي فَلَكَ أَذْبَحُ ذَبِيحَةَ حَمْدٍ...)^٢

نقسم القيود إلى نوعين:

الأول، يتمثل بالعوادات الاجتماعية البالية، والتي تبقى مسيطرة على المؤمنين المولودين حديثاً. وهذه يتم التحرر منها بالمداومة على التعاليم الكتابية والصلاة.

الثاني، يتمثل بأفكار وأعمال إبليس، وهذه ترافق المؤمن طيلة فترة حياته على الأرض. وهنا يأتي دور الكنيسة في كسر القيود التي يضعها هذا العدو على أعضائها.

إن الشيطان بالنسبة للمؤمن هو الكائن الوحيد الذي يدعى عدواً^٣ أو خصماً^٤، والذي تجب محاربته بدون هوادة. ويطلق عليه الكتاب المقدس أسماء متعددة لتبيان طبيعة عمله، منها «أَبُولْيُون» الذي يعني المدمر أو المهلك^٥، والمضل^٦، والشرير^٧، وأبو الكذاب^٨، وإله هذا الدهر^٩، ورئيس سلطان

١ - يوحنا ٨: ٣٤-٣٦.

٢ - مزمور ١١٦: ١٦-١٧.

٣ - متى ١٣: ٢٨.

٤ - بطرس ٥: ٨.

٥ - Strong's Hebrew and Greek Dictionaries G623

٦ - رؤيا ١٢: ٩.

٧ - متى ١٣: ٣٨، ١٩.

٨ - يوحنا ٨: ٤٤.

٩ - ٢ كورنثوس ٤: ٤.

الهواء^١، ورئيس هذا العالم^٢، والمجرب^٣، والروح الذي يعمل في أبناء المعصية^٤.
إن إبليس كما يصفه الكتاب المقدس هو الكائن الذي يحكم هذا العالم
الفاقد الذي تتمثل مبادئه بالجشع، والأنانية، والبغض، والزنا، والقتل، ومحبة
المال مع المناققة في تجارته، الخ..

إضافة لذلك فإن الشيطان يرأس^٥ مجموعة كبيرة من الملائكة الساقطين
المنظمين جيداً، والذين يأتمرون بأمره، ويدعون ملائكته^٦، وهم مشغولون بشكل
دائم في صراع لا ينقطع ضد الله وشعبه.

ويستخدم الشيطان في صراعه ضد الناس عدة أمور، منها:

- (١) محدوديتهم وضعفهم كبشر.
- (٢) مجموعة كبيرة من أساليب الخداع والكذب.
- (٣) الخطية وما في العالم من أمور براقة.
- (٤) إبعادهم عن الإنجيل بعمى أذهانهم^٧.
- (٥) خداعهم بتغيير شكله إلى شبه ملاك نور، وكذلك بجعل خدامه
في شكل خدام البر^٨.

١ - أفسس ٢: ٢. وربما في هذا إشارة لكونه يرأس جيشاً من الملائكة الساقطين.

٢ - يوحنا ١٢: ٣١. أي نظام العالم القائم على مبادئ وأساليب شريرة.

٣ - متى ٤: ٣. وهذا إشارة إلى سعيه الدائم لإسقاط الناس في الخطية.

٤ - أفسس ٢: ٢.

٥ - متى ١٢: ٢٦.

٦ - متى ٢٥: ٤١.

٧ - ٢ كورنثوس ٤: ٣.

٨ - ٢ كورنثوس ١١: ١٣-١٥.

ومع الأسف فإن الشيطان استطاع أن يربح عدداً كبيراً من الجولات أيضاً في صراعه ضد المؤمنين، وفي كل انتصار يفرض قيداً ما على حياتهم، ومن هذه القيود الغضب، صغر النفس (الدونية)، الحسد، تعاليم مضلة، الكذب، الكبرياء، البغض..الخ.

لذلك على الكنيسة مسؤولية كبيرة تجاه المؤمنين، وهذه المسؤولية تتجلى بنقض أعمال إبليس في حياة أبنائها، أو بتعبير آخر بكسر القيود التي وضعها عليهم. وهذا الأمر يتم بتذكيرهم دائماً بالوعد المعطى لهم (وَاللهُ السَّلَامُ سَيَسْحَقُ الشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعاً).^١، وإنهم مدعوون ليس للهرب منه، بل لمقاومته (قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْزُبَ مِنْكُمْ).^٢ ومع أنه عدو قوي ماهر لكن عليهم أن لا يعطوه فرصة ليدخل الخطية إلى حياتهم، بل

بالحري أن يقاوموه (رَاسِخِينَ فِي الْإِيمَانِ)^٣ وهم لا يجهلون أفكاره^٤. وعليهم أيضاً أن يكونوا مستعدين دائماً بارتداء سلاح الله الكامل^٥، والصلاة لأجل نفوسهم ولأجل جميع القديسين.

وإن سقطوا في خطية ما، فعليهم المسارعة للرب للاعتراف بها، لأن (كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ)^٦، وإن (حَرَّرَكُمُ الْإِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً).

^١ - رومية ١٦ : ٢٠.

^٢ - يعقوب ٤ : ٧.

^٣ - ١ بطرس ٥ : ٩.

^٤ - ٢ كورنثوس ٢ : ١١.

^٥ - أف ٦ : ١٣ - ١٧.

^٦ - يوحنا ٨ : ٣٤.

الفصل السادس

تمجيد الله

لكل عمل غاية، فلا أحد يُقبل مُضحياً على أمر ما إن لم يكن في ذهنه هدف أو غاية. كذلك العابد الذي يضحي معطياً نفسه وماله ووقته للرب بلا شك لديه هدف، وهو يسعى إليه أثناء سياحته في هذا العالم.

ومن العجيب أن هدف العابد ليس من تصميمه، لكنه مطلبٌ إلهي، فالإنسان الذي تجدد بالولادة الثانية، وصار شريكاً للطبيعة الإلهية، حُمِّلَ في داخله، وبشكل تلقائي، دعوة للتشبه بالمسيح الذي مَجَّد الآب السماوي^١ على الأرض.

فغاية العابد هي كغاية المسيح، أي تمجيد الله، وهذه الغاية تتم بشكل صحيح ومتسارع كلما كان العابد أكثر طاعة للآب السماوي، بينما تمرد العابد يعني ضرورة تدخل الآب السماوي بالتأديب لتنظيم الغاية.

إذاً الهدف مشترك، والعمل مشترك، إنه إلهي إنساني، وهذا مايجب أن تدركه كل كنيسة وتسعى في أثره باعتباره مسؤوليتها، لذلك عليها أن تراقب كل أعمالها وخدماتها ومواهبها وتتساءل هل هي لمجد الله أم لغاية أخرى.

لماذا البناء الفخم، لماذا الأثاث الفخم، لماذا الترقيم بهذه الطريقة، لماذا السعي وراء المواهب بل لماذا نمارسها، ما غاية الوعظ ولمن تأتي النفوس الضالة، لماذا نتساهل في هذا الأمر ولماذا نتشدد في ذاك الأمر، لماذا نقبل فلان في عضوية الكنيسة ولماذا نرفض فلان، لماذا نُكثر أو نقلل من المعمودية، لماذا الوحدة أو الانفصال بين الكناس.

هذه وغيرها أسئلة تُطرح على الأحياء رعاة وشيوخ الكنائس ليس لقراءتها، لكن للإجابة عليها، لنذكر في النهاية كم نحن بعيدون أو قريبون من الغاية التي هي مجد الله.

^١ - (أَنَا مَجِّدْتُكَ عَلَى الْأَرْضِ) يوحنا ١٧: ٤.

الفصل السابع

تدريب قادة لحمل الرسالة

(وَمَا سَمِعْتُهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدَعُهُ أَنَسًا أَمْنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا)¹.

كان الرب يسوع المسيح يدرك العمل الذي جاء لأجله، ومن البداية أعدّ للنهاية. إن ثلاث سنوات ونصف غير كافية لتغيير العالم بأية رسالة، لذلك اختار اثني عشر تلميذاً، وأعدهم إعداداً جيداً، ليكونوا هم من يحمل الرسالة بعد مغادرته هذا العالم. فباركهم وأطلقهم قائلاً (اذهبوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَابْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا)².

إن ثلاث سنوات من التدريب المتواصل والاختبارات المتتالية، جعلت من هؤلاء الجليليين المغمورين بمعونة الرب رجالاً غيروا وجه العالم.

لذلك على كل الكنائس الصغيرة أو الكبيرة أن تدرك، إن استمرارية رسالتها تتعلق بمقدار ما تبذله من جهد في تدريب وإعداد أناس أمناء (يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا).

وإن هذا التدريب لا يعني أن يكون التلميذ نسخة من المعلم، فداود لا يستطيع أن يحارب بثياب شاول، لكن يوحنا المعمدان يستطيع أن يكرز بروح إيليا.

لقد تدرب يشوع على يد موسى، ومات موسى، لكن الرسالة استمرت من خلال يشوع. لم يخشَ موسى من منافسة يشوع، ولم يخشَ يشوع شهرة موسى، لأن كليهما في النهاية عبدٌ لسيد واحد، هو الرب.

¹ - ٢ تيموثاوس ٢: ٢.

² - مرقس ١٦: ١٥.

وهذا ما حصل فيما بعد مع بولس الرسول الذي تلمذَ تيموثاوس وأمره قائلاً
(وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعَهُ أَنَسَا أَمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا
آخَرِينَ أَيْضاً).

رسالة المسيح ليست لجيل واحد، ولو كانت كذلك ما وصلت إلينا، فهيئ منذ
الآن من يتابع حمل الرسالة، بحضورك أو بوفاتك.

**ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب
الإشارة إلى موضع الاقتباس**

الباب التاسع

الكنيسة والعالم (κόσμος)^١

وردت في الأصل اليوناني كلمة (Kosmos) مع مشتقاتها بعدة معانٍ:

- ١- (فِيأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغاً مَكْنُوساً مُزِيناً ΚΕΚΟΣΜΗΜΕΝΟΝ)^٢
- ٢- (فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ ΕΚΟΣΜΗΣΑΝ مَصَابِيحَهُنَّ)^٣.
- ٣- (تُنَكَّرُ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ ΚΟΣΜΙΚΑΣ)^٤
- ٤- (النِّسَاءُ يُزَيِّنُ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحَشَمَةِ ΚΟΣΜΩ)^٥
- ٥- (وَلَا تَكُنْ زِينَتُكَ الزَّيْنَةَ ΚΟΣΜΟΣ الْخَارِجِيَّةَ)^٦
- ٦- (وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ ΚΟΣΜΟΥ وَمَجْدَهَا)^٧، وكلمة العالم قد تعني:
(١) الأمور المادية، أو الأرض (الِإِلَهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ)^٨.
- (٢) سكان الأرض الخطاة (لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ)^٩.

١ - تُقْرَأُ (Kosmos).

٢ - متى ١٢ : ٤٤.

٣ - متى ٢٥ : ٧.

٤ - تيطس ٢ : ١٢.

٥ - ١ تيموثاوس ٢ : ٩.

٦ - ١ بطرس ٣ : ٣.

٧ - متى ٤ : ٨.

٨ - أعمال ١٧ : ٢٤.

٩ - يوحنا ٣ : ١٦ + مرقس ١٦ : ١٥.

٣) الأشياء التي تخص الأرض (معيشة العالم) ^١ + (ممالك العالم) ^٢
 + (حكمة هذا العالم) ^٣ + (روح العالم) ^٤ + (نجاسات العالم) ^٥
 + (خطية العالم) ^٦ + (أقذار العالم) ^٧ الخ..

❖ يتصف هذا العالم بأنه:

١. عالم الهم (وَالْمَرْوَعُ بَيْنَ الشَّوْكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ وَهُمْ هَذَا الْعَالَمُ وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلَا نَمْرِ) ^٨.
٢. عالم الاضطراب (سَلَامًا أَنْزَلْتُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ) ^٩.
٣. عالم البغض للمؤمنين ^{١٠} (إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ) ^{١١}.

١ - ايوحنا ٣: ١٧.

٢ - متى ٤: ٨.

٣ - اكورنثوس ١: ٢٠.

٤ - اكورنثوس ٢: ١٢.

٥ - بطرس ٢: ٢٠.

٦ - يوحنا ١: ٢٩.

٧ - اكورنثوس ٤: ١٣.

٨ - متى ١٣: ٢٢ + مرقس ٤: ١٩.

٩ - يوحنا ١٤: ٢٧.

١٠ - العالم يبغض المؤمنين لثلاثة أسباب على الأقل:

أولاً - لأن قيمهم تختلف عن قيمه مما يظهر فسادهم.

ثانياً - لأن المؤمنون لا يتعاونون مع العالم باشتراكهم في الخطية.

ثالثاً - لأن العالم يعمل شهوة أبيه (أَنْتُمْ مِنْ أَبِي هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ

تَعْمَلُوا) يوحنا ٨: ٤٤.

١١ - يوحنا ١٥: ١٨ + يوحنا ١٧: ١٤ + ايوحنا ٣: ١٣.

٤. عالم الجهل (لأنَّ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللَّهِ...)¹.
٥. عالم الشر (الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَبِينَا)².
٦. عالم الشهوة (لأنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةٌ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةُ الْعُيُونِ، وَتَعَظُمُ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ)³.
٧. عالم الدنس (... وَحَفِظُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ)⁴.
٨. عالم العمى الروحي (الَّذِينَ فِيهِمْ إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُضَيَّءَ لَهُمْ إِبَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ)⁵.
٩. عالم مغري (لأنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ...)⁶.
١٠. عالم الفناء (...لأنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ)⁷.
١١. عالم تحت الدينونة (وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُودِبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لَا نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ)⁸.
١٢. عالم لا يعرف المسيح (كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكَوَّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ)⁹.

¹ - ١ كورنثوس ٣ : ١٩ .

² - غلاطية ١ : ٤ ++ ١ يوحنا ٥ : ١٩ + رؤيا ١٢ : ٩

³ - ١ يوحنا ٢ : ١٦ - ١٧ + ٢ بطرس ١ : ٤ + تيطس ٢ : ١٢

⁴ - يعقوب ١ : ٢٧ + ٢ بطرس ٢ : ٢٠ + ١ كورنثوس ٥ : ١٠

⁵ - ٢ كورنثوس ٤ : ٤ .

⁶ - ٢ تيموثاوس ٤ : ١٠ .

⁷ - ١ كورنثوس ٧ : ٣١ + ١ تيموثاوس ٦ : ٧

⁸ - ١ كورنثوس ١١ : ٣٢ + ١ يوحنا ١٢ : ٣١

⁹ - ١ يوحنا ١ : ١٠ .

١٣. عالم معادٍ لله (أَيُّهَا الزَّانَةُ وَالزَّوَانِي^١، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ^٢).

❖ علاقة المؤمن بالعالم

١- ليس من العالم: (لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ^٣)، مع أن الكنيسة الآن تعيش وتتنفس داخل العالم، لكنها ليست من العالم، وقيمها واضحة في التطويبات^٤ التي هي قيم أبناء الملكوت.

٢- يبغض العالم (لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ^٥). الكتاب المقدس لا يعلمنا أن نبغض العالم باعتباره الأرض والطبيعة، فهذه خليفة الله وهي تُحَدِّثُ بمجد الله وتُخْبِرُ بعمل يديه. ولا يعلمنا أن نبغض العالم باعتباره الناس الخطاة، فهؤلاء أحبهم الله وأرسل ابنه لفدائهم. لكن يعلمنا أن نبغض العالم باعتباره الأشياء التي تخص الأرض، أو باعتباره النظام العالمي الذي ابتكره الإنسان لكي يُسعد به نفسه بعيداً عن المسيح.

٣- يحارب العالم (فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّوسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ^٦)، إن حرب المؤمن مع العالم ليست حرباً مادية، بل روحية، كونها ليست مع دم ولحم، وهذا يعني أن سلاح المؤمن في هذه الحرب الطويلة هو كلمة الله والصلاة.

^١ - الكلام موجه للمؤمنين الزناة روحياً، أي الذين أحبوا أشياء أو أشخاص مثل الرب.

^٢ - يعقوب ٤: ٤.

^٣ - يوحنا ١٥: ١٩ + يوحنا ١٧: ١٦.

^٤ - متى ٥، ٦، ٧.

^٥ - يوحنا ٢: ١٥ + متى ١٦: ٢٦ + فيلبي ٣: ٨.

^٦ - افسس ٦: ١٢.

٤- **يَغْلِبُ الْعَالَمَ** (لِأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنْ اللَّهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ. وَهَذِهِ هِيَ الْعَلْبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلَّا الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ) ^١، العالم له روحه الذي يُسَيِّرُهُ بعيداً عن الله، وله ناموسه (قانونه) الذي يدعى ناموس الخطية والموت، وهذا الناموس قوي لدرجة أنه لا يُغلب إلا بناموس من خارج هذا العالم يدعى ناموس (رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ) ^٢. فبينما العالم يخضع لروحه المضل، نجد المؤمن يخضع للروح القدس. وبينما العالم يخضع لقانون الخطية وبالتالي الموت، نجد المؤمن يخضع لقانون القداسة وبالتالي الحياة.

٥- **يُنِيرُ الْعَالَمَ وَيُرْشِدُهُ** (أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ) ^٣، والإرشاد أمر ضروري للخطاة لكي يكونوا بلا عذر أمام الديان في يوم الدينونة، بل (لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فِيمَ وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللَّهِ) ^٤

٦- **سَيِّدِينَ الْعَالَمَ** (أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقُدِّيسِينَ سَيِّدِيُنُونَ الْعَالَمَ؟) ^٥

٧- **يُنَادِي لِلْعَالَمِ بِالْخِلَاصِ** (وَقَالَ لَهُمْ: «اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرُرُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا»). ^٦

٨- **مِيتَ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَالَمِ وَالْعَكْسَ** (وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا (صَلَبْتُ) لِلْعَالَمِ) ^٧

١ - ١ يوحنا ٥: ٤-٥ + يوحنا ١٦: ٣٣

٢ - رومية ٨: ٢.

٣ - متى ٥: ١٣-١٤

٤ - رومية ٣: ١٩.

٥ - ١ كورنثوس ٦: ٢

٦ - مرقس ١٦: ١٥ + يوحنا ١٧: ١٨

٧ - غلاطية ٦: ١٤. إن كلمة الله لا ترينا فقط نفوسنا على الصليب لكنها ترينا أيضاً عالمنا هناك.

❖ علاقة الله بالعالم

- ١- أحب العالم وأعطاه فرصة للتوبة (لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ)^١
- ٢- خَلَقَ الْعَالَمَ (فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ... الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ)^٢
- ٣- مسئول عن العالم (...إِلِلَّهِ الْحَيِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا.... وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمَرَةً وَيَمْلَأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا)^٣
- ٤- سيدمر العالم؛ الحاضر (وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ الْكَائِنَتَانِ الْآنَ فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةٌ لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلَاكِ النَّاسِ الْفَجَّارِ .. وَلَكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٌّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَتَحَلَّلُ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الْأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا... مُنْتَظَرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَتَحَلَّلُ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهَبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَدُوبُ)^٤
- ٥- سيخلق عالماً جديداً (وَلَكِنَّا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبَرُّ).^٥

١ - يوحنا ٣: ١٦ .

٢ - كولويسي ١: ١٦ - ١٧ + تكوين ١: ١ .

٣ - اعمال ١٤: ١٥ - ١٧ .

٤ - المقصود بالعالم هنا كل شيء مادي، وكل ماله علاقة بمصنوعات الإنسان .

٥ - ٢ بطرس ٣: ٧، ١٠، ١٢ .

٦ - ٢ بطرس ٣: ١٣ + رؤيا ٢١: ١ + اشعيا ٦٥: ١٧ + اشعيا ٦٦: ٢٢

الفصل الأول

الانفصال عن العالم^١

(كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ فِي الرِّسَالَةِ أَنْ لَا تَخَالِطُوا الزُّنَاةَ. وَلَيْسَ مُطْلَقاً زُنَاةَ هَذَا الْعَالَمِ أَوْ
الطَّمَاعِينَ أَوْ الْخَاطِفِينَ أَوْ عِبْدَةَ الْأَوْثَانِ وَالْأَفِيلَرْمُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الْعَالَمِ)
١كورنثوس ٥: ٩-١٠.

(وَقَالَ لَهُمْ اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا) مرقس ١٦:
١٥.

إن الخروج من العالم أمرٌ مستحيلٌ، إضافة لكونه عكس رسالة المسيح التي
تدعونا لاقتحام العالم واختطاف الهالكين منه لملكوت الله. أمّا الانفصال عنه فهو
أمر طبيعي ومطلوب (نظير القدوس الذي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قَدِيسِينَ فِي كُلِّ
سَبِيْرَةٍ)^٢.

إن القداسة تعني أمرين، الأول الانفصال عن العالم، الثاني التخصيص أو
الفرز لله. فإن كان الخروج بمعناه الجغرافي مرفوضاً للأسباب التالية:

- ١- لأن الخروج من العالم لا يتم إلا بالموت الجسدي.
 - ٢- لأن العالم يحتاج لفرصة الخلاص أي لاحتكاك الكنيسة بهم.
 - ٣- لأن العالم يحتاج لخدمات الكنيسة.
- يبقى الانفصال بمعناه الأدبي مطلوباً، أي عدم مشاكلة الأشرار بخطاياهم.

١ - باعتباره الأشياء التي تخص الأرض، وباعتباره النظام العالمي الذي ابتكره الإنسان لكي
يسعد به نفسه بعيداً عن المسيح.

٢ - ١بطرس ١: ١٥.

دعونا نتذكر أن الكنيسة هي جسد المسيح، بناء الله الذي ينمو، البناء الذي أقيم في هذا العالم الفاسد ليتوسع بكل طاقته كمستعمرة سماوية على الأرض (أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج ومُلتَوٍ)^١، وأن هذه المستعمرة لا يحبها العالم، بل يرفضها ويحاربها بكل قوته، لأنها جسم غريب فيه، يعمل على موته.

وما يميز هذه المستعمرة أنها نور مثل الرب الذي قيل عنه (النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه) أي أن الكنيسة كما الرب، ظلمة هذا العالم لا تتركها.

نعم تعيش الكنيسة في دائرة العالم، لكن سلوكياتها مختلفة عن كل سلوكيات العالم، وأفكارها وأمالها وتطلعاتها خارج هذه الدائرة، وبالمقابل فإن نمط عبادتها يختلف أيضاً عن نمط عبادة العالم.

دعونا نتذكر أن الانفصال المادي لا يحقق انفصالا روحيا، والعكس أيضاً صحيح، فقد تهرب الكنيسة من الأرض إلى القمر لكن العالم سيبقى محيطة بها بشكل روحي، وقد تهرب الكنيسة من العالم بشكل روحي لكن العالم سيبقى محيطة بها بشكل مادي.

إن هروب الكنيسة الجغرافي من العالم يُخسر دورها التوسعي، ويسقطها في قبضته الروحية. أما اتصالها الجغرافي بالعالم فيحقق دورها بالتمدد ويسقط من وصلتهم في قبضتها الروحية.

كل ما في العالم تحت حكم الموت، فالأشياء التي في العالم، وشهوة العالم، وزينة العالم، وحكمة العالم، وموضة العالم، ونجاسات العالم، ونجاح العالم، وكل ما يخصه ميت بالنسبة للكنيسة، قد انتن. إنه قرارها، لا التقاء بين الحياة والموت، لا التقاء بين الظلمة والنور.

^١ - فيلبي ٢: ١٥.

وللكنيسة رسالة واضحة في سيرة معلمها الرب يسوع المسيح الذي قيل عنه
(قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ (أدبياً) عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنْ
السَّمَاوَاتِ)¹، أما جغرافياً فقليل عنه (وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَدْنُونُ مِنْهُ
لِيَسْمَعُوهُ)².

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

¹ - عبرانيين ٧: ٢٦.

² - لوقا ١٥: ١.

الفصل الثاني

الاهتمام بالآخر

(وَأَمَّا هُوَ (الناموسي) فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ نَفْسَهُ سَأَلَ يَسُوعَ: «وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ فَعَرَّوهُ وَجَرَّحُوهُ وَمَضُوا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ فَرَأَهُ وَجَارَ مُقَابِلَهُ. وَكَذَلِكَ لَأَوِيٌّ أَيْضًا إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَارَ مُقَابِلَهُ. وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيُّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللَّصُوصِ؟» فَقَالَ: «الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هَكَذَا» (لوقا ١٠ : ٢٩-٣٧).

اعتبر اليهود أنفسهم نسلًا نقيًا لإبراهيم، بينما اعتبروا السامريين نسلًا مختلطًا لبعض اليهود من المملكة الشمالية مع الشعوب الأخرى، ونتيجة لذلك نظروا للسامري باعتباره غريبًا دنسًا لا يجوز التعامل معه. لكن الأمر العجيب في هذه القصة أن السامري الغريب فعل لليهودي مالم يفعله له أكثر اليهود تدينًا.

كان سؤال الناموسي للرب يسوع من هو قريبي، وبعد هذه القصة كان سؤال الرب للناموسي (فَأَيُّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللَّصُوصِ؟) ولأن الناموسي لم يُرد أن يتلفظ بشفتيه باسم السامري لئلا ينتجس أجاب (الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ)، فعلق الرب على كلماته قائلاً (اذهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هَكَذَا)، أي بما معناه (اذهب واصنع الرحمة مع الآخر فتصير قريبه)، إن التعبير من هو قريبي تعبير خاطئ، والصحيح، ماذا أفعل لأكون قريبًا لكل الناس.

وهذا حقاً ما فعله الرب يسوع المسيح رأس الكنيسة، الذي ابتداءً خدمته بقراءة من سفر اشعيا قائلاً (رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لِأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَأَكْرَزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ)^١، ثم علّق بالقول (إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ)^٢.

لقد أدركت الكنيسة منذ البداية أن الرب يسوع المسيح الذي جال يصنع خيراً بين الناس، هو مثالها الذي يريد منها أن تعكس أعمال رحمته بين المحتاجين، فأطاعت صوته وتحولت إلى ملاك رحمة لكل الناس.

وهكذا أشادت المستشفيات، وبنيت المدارس، وأقامت الملاجئ للأيتام، وشيدت دوراً للعجزة، وقدمت الطعام والشراب للمحتاجين، وكل ذلك لكي تقول للعالم إنها تشبه ذاك السامري الذي جعل من نفسه قريباً لكل، بمن فيهم أعداءه.

واليك بعض ما قاله تلاميذ الرب في هذا الشأن:

(أَيُّهَا الْحَبِيبُ، لَا تَتَمَثَّلْ بِالشَّرِّ بَلْ بِالْخَيْرِ، لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ هُوَ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ يَصْنَعُ الشَّرَّ فَلَمْ يُبْصِرِ اللَّهَ)^٣.

(لِأَنَّ هَكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتَسْكُنُوا جَهْلَةَ النَّاسِ الْأَغْيَاءِ)^٤

(وَلَكِنْ لَا تَتَسَوَّأُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوَزُّعِ، لِأَنَّهُ بِذَبَائِحٍ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللَّهُ)^٥

(فَإِذَا حَسَبْنَا لَنَا فُرْصَةً فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلَا سِيَّامًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ)^٦

١ - لوقا ٤: ١٨ - ١٩.

٢ - لوقا ٤: ٢١.

٣ - ٣ يوحنا ١١.

٤ - ١ بطرس ٢: ١٥.

٥ - عبرانيين ١٣: ١٦.

٦ - غلاطية ٦: ١٠.

الفصل الثالث

الخضوع للسلطات

لِتَخْضَعَ كُلُّ نَفْسٍ لِّلسَّلَاطِينِ الْفَائِقَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لِأَنفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيَسُوا خَوْفًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لَا تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ أَفَعَلِ الصَّلَاحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّلَاحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفَ لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذَلِكَ يَلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ. فَإِنَّكُمْ لِأَجْلِ هَذَا تُؤْفُونَ الْجَزِيَّةَ أَيْضًا إِذْ هُمْ خِدَامُ اللَّهِ مُوَظَّبُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ. فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ: الْجَزِيَّةَ لِمَنْ لَهُ الْجَزِيَّةُ. الْجَبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ.^١

في هذا المقطع يشرح الرسول بولس للمؤمنين واجبه تجاه السلاطين والولاة في أي مجتمع يقيمون فيه. مؤكداً لهم أن الله هو الذي أسس الحكومات البشرية وهو الذي أعطى البعض من الناس السلطة كي يحكموا وكي يعاقبوا المجرمين كل بحسب ذنبه.

وبناء عليه يدعوا كل المؤمنين للخضوع لهذه السلطات كواجب، ويقدم لذلك بعض الأسباب ومنها:

أولاً- لأن السلاطين مرتبه من الله:

كانت كنيسة روما تضم في صفوفها البعض من المسيحيين ذوي الأصول اليهودية المتأثرين بناموس موسى، الذين ظنوا أن الله يتعامل مع الكنيسة كما كان يتعامل مع اليهود كمملكة، أو كشعب واحد.

^١ - رومية ١٣: ١-٧.

لكن الحقيقة هي خلاف ذلك، فالكنيسة الآن ليست مملكة وليست أمة، لكنها عبارة عن أفراد قد قرروا أن يعطوا قلوبهم للرب، وهم ينتمون لممالك وقوميات مختلفة، والرب يتعامل معهم على هذا الأساس، أي كأفراد.

هؤلاء المسيحيون من أصل يهودي، والذين لم يفهموا المسيحية بعد على حقيقتها، كان يعسر عليهم بحسب ناموس موسى المسيطر على أذهانهم، والذي هو جزء من تاريخهم أن يخضعوا للحكام الرومانيين الوثنيين بحسب الوصية (فَأَتَكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ. مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِكَ تَجْعَلُ عَلَيْكَ مَلِكًا. لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ عَلَيْكَ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا لَيْسَ هُوَ أَخَاكَ)^١، فخشوا أن يحسب الله خضوعهم لأولئك الحكام الوثنيين عصياناً له.

وهذا ما عبّر عنه اليهود أيام المسيح عندما سألوهم (أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟)^٢. بل هو الذي قادهم بشكل دائم للثورة وللعصيان على الإمبراطورية الرومانية، مما دفع كلوديوس قيصر إلى نفي كل اليهود من روما (لأنَّ كُلَّوْدِيُوسَ كَانَ قَدْ أَمَرَ أَنْ يَمْضِيَ جَمِيعُ الْيَهُودِ مِنْ رُومِيَّة)^٣. ثم في سنة (٧٠م) قادهم إلى تلك المأساة الكبرى، أي إلى دمار أورشليم على يد تيطس الروماني، وقتل ما ينوف على مليون ونصف يهودي وتشتت البقية في كل ممالك العالم.

لذلك يقول الرسول بولس للكنيسة في روما ومن خلالها لكل الكنائس (لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ)، وهذه جملة مطلقة تشمل جميع الحكام والمتسلطين في كل

١ - تثنية ١٧: ١٥.

٢ - لوقا ٢٠: ٢٢. مع أن السؤال كان بغاية الإيقاع بالمسيح.

٣ - أعمال ١٨: ٢.

٤ - يشترك مع عامل الخوف، عامل آخر هو رفضهم للرب يسوع المسيح وذلك بقولهم لبيلاطس اصلبه دمه علينا وعلى أولادنا (متى ٢٧: ٢٣ - ٢٥).

المجتمعات المنظمة، بغض النظر عن أسمائهم أو ألقابهم أو نوع حكمهم أو وسيلة تسلطهم.

مما يعني أن الكنيسة الآن ليست مملكة ثيوقراطية على شاكلة الأمة العبرانية، الكنيسة الآن مجموعة أفراد تنتمي لمجتمعات مختلفة، وعلى كل فرد فيها أن يخضع للسلطين الفائقة لأنها مرتبة من الله.

ولأنه قد يخطر في أذهان المؤمنين هذا السؤال، ما هو موقفنا إذا كانت الحكومات فاسدة وشريرة، ما هو موقفنا إذا طلب القيصر ليس الأمور التي تخصه فقط، لكن أيضاً تلك التي تخص الله.

ونحن نعرف أن هذه المشكلة المزعجة قد واجهت فعلاً المسيحيين الأوائل، إذ أن القيصر تعدى الحدود التي رسمها له الله وتجاوز السلطان الممنوح له عندما طلب أن يُلقب برب وأن تقدم له الذبائح والقرابين والبخور، ومن لا يفعل ذلك يُحكم عليه بالموت. ماذا يفعل المسيحيون في مثل هذه الحالة؟

الرسول بولس يقول (إِنَّ مَنْ يُقَاوِمَ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ دَيْنُونَةً) وهذا يعني أنه مهما كان السلطان شريراً ينبغي أن لا يقاوم، فالمسيحية ليست ديانة ثورات ولا انقلابات، إنها حياة خضوع لكل من هو في منصب، إنها خضوع مطلق للقانون.

فسواء كان القيصر يحكم دكتاتورياً أو ديمقراطياً ينبغي الخضوع له، طالما أنه لم يتعدَّ سلطته المفوضة إليه من قبل الله، وطالما أنه لم يقتحم الحدود التي ليست له، أي التي تخص الله، أما إن فعل فحينئذ (يُنَبِّغِي أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ)^١، وهذه الطاعة لله قادت الكثيرين على مر الأجيال لساعات الموت والصلب والحرق والإهانة.

^١ - أعمال ٥: ٢٢.

نعم هناك أوقات ينبغي أن يطاع فيها الله أكثر من الناس مما يؤدي لجلب غضب الناس، وفي حالات كهذه على المؤمن أن يتلقى غضب الناس (الحكام) دون أن يثور ضدهم أو يشارك بأية محاولة للإطاحة بهم.

ولكن هل هذا يعني أن الله يصادق على كل ما يفعله الحكام ولا سيما الأشرار منهم. هل هذا يعني أن الله وراء الفساد والاستبداد والوحشية والظلم، كلا.

أن تكون السلطات مرتبة من الله شيء وأن يوافق الله على كل ما تفعله هذه السلطات شيء آخر. السلطة وكالة، والسلطان وكيل، ولابد للوكيل أن يدفع حساب وكالته أمام الله.

على كل تستطيع الكنيسة بشكل دائم أن تعارض القيصر في مطالبه غير المشروعة، عندما تتجاوب مع مطالبه المشروعة والقانونية كما علم الرب يسوع المسيح (أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ)^١.

ثانياً - لأن السلطان خادم الله.

إن الله الذي نعبد هو إله ترتيب، وقد رتب بحكمته الأزلية قيام الحكومات، ونحن نعلم أن وجود الحكومات أفضل بما لا يقاس من عدم وجودها، والناس تتمنى دائماً أن تعيش في مجتمعات تحكمها سلطة.

أما المجتمعات الفوضوية فهي المجتمعات التي يهرب منها الناس والتي فيها يكون كل إنسان قانوناً لنفسه وللآخرين. إنها مجتمعات تعيش شريعة الغاب، شريعة القوي الذي يأكل الضعيف دون خوف من رادع أو ضمير.

إن وجود أية حكومة هو أفضل من عدم وجودها، لأن بالحكومة يأتي القانون، وبغيابها يغيب القانون.

^١ - لوقا ٢٠: ٢٥.

إن الحاكم بحسب تعبير الكتاب المقدس هو خادم الله فمهما كان منصب هذا الحاكم، ملك، وزير، مدير، قاضٍ، يبقى خادم الله للصالح.

وبما أن المؤمن شخصٌ صالحٌ، أي يتقيد بالقانون ولا يتجاوزه، فهذا يعني أن الله أقام هذا الخادم لخير هذا المؤمن (أَفْتَرِيدُ أَنْ لَا تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ أَفْعَلِ الصَّلَاحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّلَاحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفَ لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ).

إن المؤمنين الذين يفكرون بانتهاك القانون عليهم أن يخافوا العقاب، فإن أرادوا أن يتمتعوا بالحياة الهائلة المطمئنة، الحياة التي لا يدخلها الخوف من الغرامات والعقوبات والمحاكم والسجون، عليهم أن يكونوا مواطنين يراعون القانون.

ثالثاً - بسبب الضمير

كما قلنا إن المؤمن رجل قانون، أي يحترم ويطيع القانون، وهذه الطاعة تتجلى أيضاً بالمساندة المالية للدولة وذلك من خلال دفع كل الضرائب والرسوم التي تترتب عليه، وهو يعلم تماماً أن هذا الأمر ينبغي أن يفعله لتستمر الدولة قائمة.

المؤمن هو رجل يحترم نفسه، وهذا الاحترام يتجلى أمام الذين هم في مراكز السلطة، فهو يخضع لأوامرهم ويظهر لهم الاحترام ولا يغيظهم، حتى لو كانوا من جهة أنفسهم غير محترمين. وهو لا يشترك بأي كلام سيء ضدهم، من أصغر موظف في الدولة إلى رأس الدولة، لأنه مكتوب (رَبِّيسُ شَعْبِكَ لَا تَقُلْ فِيهِ سَوْءًا)^١.

وكل هذا يفعله المؤمن لكي يبقى ضميره بلا لوم من جهة القانون ومن جهة الله.

^١ - أعمال ٢٢: ٥.

قارن أيضاً قول الرسول بطرس للمؤمنين (فَاخْضَعُوا لِكُلِّ تَرْتِيبٍ بِشَرِيٍّ مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ. إِنْ كَانَ لِلْمَلِكِ فَكَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْكُلِّ، أَوْ لِلْوَلَاةِ فَكَمُرْسَلِينَ مِنْهُ لِلانْتِقَامِ مِنْ فَاعِلِي الشَّرِّ، وَلِلْمَدْحِ لِفَاعِلِي الْخَيْرِ. لِأَنَّ هَكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكَّنُوا جَهَاةَ النَّاسِ الْأَغْنِيَاءِ. كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحَرِيَّةُ عَنْدهُمْ سُنَّةٌ لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللَّهِ. أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الْإِخْوَةَ. خَافُوا اللَّهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ. أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرْفِقِينَ فَقَطْ، بَلْ لِلْعُقَاةِ أَيْضًا. لِأَنَّ هَذَا فَضْلٌ إِنْ كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَجْلِ ضَمِيرٍ نَحْوِ اللَّهِ يَحْتَمِلُ أَحْزَانًا مُثَالِّمًا بِالظُّلْمِ. لِأَنَّهُ أَيُّ مَجْدٍ هُوَ إِنْ كُنْتُمْ تُلْطَمُونَ مُخْطِئِينَ فَتَنْصَبِرُونَ؟ بَلْ إِنْ كُنْتُمْ تَتَأَلَّمُونَ عَامِلِينَ الْخَيْرَ فَتَنْصَبِرُونَ، فَهَذَا فَضْلٌ عِنْدَ اللَّهِ)¹.

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب الإشارة إلى موضع الاقتباس

¹ - ١ بطرس ٢: ١٣ - ٢٠.

الفصل الرابع

خصوصيات الكنائس

(فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِّنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْأَكْثَرِينَ. فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعْفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ الضُّعْفَاءَ. صِرْتُ لِلْكَلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخْلَصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا)^١.

لكل كنيسة خصوصيتها التي استمدتها من ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه، وهذه الخصوصية تتعلق بالآداب العامة داخل الكنيسة، أي بسلوكيات الأفراد داخل الكنيسة.

وبلا شك فإن هذه الخصوصية تختلف من بلد لآخر، لأن المفردات السلوكية تختلف بحسب التطور الثقافي للبلدان، فطريقة التكلم مثلاً ولو كانت بين مؤمنين لكنها متطبعة بثقافة البلد الذي يعيشون فيه، فمن بلاد لا يتكلم فيها الأشخاص إلا بعد ترك مسافة جغرافية تتجاوز المتر إلى بلاد يتكلم فيها الأفراد دون أية مسافة تقريباً. لدرجة أن سلوك الأول في بلاد الثاني يعتبر معيباً والعكس صحيحاً.

البعض من الناس يتكلمون بصوت خافت بسبب طبيعة وثقافة بلدانهم، بينما البعض الآخر يتكلمون صُراخاً، فحديث الأول في بلد الآخر معيباً والعكس صحيح.

البعض من البلدان تُعتبر فيها نوعية الثياب دلالة على المستوى الأخلاقي للفرد، بينما في بلاد أخرى ولاسيما الساحلية منها هذا لا يعني شيئاً.

^١ - ١ كورنثوس ٩: ٢٠ - ٢٢.

في بعض البلدان ذات الثقافات القبلية لا يسير الصغير قبل الكبير، بينما في بلدان أخرى الأسرع هو من يتقدم. وفي بعض البلدان وضعية الجلوس أمام الآخرين هي تعبير عن الاحترام أو قلة الاحترام، بينما في بلاد أخرى هذا لا يعني شيئاً.

لذلك على المؤمن الذي ينتقل من كنيسة إلى أخرى أن يراعي خصوصية هذه الكنيسة بحسب المفهوم الثقافي للبلد الذي تعيش فيه، وبالتالي عليه أن لا يفرض سلوكياته عليها لأن هذا سيبدو أمام الجماعة تصرفاً مسيئاً، وقلة احترام.

من الغريب أن الشخص الذي يسافر إلى بلد آخر يختلف ثقافياً عن بلده، يجهز نفسه للتعامل مع الناس في ذلك البلد حسب ثقافتهم ونمط سلوكياتهم، فقد ترتدي زوجته الملابس الطويلة التي تستر كل الجسم مثلاً، وفي الزيارات يراعي ترتيبات الناس الذين قد لا يقبلون ضيفاً رجلاً في بيت لا يوجد فيه رجل، وربما يمتنع عن تناول بعض أنواع الأطعمة ليس بسبب عدم محبته لها، لكن كونها تنثير انطباعاً معيناً سلبياً في أذهان الناس.

بينما عندما ينتقل المؤمن من كنيسة لكنيسة نادراً ما يراعي هذه الأمور، فيسبب لنفسه أتعاباً لا حد لها، وربما نفوراً من مجتمع الكنيسة دون أن يدري السبب. وإن وجهت له أية ملاحظة لتصحيح سلوك ما، قد يعتبرها إهانة بحقه، بينما في الواقع هو الذي أهان كل الجماعة بقصد أو بغير قصد، وهو المدين لهم بالاعتذار.

(ذَوْقًا صَالِحًا وَمَعْرِفَةً عَلَّمَنِي لِأَنِّي بِوَصَايَاكَ آمَنْتُ).^١

تم بنعمة المسيح

^١ - مزمور ١١٩: ٦٦.

الباب العاشر

المراجع

- (١) دائرة المعارف الكتابية. - طبعة أولى. - القاهرة: دار الثقافة.
- (٢) جون لوريمر - تاريخ الكنيسة، ترجمة عزرا مرجان - طبعة أولى - القاهرة: دار الثقافة - خمسة مجلدات.
- (٣) الكنز الجليل في تفسير الإنجيل - الجزء الرابع، شرح سفر أعمال الرسل - بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.
- (٤) ر.ت. فرانس - التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، ترجمة أدبية شكري - طبعة أولى. القاهرة: دار الثقافة - ٤٦٣ ص.
- (٥) دونالد جوثري - التفسير الحديث للكتاب المقدس، العهد الجديد، الرسائل الرعوية، ترجمة نكلس نسيم - طبعة أولى. القاهرة: دار الثقافة - ٢٧٧ ص.
- (٦) الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية: تأليف القس غسان خلف. - لبنان: دار النشر المعمدانية.
- (٧) سلسلة عالم المعرفة - المعتقدات الدينية لدى الشعوب - الجزء (١٧٣) - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- (٨) STRONG'S EXHAUSTIVE CONCORDANCE OF THE BIBLE

ملاحظة: الرجاء عند الاقتباس من الكتاب

الإشارة إلى موضع الاقتباس

الكنيسة هي بيت الله، هي جماعة المؤمنين بشخص المسيح، وهي في كيانها الأرضي تشبه أية مؤسسة ذات طابع اجتماعي من حيث وجود قائد لها، أو من حيث وجود قوانين تحكم علاقاتها، أو من حيث وجود أشخاص في أماكن مختلفة لتسييرها بالشكل الصحيح.

هذا الكتاب هو محاولة لتسليط الضوء على الكنيسة التي انتشرت تقريباً في كل أصقاع المعمورة، فهو من خلال كلمة الله يُعرّف الكنيسة وطبيعة خدماتها ومن هم خُدّامها، إضافة إلى نمط العبادة فيها، وعلاقتها مع المجتمع. دون أن يتغافل عن دراسة مواهب الروح القدس التي بدونها لا تقف الكنيسة.